جامِعة النّجاح الوَطَنِيّة
كُلِّيَّة الدِّراسات العُليا

نَحْوُ النَّصِّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق النَّثرِيِّ

إعداد
أُسامَة فَتحي قَطّاوي

إشراف
د. سَعيد شَواهنة

قدّمت هذه الأطروحة استكمالا لمتطلّبات الحصول على درجة الماجستير في اللغة العربيّة وآدابها بكلّيّة الدّراسات العُليا في جامعة النّجاح الوطنيّة في نابلس، فلسطين.
2021م

نَحْوُ النَّصِّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق النَّثرِيِّ

إعداد

أسامة فتحي قطّاوي

نُوقشت هذه الأطروحة بتاريخ 2021/10/31م، وأجيزت.

أعضاء لجنة المناقشة	**التوقيع**
1. د. سعيد شواهنة / مشرفًا ورئيسًا	.....
2. د. أحمد بشارات / ممتحنًا خارجيًا	.....
3. أ. د. أحمد حامد / ممتحنًا داخليًا	.....

الإهداء

أهدي رسالتي هذه إلى شيخي ومرشدي ودليلي إلى الصّواب وأستاذي الأوّل شيخ طريقة القاسميّ الجامعة، ورئيس مجلس أمناء مؤسّسات القاسميّ فضيلة الشّيخ عبد الرّؤوف القواسميّ، حفظه الله ورعاه..

أهديك يا خليفة رسول الله صلّى الله عليه وسلّم سيّدي أبا بكر الصّدّيق رسالتي هذه، وأشكرك على هذا الأدب السّامي والتّاضح والذّكي.. فَرَضِيَ الله عنك وأرضاك يا أيّها الحبيب..

إليك يا أبي الذي أفتقدك كلّما رمشت عين.. وإليك يا أمّي التي أحنّ إلى لمستها ونظرتها وهمساتها، وأبصرها في كلّ شهيق وزفير.. رحمكما الله تعالى رحمة واسعة، وحشركم في زمرة المصطفى صلّى الله عليه وسلّم والأصحاب الكرام..

إلى أجمل ما في الوجود زوجتي الغالية هيا، وأغلى موجود أولادي أحمد ومحمّد، وزهرة القلب بنتي الملاك لين..

مع التّحيّة

الشّكر والتّقدير

أتقدّم ابتداءً بالحمد والشّكر إلى المولى عزّ وجلّ على نِعَمِه التي لا حصرَ لها ولا عدّ..

وأتقدم بالشّكر الجزيل والتقدير والعرفان إلى أستاذي الفاضل د. سعيد شواهنة؛ صاحب الخُلُق الرّفيع والوجه السّمح البشوش، والتنفس الطّيّبة، والقلب الواسع..

أحيّيك أستاذي الغالي على كلّ لحظة من الإشراف والمساندة والتوجيه اللطيف، والقويم الحَسَن.. أنعَمَ اللهُ عليكَ بالصّحّة والعافية يا أيّها الغالي..

شكري وتقديري إلى أعضاء لجنة المناقشة على كلّ نظرةٍ دراسةٍ، وتحليل، وتقييم وتقويم... دام عزّكم يا أيّها الأعزّاء

عِرفاني إلى أسرتي الكريمة، وعائلتي الأصيلة، وأصدقائي الصّدوقين، وزملائي الأجلّاء.. تولّاكم الله برعايته

مودّتي

الإقرار

أنا الموقع أدناه، مقدم الرسالة التي تحمل العنوان:

نَحوُ النَّصِّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق النَّثرِيِّ

أقر بأن ما اشتملت عليه هذه الرسالة، لم يكن سوى نتاج جهدي الخاص، باستثناء ما أشرت إليه حيث ورد، وأن هذه الرسالة لم تقدم من قبل: كلها أو بعضها ؛ لنيل أي درجة أو لقب علمي، أو بحثي، إلى أي مؤسسة تعليمية، أو بحثية أخرى.

Declaration

The work provided in this thesis, unless otherwise referenced, is the researcher's own work, and has not been submitted elsewhere for any other degree or qualification .

Student's name: اسم الطالب: أسامة فتحي قطاوي

Signature: التوقيع: أسامة قطاوي

Date: التاريخ: ٢١/١٠/٢٠٢١م

فهرس المحتويات

الموضوع	الصّفحة
الإهداء	ج
الشّكر والتّقدير	د
الإقرار	هـ
فهرس المحتويات	و
الملخّص	ط
المقدّمة	1
التّمهيد: ترجمة أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه	7
الفصل الأوّل: علم النّصّ؛ النّشأة والتّطوّر	**23**
المبحث الأوّل: علم النّصّ	24
الانّصّ لغةً	24
النّصّ اصطلاحًا	29
مفهوم علم النّصّ	47
نشأة علم النّصّ	48
مَهمّة علم النّصّ	53
معايير النّصّيّة	55
المبحث الثّاني: علم نحو النّصّ	59
النّحو لغةً	59
النّحو اصطلاحًا	59
مفهوم نحو النّصّ	60
أهمّيّة نحو النّصّ	61
النّحو في التّراث العربيّ ونحو النّصّ	64
النّحو الغربيّ ونحو النّصّ	67
الحاضر الغربيّ ونحو النّصّ	68
مقولات العلماء العرب القدماء تعاطى معها الغربيّون	70
بين نحو الجملة ونحو النّصّ	71
خصائص نجاح نحو النّصّ	74

الموضوع	الصّفحة
الفصل الثّاني: الاتّساق النّصّيّ في أدب أبي بكر الصّدّيق –رَضِيَ اللهُ عَنــهُ– النثري	**76**
المبحث الأوّل: الاتّساق النّصّيّ (المجال النّظريّ)	77
الاتّساق	77
أنواع الاتّساق النصي	80
النّوع الأوّل: الاتّساق النّصّيّ النّحويّ	80
أدوات الاتّساق النّصّيّ النّحويّة	80
أوّلًا: الإحالة (reference)	80
أنواع الإحالة	83
ثانيًا: الاستبدال (substitution)	85
أنواع الاستبدال	86
ثالثًا: الحذف (ellipsis)	87
أنواع الحذف	91
النّوع الثّاني: الاتساق النّصّيّ المعجميّ	95
أدوات الاتّساق النّصّيّ المعجميّة	96
أوّلًا: التّكرار (refetition)	96
أنواع التّكرار	98
ثانيًا: التّضام أو المصاحبة (collocation)	102
أنواع التّضام	104
المبحث الثّاني: الاتّساق النّصّيّ في أدب أبي بكر الصّدّيق –رَضِيَ اللهُ عَنــهُ– (المجال التّطبيقيّ)	106
أدوات الاتّساق النّصّيّ النّحويّة	106
أوّلًا: الإحالة	106
ثانيًا: الاستبدال	118
ثالثًا:الحذف	120
أدوات الاتساق النّصّيّ المعجميّة	122
أوّلًا: التّكرار	122
ثانيًا: التّضام أو المصاحبة اللغويّة	125

الموضوع	الصّفحة
الفَصلُ الثّالِثُ الانسِجامُ النَّصِّيُّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق –رَضِيَ اللهُ عَنــهُ– النَّثرِيِّ	**129**
المَبحَثُ الأَوَّلُ: الانسِجامُ النَّصِّيُّ (المَجالُ النّظَرِيُّ)	130
الانسجام لغةً واصطلاحًا	130
أهمّيّة الانسجام	134
مظاهر الانسجام النّصّيّ	135
المظهر الأوّل: السّياق (context)	135
مقوّمات السّياق	138
أنواع السّياق	139
المظهر الثّاني: التّأويل	140
مفهوم التّأويل	140
المظهر الثّالث: التّغريض (the matisatio)	142
المظهر الرّابع: البنية الكلّيّة أو موضوع الخطاب (topic of discourse)	144
المظهر الخامس: التّناص	146
أشكال التّناصّ	148
المظهر السّادس: المعرفة الخلفيّة	149
المَبحَثُ الثّاني: الانسِجامُ النَّصَّيُّ في أَدَبِ أَبي بضكرٍ الصِّــدّيق –رَضِــيَ اللهُ عَنهُ– النَّثرِيِّ (المَجالُ التَّطبيقِيُّ)	151
المظهر الأوّل: السّياق	152
المظهر الثّاني: التّأويل	162
المظهر الثّالث: التّغريض	165
المظهر الرّابع: البنية الكلّيّة أو موضوع الخطاب	168
المظهر الخامس: التّناص	169
الخاتمة	**172**
قائمة المصادر والمراجع	**174**
Abstract	**b**

نَحوُ النَّصِّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق النَّثرِيِّ

إعداد

أسامة فتحي قطّاوي

إشراف

د. سعيد شواهنة

الملخّص

إنّ النّصّ هو محلّ دراسة علم اللغة النّصّي، وانصبّ حوله في ستّينيّات القرن العشرين كلُّ نشاط العلماء النّصّيّين؛ تفسيرًا، وتحليلًا، وتفكيكًا، وتركيبًا، وكان علم نحو النّصّ أحد روافد علم اللغة النّصّي عامّةً ودعائمه وأحد أدوات دراسة النّصّ خاصّةً؛ ولعب دورًا مهمًّا في تسخير موضوعاته للحكم في نهاية المطاف على النّصّ، وإقراره على أنّه نصٌّ متّسق ومنسجم أو غير متّسق وغير منسجم.

تعامل متخصّصو هذا العلم –عربًا وغربًا– في مُجملهم مع النّصّ تعاملا شموليًّا، ودرسوه دراسة أفقيّة وطوليّة؛ لبيان العلاقات الوثيقة بين الجُمَل بعضها ببعض، وبيان علاقة الفقرات ببعضها؛ لتكوين تركيبٍ متكاملٍ يتّصفُ بالنّصّيّة، ولبيان علاقة نصّ المُنتج بنصوص أخرى له، وإلى أيّ مدىً كان هذا النّصّ متعاطيًا مع المقام ومتناغمًا معه.

تناول مُنتِج النّصوص أبو بكر الصّدّيق موضوعات عِدّة في نصوصه، خاطبَ بها العامّة والخاصّة، متّبعًا أساليب أدبيّة متنوعّة، تراعي ظروفَ الحال القائمة كلّها والواقعَ المَعيش؛ لمحاولة إقناعهم، والتّأثير فيهم، وتغيير مسارهم؛ فاستخدم لتحقيق أهدافه وغاياته أدوات الاتّساق استخدامًا ذكيًّا واعيًّا، وتجلّت مظاهر الانسجام في نصوصه بوضوح؛ لدرجة أنّ الباحث وجد نصوصه في آخر حياته منسجمة تمام الانسجام مع نصوصه في بدايات تولّيه الخلافة.

ولتحقيق ما تمّ ذكره وبيانهِ والتّأكيدِ عليه قسّم الباحث بحثه إلى مقدّمة وتمهيد وثلاثة فصول، وخاتمة؛ حيث عرض في المقدّمة فترة ظهور علم نحو النّصّ، والحاجة الماسّة له، وحضوره المنثور في كُتُب التّراث، واستخدام أبي بكر الصّدّيق –وهو محلّ الدّراسة– له في نصوصه،

وسبب اختياره، وأهمّيته، ومشكلته، وأهدافه، والصّعوبات التي واجهها، والدّراسات السّابقة، ومنهجيّته التي اتّبعها فيه، ومحتواه.

وتناول في التّمهيد ترجمة أبي بكر الصّدّيق؛ من حيث مولده ونشأته وصفاته الخَلقيّة والخُلُقيّة، ومكانته في المجتمع، وخدمته للدّين، ودعمه للنّبيّ –صلّى الله عليه وسلّم–، وخلافته، وأدبه، ومرضه، ووفاته.

وجعل الحَديثَ في الفصل الأوّل والمُعَنوَنَ ب"علم النّصّ؛ النّشأة والتّطوّر" عن علم النّصّ، وعن علم نحو النّصّ.

وضمَّ الفصلَ الثّاني والمُعَنوَن ب "الاتّساق النّصّيّ في أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ" موضوعَ الاتّساق النّحويّ النّصّيّ والمعجميّ في مجالَيه النّظريّ والتطبيقيّ.

وعالجَ في الفصل الثّالث والمُعَنوَن ب "الانسجام النّصّيّ في أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ" مظاهر الانسجام النّصّيّ في مجالَيه النّظريّ والتطبيقيّ.

أمّا الخاتمة فقدّ سجّلَ فيها أهمّ النّتائج التي توصّل إليها الباحثُ؛ وعلى رأسها: نصوص أبي بكر الصّدّيق نصوص متّسقةٌ ومُنسجمة.

المقدّمة

بسم الله والحمد لله، والصّلاة والسّلام على سيّدنا محمّد رسول الله وعلى آله وصحبه ومن والاهُ، وبعد.

ظهر علم نحو النّصّ أواخر السّتّينيّات من القرن العشرين بعد أن طغى نحو الجملة على كلّ الدّراسات النّحويّة وأُشبِعَ دراسة وبحثًا، وبعد أن استنفذ نحو الجملة أغراضه، ولم يعد وحدَه يفي بمتطلّبات النّصّ، ولم يعد قادرًا على أن يساوق مجريات العلم اللغويّ النّصّيّ الحديث، ولا سيّما عند تعرّضه لمعالجة النّصّ الأدبيّ.[1]

أصبحت الحاجة ماسّة إلى علم بديل يكون أرحب سعة، وأكثر عمقًا، وأشمل إحاطة، وهذا العلم هو علم نحو النّصّ؛ لأنّ "دراسة النّصوص لا بدّ لها أن تكون "دراسة للمادّة الطبيعيّة التي توصلنا إلى فهم أمثل لظاهرة اللغة، لأنّ النّاس لا تنطق حين تنطق، ولا تكتب حين تكتب جُمَلًا أو تتابعًا من الجمل؛ ولكنّها تعبّر عن الموقف اللغويّ الحيّ من خلال حوار معقّد متعدّد الأطراف مع الآخرين، ويكثر في هذه الحالة تصادم الاستراتيجيّات والمصالح وتَعقّد المقامات.. وتركّزت مهمّته في وصف العلاقات الدّاخليّة والخارجيّة للأبنية النّصّيّة بمستوياتها المختلفة، وشرح المظاهر العديدة لأشكال التّواصل، واستخدام اللغة كما يتمّ تحليلها في العلوم المتنوّعة"[2].

على الرّغم من أنّ نشأةَ هذا العلم كمصطلح نشأةٌ غربيّة؛ وأنّ التّأصيلَ له كمنهج وتأطيرَه قد تمّ على أيدي الباحثين الغربيّين؛ إلّا أنّنا لا نعدم وجودَ إرهاصات وإشارات نصّيّة عند القدماء في التّراث العربيّ موزّعة في ثنايا مؤلّفاتهم أحيانًا؛ ودراسات عميقة في موضوعات رئيسة بُنِيَت عليها الدّراسات الحديثة في تأسيس هذا العلم؛ وخاصّة نظريّة النّظم عند الجرجانيّ.

عاصر أبو بكر الصّديقُ رضي الله عنه فترةَ نزول القرآن الكريم المعجِز إعجازًا شاملًا كاملًا، كانت فيه اللغة العربيّة في أبهى صورها وأنضجها، وسمع من جوامع الكلم من النّبيّ العربيّ

---

[1] النّجيري، إيمان صالح: **نحو النّصّ، مدخل جديد في تدريس النّحو العربيّ**، مجلّة كلّيّة التّربية- جامعة بورسعيد، 2011م، 534/1.

[2] سعد، مصلوح: **من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، الكتاب التّذكاريّ لقسم اللغة العربيّة، الكويت: جامعة الكويت، 1989-1990م، ص2.

سيّدنا محمّد صلّى الله عليه وسلّم، مع جيلٍ عدّه إجماعُ أهل العلم بأنّه أكمل جيل بمعرفته اللغويّة، وبيانه وتبيينه، وحرصه على الدّقّة في اختيار الأدقّ والأنسب في بناء النّصوص بنـــاء متّســـقا منسجمًا متكاملًا.

وها هو يسكب من معين معرفته الأدبيّة نصوصًا متنوّعةً، وحسبما تقتضيها الحاجـــة، وتلحُّهـــا المتطلّبات، مراعيًا بها مقتضى الحال، فنجدُ أهلَ التّصانيف الذين عدّوه من أهل عصر الاحتجاج الأوّل، قد جمعوا له أدبه شعرًا ونثرًا، صُنِّفَت ضمن الخُطَبِ والوصايا، والمكاتبـــاتِ والعُهـــودِ، والحِكَمِ والتّوقيعات، والحِوارِ والجَدَلِ؛ اختار الباحث منها ستّين نصًّا نثريًّا.

وهذه النّصوص النَثريّة تبيّنُ لنا طبيعيّةَ أدبه، وكلامَه المرسل، وتعبيرَه البليـــغ الـــذي يُطـــرِب النّفوس، ويثيرُ الإعجابَ، ويوقِفُ الباحثَ وقفة احترام لتلك الدّقّة والمباشـــرة، وحســـن اختيـــار أدوات الاتّساق بين الجمل، والتّسلسل المنطقيّ في بناء الفقرات؛ لينتج لنا نصّا أدبيّـــا مفهومًـــا، واضحًا، ومُنسجمًا مع ذاته ومع نصوصه الأخرى ومتناغمًا وحال البيئة ومَقامها، ويحملُ فكرةً يرغب في مناقشتها، ودلالةً يحرص على إيصالها إلى الجمهور المُخاطَب[1].

فجاءت هذه الرّسالة الموسومة بعنوان "نحوُ النّصِّ في أدبِ أبي بكرٍ الصّدّيق رَضِـــيَ اللهُ عَنـــهُ النّثريِّ" لتضع بصمتها –ولو الشّيء اليسير– في هذا البحر الخِضَم.

سبب الاختيار

يعيد الباحث أسباب اختياره إلى: حبّه لمجال النّحو عامّة ونحو النّصّ خاصّة، ولكونه لَمَسَ حسًّا جديدًا في التّعامل مع موضوعات النّحو من خلال هذا العلم الحديث؛ علم نحو النّصّ، ووجد في نصوص الصّدّيق حالةً من القُرب من القرآن الكريم وأحاديث النّبيّ صـــلّى الله عليـــه وســـلّم، والسّلاسة في العرض بلا تشدّق أو تفيهق، إضافة إلى ذلك شعوره بأنّه جزء من هـــذا الكيـــان العظيم شأنه؛ لغةً، ونحوًا، وأدبًا، ومبدعين.

[1] ينظر: خالد، محمد خالد: **وجاء أبو بكر**، ط1، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصريّة، 1962م، ص127–137.

أهمّية البحث

تكمن أهمّيّة البحث في كونه الدّراسة الأولى التي تتناول نَحوَ النّص في أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ رضي الله عنه، ولكونه الخليفة الأوّل في الأمّة المحمّديّة، وفي بيان اتّساق أدب الصّدّيق وانسجامه ومراعاته لكلّ ما يحيط حوله، وتسخير قدرته اللغويّة والبيانيّة بمحاولة منه لجمع القلوب، وتوجيه العقول، وتهدئة الخواطر، وإحقاق الحقّ، وفي محاولة ربط أدب أجدادنا القدماء في تراثنا العربيّ مع أحدث العلوم اللغويّة وأوسعها؛ وهو علم نحو النّصّ، وإحياء أدبهم الجميل.

مشكلة البحث

تتمحور مشكلة البحث حول التّساؤلات التّالية:

كيف نشأ علم النّصّ ونحوُه وتطوّرَ في العالَم العربيّ والغربيّ؟

ما هي أدوات الاتّساق النّحويّة النّصّيّة في أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ؟ وما هو البُعد الدّلاليّ لتواجدها في النّصّ؟ وكيف أثّرت عليه وجعلته نصّا متّسقًا؟

ما هي مظاهر الانسجام النّحويّة النّصّيّة في أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ؟ وما هو البُعد الدّلاليّ لتواجدها في النّصّ؟ وكيف أثّرت عليه وجعلته نصّا منسجمًا؟هل كانت نصوص أبي بكر الصّدّيق نصوصًا متّسقةً ومنسجمة.

أهداف البحث

تسعى هذه الدّراسة والموسومة بعنوان "نحو النّصّ في أدب أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه النّثريّ" إلى تطبيق ظاهرتَي الاتّساق والانسجام في أدب الصّدّيق؛ من خلال عناصر الاتّساق لبيان مدى التّرابط النّحوي بين أجزاء النّصّ ومركّباته، ومظاهر الانسجام؛ من خلال التحام مركّبات النّصّ بعضها ببعض داخليًّا، وإظهار وضوح البنية الكلّيّة، والعلاقة الوثيقة بين النّصّ ونصوص أخرى، وبين النّصّ والمقام الواقع في البيئة المحيطة.

الصّعوبات

تكمن الصّعوبات في كون نصوص الصّدّيق رضي الله عنه مبثوثة في كتب التّاريخ واللغة غير مجموعة، وكذلك الحال في دراسة ترجمته؛ ما يصعّب تحصّلها من مظانّها، وفي سعة الموضوعات المطروحة في علم نحو النّصّ، وكثرة اللّسانيّين عَربًا وغَربًا، وتنوّع الآراء والمواقف وفهم النّظريّات واختلافات وجهات النّظر، وتعدّد التّرجمات العربيّة للمصطلح الواحد، وفي ضيق الوقت مقابل زخم المعلومة، وتحصّل المعلومات من مصادرها الورقيّة الأصليّة؛ فكان لزامًا الاستعانة بالمصادر من الشّبكة العنكبوتيّة (بي. دي. إف) من المكتبات المعتمدة.

الدّراسات السّابقة

1. لربيعة بن مخلوف، وعنوانها "الانسجام النّصّيّ في الرّسالة الهزليّة لابن زيدون"، رسالة ماجستير من العام 2009م، والتي خلص الباحث فيها إلى نتائج؛ من أهمّها: وقوع خلط كبير عند العلماء بين مصطلحيّ النّصّ والخِطاب وبين مصطلحيّ الاتّساق والانسجام، وأنّ تحديد مدى الانسجام النّصّيّ لا يتمّ بآليّات وأدوات نهائيّة ثابتة، ودراسة هذه الرّسالة تؤكّد توفّرها على الرّوابط الشّكليّة اللغويّة الكافية لاتّساقها، وتبيّن الدّور الفاعل للسّياق والقارئ في كيفيّة تحديد المعنى وخلق نصيّة النّصّ.

2. لعلي محمود طاهر أبي عبيد، وعنوانها "نحو النّصّ في أسريّات أبي فراس الحمدانيّ"، رسالة ماجستير من العام (2011م) والتي خلص الباحث فيها إلى نتائج؛ من أهمّها: نحو الجملة هو الرّافد الأساس لنحو النّصّ، ويعتني نحو النّصّ بالمبدع، والنّصّ، والمتلقّي، ولا يسمح باستقلال أحدهم بنفسه، وإمكانيّة تطوّر ظاهرة التّكرار في الدّراسات اللغويّة القديمة إلى إحالة تكراريّة في الدّراسات اللسانيّة الحديثة.

3. لمحمّد الأمين، وعنوانها "التّماسك النّصّيّ من خلال الإحالة والحذف، دراسة تطبيقيّة في سورة البقرة"، رسالة ماجستير من العام (1045م)، والتي خلص الباحث فيها إلى نتائج عدّة؛ من أهمّها: لم يتّفق النّصّيّون على تقسيم مستقرّ لأدوات الاتّساق وآليّات الانسجام،

وإجراءات لسانيّات النّصّ قابلة للتّطبيق على المدوّنة العربية بصبغة عامّة وعلى القرآن الكريم بصبغة خاصّة، وقامت أداة الإحالة بدورٍ كبير في تحقيق التّماسك النّصّيّ في سورة البقرة، وكان للحذف أهمّيّة بالغة في تحقيق عمليّة الاتّساق النّصّيّ.

4. لفداء نزار رشيد زربا، وعنوانها "نحو النص في الجزء الثلاثين من القرآن الكريم جزء عم"، رسالة ماجستير من العام (2016م)، والتي خلصت الباحثة فيها إلى نتائج؛ من أهمّها: الدّراسات النّصّيّة قد فتحت نافذة جديدة للدّارسين ليطلّوا منها على عالم النّصّ، ويعد علم المناسبات وجهًا من وجوه الإعجاز القرآنيّ، والقرآن الكريم يجمع بين الجانبين الدّلاليّ والصّوتيّ محقّقًا جرسًا صوتيًّا مؤثّرًا وكذلك المقاطع.

5. لفوزيّة ميرتاج، وعنوانها "التّحليل النّصّيّ في التّفاسير القرآنيّة البيانيّة والموضوعيّة"، رسالة دكتوراة من العام (2013م)، والتي خلصت الباحثة فيها إلى نتائج؛ من أهمّها: علم التّفسير يشبه علم "نحو النّصّ" و "التّحليل النّصّيّ" في تطبيق الأسس التّحليليّة والتّوصّل إلى فهم الأفكار، وليست كلّ المعايير النّصّيّة قابلة للتّطبيق على النّصّ القرآنيّ، والفرق بين نحو النّصّ القديم وبين الحديث هو التّطوّر الزّمنيّ واستقلاليّته كَفَنّ.

6. لسليمان بوراس، وعنوانها "القرائن النّحويّة اللفظيّة والاتّساق النّصّيّ"، رسالة دكتوراة من العام (2014م)، والتي خلص الباحث فيها إلى نتائج؛ من أهمّها: أنّ التّراث النّحويّ زخر بكثير من المفاهيم اللسانيّة التي أماطت الدّراسات اللسانيّة الحديثة اللثامَ عنها، وأنّ القرائن العلائقيّة من أهمّ ما تتمثّل فيها ظاهرة الاتّساق من خلال تعدّد مظاهرها، وأنّ قرينة النّغمة –وهي قرينة فوق تركيبيّة– يمكن أن تصبغ التّركيبَ كلّه بصبغة المعنى الذي تحمله، وأن المطابقة بين العناصر اللغويّة وبين المواضع التي تكون فيها ممكن أن تكون مؤشّرًا للاتّساق النّصّيّ.

منهجيّة البحث

اعتمد الباحث في هذه الدّراسة النّحويّة للنّصّ الأدبي منهجين اثنين: التّاريخيّ والوصفي؛ أمّا التّاريخي فكان عند علم النّص ولسانيّاته ونحوه (النّشأة، والتّطوّر)، وترجمة أبي بكر الصّدّيق في

التّمهيد؛ وأمّا الوصفيّ فكان عند الدّراسة النّحويّة للنّصوص المختارة، وبيان ظـــاهرة اتّســـاقها وانسجامها، ووصف طبيعة الوسائل العاملة على هذا الاتّساق والانسجام وتحليله.

محتوى البحث

يتضمّن البحث مقدّمة، وتمهيدًا، وثلاثة فصول، وخاتمة؛ تناولت المقدّمة أسباب ظهور علم نحو النّصّ والحاجة إليه، أمّا التّمهيد؛ فقد تناول ترجمة أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه.

وتضمّن الفصل الأوّل والمُعنون ب "علم النّصّ؛ النّشأة والتّطوّر" مَبحَثَين اثنين، تطرّق الباحـــث في الأوّل إلى مفهوم النّصّ اللغويّ والاصطلاحيّ، ومفهوم علم النّصّ ونشأته، وعوامل تأسيسه، ومَهَمّته، ومعايير نصّيّته، وفي المبحث الثّاني إلى علم نحو النّصّ؛ من حيث مفهومـــه اللغـــويّ والاصطلاحيّ، وأهمّيّته، وتناول القدماء والمحدثين له، وأوجه الاتّفاق والاختلاف بينه وبين نحو الجملة، وخصائص نجاحه.

وتضمّن الفصل الثّاني والمعنون ب "الاتِّساقُ النَّصِّيُّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّـــدّيق –رَضِـــيَ اللهُ عَنهُ–" مبحثين اثنين، تطرّق الباحث في الأوّل إلى الاتّساق النّصّيّ النّحويّ والمُعجميّ في مجاله النّظريّ، من حيث مفهومه، وأنواعه، وأدواته النّحويّة: الإحالة، والاستبدال، والحـــذف، وإلـــى الاتّساق المعجميّ: من حيث التّكرار ومفهومه اللغويّ والاصطلاحيّ، وأنواعه، ووظائفه، ومـــن حيث التّضام (المصاحبة اللغويّة) ومفهومه اللّغويّ والاصطلاحيّ، وأنواعه، وقام في المبحـــث الثّاني بتطبيق أدوات الاتّساق النّصّيّ على أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ.

وتضمّن الفصل الثّالث والمعنون ب "الانسِجامُ النَّصِّيُّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّـــدّيق –رَضِـــيَ اللهُ عَنهُ" مبحثين اثنين، تطرّق الباحث في الأوّل الانسجام النّصّيّ في مجاله النّظريّ، مـــن حيـــث مفهومه اللغويّ والاصطلاحيّ، ودور المتلقّي في انسجام النّصّ، وأهمّيّته، ومظاهره: السّـــياق، والتّأويل، والتّغريض، والبنية الكلّيّة أو موضوع الخطاب، والتّناص، والمعرفة الخلفيّة، وقام في المبحث الثّاني بتطبيق مظاهر الانسجام النّصّيّ على أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ.

واختتم الباحث بحثه بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتاج التي توصّلَ إليها، ووصيّة.

التَّمْهيدُ: تَرجَمَةُ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق رَضِيَ اللهُ عَنهُ

ترك النّبيُّ –صلى الله عليه وسلم_ الناسَ على المحجّة البيضاء، وانتقل إلى جوار ربّه، فتألّق مِن بعدِه في سماء الإسلام نجمٌ مِن نجوم صحابته، كان وزيرَه الأوّل في حياته صلّى اللّه عليه وسلم، وصار خليفتَه بعد مماته، ذلكم هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه الّذي سار على نهجه، متّخذا اللينَ في رعاية الرّعيّة حينا، والحزم حينا آخر، فكان له من المواقف الجليلة ما سطّرها التّاريخ، جاعلا أدبه نثرا وشعرا طريقا في توصيل ما أراده وطمح به، وتحقيق أهدافه في شؤون الإدارة الدّاخليّة والخارجيّة.

ويعرض الباحثُ سطورا من سيرته علّها توضّح مكنونات هذا الخليفة وخصاله، وتظهر قدرته على تمسّكه ناصية اللغة وتسخيرها في المواقف المتباينة لتحقيق المُراد والمطلوب.

أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه؛ واسمه عبد الله بن أبي قحافة[1]، وذهب بعضهم إلى أنّه سمّي في الجاهليّة عبد الكعبة، فسمّاه رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عبد الله[2]، بينما سمّاه آخرون بعتيق، لأنّ أمّه كان لا يعيش لها ولد، فلمّا ولدته استقبلت به البيت الشّريف ثم قالت: اللّهم إنّ هذا عتيقك من الموت فهبه لي[3].

لقّبه رسولُ الله –صلى الله عليه وسلم– "عتيقًا" إمّا لجمال وجهه، أو لقوله له: "أنتَ عتيقُ اللهِ مِن النَّارِ"[4]، وإمّا لأنه لم يكن في نسبه شيء يعاب به، أو لأنّه قديم في الخير، والعتيق: القديم[5].

---

[1] ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع الهاشميّ البَصريّ: **الطّبقات الكُبرى**، دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط2، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1418ه– 1997م، 126/3.

[2] ابن خلّكان، أحمد بن محمّد بن أبي بكر: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق: إحسان عبّاس، ط6، بيروت: دار صادر، 1434ه–2013م، 64/3.

[3] ينظر: العسقلانيّ، شهاب الدّين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، تحقيق: علي محمّد البجاويّ، ط1، القاهرة: دار النّهضة، د.ت، 485/4، وابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: عمر بن غرامة العَمرويّ، ط1، بيروت: دار الفكر، 1415ه–1995م، 21/30.

[4] ابن بلبان، علي بن بلبان بن عبد الله علاء الدّين الفارسيّ: **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط2، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1418ه–197م، ج15، باب مناقب الصّحابة، رقم الحديث 6864.

[5] المحِب الطّبري، أبو جعفر أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، ط1، القاهرة: مكتبة الجندي، د. ت، 78/1، وابن عساكر: **تاريخ دمشق**، 22/30.

وأمّا لقبه الصّدّيق؛ فيقال: سمّاه النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– به أوّل إسلامه، أو حين أُسريَ به صلى الله عليه وسلم[1]، ويقال: لأنّه كان يلقّب بالصّدّيق في الجاهليّة لِما عُرف منه من الصّدق، أو لتسمية الله تعالى له به في القرآن الكريم[2].

ويوفّق الباحثُ بين هذه الأقوال؛ إذ يمكن أن يكون قد لقّبه بها أحدُ أبوَيه، ثمّ تابعه الآخر عليه أو لمعنى آخر، ثمّ تناولته قريش واستعملته، ثمّ أقرّه القرآن الكريم والرّسول صلى الله عليه وسلم، فانتشرَت بين الخاصّة والعامّة، وبها اشتهر.

أبوه أبو قحافة؛ واسمه عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيّم بن مُرّة بن كعب بن لؤيّ بن غالب بن فِهر بن مالك بن النَّضر بن كِنانةَ بن خُزيمةَ بن مُدركَة بن إلياسَ بن مُضَرَ بن نِزارَ بن مَعَد بن عَدنان القرشيّ، وهو مكفوف البصر، فإنّه أسلم يوم فتح مكّة، وكان المنذر لأهلها حين أقبل الحبشيّ بالفيل، وتوفّي في المُحرّم سنة أربع عشرة، وهو ابن سبع وتسعين سنة، وأمّه أمّ الخير واسمها سلمى بنت صخر بن عامر بن كعب بن سعد بن تيم بن مرّة، وأسلمت، وكان إسلامها مع إسلام أبي قحافة، وقد كانت قبل ذلك مائلة إلى النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وتوفّيت قبل وفاة أبي بكر[3].

وُلِدَ رضي اللّه عنه بمكّةَ في بيته المدوّر بعد الفيل بسنتين وستّة أشهر وبعد مولد النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وفي روايات أخرى بثلاث سنين[4].

نشأ بمكّةَ في قومه، لا يخرج منها إلّا لتجارة، وكان فيهم ذا مال جزيل، وثروة تامّة، وإحسان، وتفضُّل، ومحبّبا وسهلًا فيهم، ومن أعفّ النّاس، وكان من رؤساء قريش في الجاهليّة وأهل مشورتهم، يأتونه لغير واحدٍ من الأمر لعلمه وحسن مجالسته، ويسدّ حاجاتهم؛ فيقولون له: ولولا

---

[1] البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي: **أنساب الأشراف**، تحقيق: محمّد مجمّد تامر، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2011م، 20/10.

[2] العاصميّ، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي المكي: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1419ه–1998م، 412/2.

[3] ابن بلبان، علي بن بلبان بن عبد الله علاء الدّين الفارسيّ: **تحفة الصَّديق في فضائل الصِّدّيق**، تحقيق: محيي الدين مستو، ط1، دمشق: دار ابن كثير،1408ه–1988م، ص9، والبلاذري: **أنساب الأشراف**، 99/10.

[4] ينظر: العسقلانيّ، شهاب الدّين: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 458/4، وابن سعد، محمّد: **الطّبقات الكُبرى**، 151/3.

أنت ما انتظرنا به فإذ قد جئت فأنت الغاية والكفاية. وقالت عائشة رضي الله عنها: لقد ترك هو وعثمان شُرْبَ الخمر في الجاهليّة، ولمّا جاء الإسلام أُكرِهَ على ما سواه ولم يفعل، ودخل في الإسلام أكمل دخول[1].

بين قومه رفيعة؛ إذ "كانت تساق إليه الأشناق في الجاهلية، وهي الدّيّات التي يتحملها ممن يتقرّب لذلك من العشيرة، فكان إذا حمل شيئا من ذلك فسأل فيه قريشا مدحوه وأمضوا إليه حمالته، فإن احتملها غيره لم يصدقوه"[2].

تزوّج رضي الله عنه أربع نساء؛ اثنيتن في الجاهليّة: قُتَيلة ابنة عَديّ، ودَعْد أمّ رومان بنت عامر، واثنتين في الإسلام: أسماء بنت عميس وحَبيبة بنت خارجة[3].

كان له من الأولاد ستّة: ثلاثة بنين، وثلاث بنات، أمّا البنون: فعبد الله وهو أكبر أولاده الذّكور وأمّه قُتَيلة، وعبد الرّحمن وأمّه أمّ رومان ويُكنّى أبا عبد اللّه، ومحمّد وأمّه أسماء بنت عُمَيس ويكنّى أبا القاسم، وأمّا البنات: فعائشة أمّ المؤمنين شقيقة عبد الرّحمن، وأسماء بنت أبي بكر شقيقة عبد الله وهي أكبر بناته وهي ذات النّطاقين، وأمّ كلثوم وهي أصغر بناته وأمّها حبيبة بنت خارجة[4].

كان رضي الله عنه "طويلا، أبيض يخالط لونه الصّفرة، نحيفا، خفيف العارضين، مشرف الوَرِكين، أجنأ لا يستمسك إزاره يسترخي عن حقويه، غائر العينين، ناتئ الجبهة، عاري الأشاجع، معروق الوجه، جعدا، جميلا، حَسن القامة"[5].

---

[1] ينظر: العاصميّ، عبد الملك: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، 411/2، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 31/30.

[2] العسقلانيّ: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 461/3.

[3] الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطّار، ط1، بيروت: دار الفكر، 1418ه-1998م، 76/4.

[4] ابن سعد، محمّد: **الطّبقات الكُبرى**، 125/3، العاصميّ، عبد الملك: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، 462/2.

[5] ينظر: ابن خلّكان، أحمد: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، 65/3، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 28/30.

وكان في شبابه أفرع، وفي كبره كأنّ رأسه ضِرام عـرفج، ولحيتـه حمـراء قانيـة، وهـو الأسنّ بين الصّحابة، ويخضب بالكتم والحنّاء، وفي نزعه ضعف؛ إشارة إلـى ضـعف قوّتـه الجسديّة[1].

اتّصف رضي له عنه بجملة من الصّفات الخُلُقيّة الحميدة، سواء في الجاهليّة الّتي انتشـر بهـا الفحش وسوء الخُلق، أو في الإسلام الذي يحمل في مبادئه الأخلاق الرّفيعة السّامية.

ولم يجد الباحثُ في كتب تراجم الرّجال والسِّيَر –على حدّ بحثه وتنقيبه– من تعرّض له بصفات قبيحة أو أخلاقيّات مشينة، ولو بصفة واحدة؛ وكأنّهم أجمعوا على رفعة أخلاقه، وحُسن سيرته، وجمال و سريرته وصفائها، وفي الآتي جملة من صفاته الخُلُقيّة:

أبو بكر الصّدّيق مِن أدنى النّاس إلى كمال الخُلُق، "لم يشرب الخمر لا في جاهليّة ولا في إسلام، أوّاهٌ لرأفته ورحمته، مُنيب القلب، مُؤلَف لقومه لعلمه وتجاربه وحُسن مجالسته، مِن أحبّ النّاس إلى النّاس، وأكثرهم مودّة، سهل ليّن، خير خليفة، رحيم بالرّعية وحنون عليهم، ونقش خاتَمَـه بعبارة "نِعمَ القادر الله".[2]

وبكّاء لا يملك دموعه حين يقرأ القرآن[3]، بريّ تقيّ، متواضع، يقول إذا مدحه أحدُهم: "اللّهم أنت أعلم بي مني بنفسي، وأنا أعلم بنفسي منهم، اللّهم اجعلني خيرا ممّا يحسنون، واغفر لي مـا لا يعلمون، ولا تؤاخذني بما يقولون"[4].

---

[1] البخاريّ، محمّد: **صحيح البخاريّ**، مِن حديث طويل جاء فيه: عن نافع أنّ عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قـال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا، جَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَاللَّهُ يَغْفِرُ لَهُ.." 11/5.

[2] ينظر: العسقلانيّ، شهاب الدّين: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 461/3، وهيكل، محمّد حسين: **الصّدّيق أبـو بكـر**، ط6، مصر: دار المعارف، د. ت، ص9.

[3] ينظر: المحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 97/1، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينـة دمشـق**، 32/30.

[4] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 32/30.

وزاهدٌ في الدّنيا ومتاعها، يتحدّث عن نفسه لابنته عائشة رضي الله عنهما، وهو في فراش المرض: "لم أَعْدُ سدّ الجوعة، ووَرْيَ العورة، وقواتَ القوام؛ من طَوى مُمعِض تهفو منه الأحشاء، وتجف له الأمعاء"[1].

وشجاعٌ لا يخاف في الله لومة لائم، حيث يدفع عن النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– الأذى، ويسانده في أشدّ أحوال الدّعوة وأصعبها يوم لا سَنَدَ ولا قوّةَ عشيرة ولا مُدافع، بشهادة من القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾[2]، "فهو يدفع المشركين وعلى رأسهم عقبة بن أبي معيط حين جاء إلى النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، فوضع رداءه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فجاء أبو بكر حتّى دفعه، وتلا الآيةَ السّابق ذكرها"[3].

ويظهر شجاعا في موقفه يوم السّقيفة، حين بادر الأنصار في تولّي الأمر بعد النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، يوم الفراغ السّياسيّ والإداريّ والقياديّ وغياب النّبوّة، فيستمع لهم ويصغي، ويحاور ويجادل، ويأتي بالحجّة القويّة؛ فيتغلّب على فتنةٍ كادت تطيح بالأمّة وتفنيها، فالإمارة يتسلّمها القرشيّون، والوزارة يتسلّمها الأنصار، فقال في كلامه: " نَحْنُ الأُمَرَاءُ وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، فَقَالَ حُبَابُ بْنُ المُنْذِرِ: لاَ وَاللَّهِ لاَ نَفْعَلُ، مِنَّا أَمِيرٌ، وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: لاَ، وَلَكِنَّا الأُمَرَاءُ، وَأَنْتُمُ الوُزَرَاءُ، هُمْ أَوْسَطُ العَرَبِ دَارًا، وَأَعْرَبُهُمْ أَحْسَابًا"[4].

وتبرز بطولته مع رسول اللّه –صلى الله عليه وسلم– يوم أُحُد حين ولّى النّاسُ، ويَثبُت والنّبيّ صلى الله عليه وسلم مسجّى حين اهتزّ الصّحابة وزُلزلوا، ويصرّ على رأيه وموقفه حين ارتدّ العرب جماعات جماعات في لحظة خالفه –ابتداء– جميع الصّحابة في محاربتهم، فما زال يحاور خيرة الصّحابة حتّى شُرحَت صدورهم وأيّدوه ونصروه، فيمضي وبكلّ حِدّة وشجاعة في

---

[1] ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيبة: **العِقد الفريد**، تحقيق: محمّد سعيد العريان، د. ط، 1987، 19/4.

[2] سورة غافر، الآية: 28.

[3] البخاريّ، محمّد: **صحيح البخاريّ**، 8/5.

[4] المصدر نفسه، 8/5.

محاربة مَن أبى من المرتدّين العودة إلى الإسلام حتّى أعادَ الأمر إلى ما كان عليه عهدَ النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، وفي الوقت نفسه يُسيّر جيشَ أسامة إلى الشّام.[1]

فجمع شيخُ الوقار، ومعدنُ الافتخار أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه في شخصيّته بين الرّقّة وصدق العزيمة.

عمِل رضي الله عنه قبل استخلافه في التّجارة، يغدو في كلّ يوم إلى السّوق فيبيع ويبتاع، وكانت له قطعة من غنم تروح عليه، وربّما خرج هو بنفسه فيها، وربّما رعيت له، وكان يحلب للحيّ أغنامهم، فلمّا استخلف، قالت جارية من الحيّ: الآن لا يحلب لنا منائحَ دارِنا. فقال: بلى، وإنّي لأرجو أن لا يغيّرني ما دخلت فيه عن خُلُق كنت عليه، فمكث كذلك بالسّنح ستّة أشهر ثم نزل إلى المدينة فأقام بها[2].

ولمّا استُخلف، تغيّرت الظّروف وتبدّلت الأحوال، وأصبحت المهام والمسؤوليّات كبيرة عظيمة، فكان يحدّث نفسه ويقول: "والله ما يصلح أمر النّاس بالتّجارة، وما يصلحهم إلا التّفرغ لهم، والنّظر في أمورهم، وما بدّ لعيالي ممّا يصلحهم، لكن لتقواه وورعه لم يتّكل على بيت مال المسلمين، فأصبح غاديا إلى السّوق، وعلى رقبته أثواب يتّجر بها، فلقيه عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة بن الجرّاح، فقالا له: أين تريد يا خليفة رسول الله؟ فقال: السّوق. فقالا: تصنع ماذا وقد ولّيت أمر المسلمين!؟ قال: فمن أين أطعم عيالي؟ قالا: انطلق حتّى نفرض لك شيئا، فانطلق معهما ففرضوا له ما يصلح عياله يوما بيوم، وما كسوه في الرّأس والبطن، وما يحجّ به ويعتمر"[3].

---

[1] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 80/30.

[2] البلاذريّ، أحمد: **أنساب الأشراف**، 69/10.

[3] ينظر: ابن خلّكان، أحمد: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، 65/3، والعَمد، إحسان صدقي: **الشّيخان أبو بكر وعمر وولدهما برواية البلاذريّ**، ط2، الرّياض: دار المؤتمن، 1414ه–1994م، ص86، والمحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 44/1.

شهدَ له الصّحابة بأنّه أعلمهم وأكثرهم إدراكًا لما يقول النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، يقول بذلك الصّحابيّ أبو سعيد الخدريّ في رواية طويلة جاء فيها: "وَكَانَ أَبُو بَكْرٍ أَعْلَمَنَا"[1]، لقّبته العرب بعالِم قريش، وكان عالما بالأنساب، وأنسب قريش لقريش، وأعلمهم ممّا كان منها من خير وشرّ، ووصفه عليّ بن أبي طالب رضي الله عنه في كلام طويل جاء فيه: كنتَ.. وأسدّهم عقلا وأعرفهم بالأمور[2].

سمع من رسول الله صلى الله عليه وسلم الحديث والعلوم وروى عنه، ومروياّته في كتب الحديث مائتان واثنان وأربعون حديثا، وروى عن أبي بكر ما يزيد عن الخمسة والثّلاثين من الصّحابة.[3]

ألِفَه النّاس لعلمه وتجاربه وحسن مجالسته، وعظّموه لِما رأوا من تقديم رسول –الله صلى الله عليه وسلم– له، ولم يكن أحدٌ بعد النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– أهيبَ لما لا يعلم من أبي بكر، فإذا ما نزلت بأبي بكر قضية فلم يجد لها في كتاب الله أصلا ولا في السّنّة أثرا، قال: "أجتهد رأيي، فإن كان صوابا فمن الله، وإن كان خطأ فمنّي، وأستغفر الله"[4].

ومن علمه وثقافته تأويله الرّؤيا، ودقّته في فهم القرآن الكريم وتفسير آياته، فعندما رأى بعض النّاس يهتمّون فقط بأنفسهم ويتركون الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر، قام فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: أيّها النّاس إنّكم تقرؤون هذه الآية ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡۚ إِلَى ٱللَّهِ مَرۡجِعُكُمۡ جَمِيعٗا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ١٠٥﴾[5]، وإنا سمعنا رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– يقول "إن الناسَ إذا رأوا المنكرَ فلم يغيروهُ أوشكَ أن يعمهُم اللهُ بعقابهِ"[6]. واهتمامه

---

[1] البخاريّ، محمّد: **صحيح البخاريّ**، 4/5.

[2] العسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 459/4، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 7/30.

[3] العاصميّ، عبد الملك: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، 466/2، والعسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 458/4.

[4] البلاذريّ، أحمد: **أنساب الأشراف**، 68/10، والمحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 91/1.

[5] سورة المائدة، الآية: 105.

[6] ابن حنبل، أبو الفضل صالح بن أحمد: **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1413ه–1993م، 1/21.

باللّغة وتنبيه اللّاحنين وتصويبهم؛ فعندما رأى رجلاً بيده ثوب فقال له: أهو للبيع قال: لا أصلحك الله، فقال: هلا قلت: لا، وأصلحك الله، لئلا يشتبه الدّعاء لي بالدّعاء عَلَيّ[1].

تعدّدت الآراء حول توقيت إسلام أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه إلى أربعة آراء: أمّا الأول فيرى أنّه أوّل مَن أسلم جُملة، استنادا إلى الحديث الشّريف في بداية الدّعوة الإسلاميّة، حين سألوه صلى الله عليه وسلم وهو يبلّغ دعوته، ومن معك؟ قال: "حُرٌّ، وَعَبْدٌ"[2]، وكان معه يومئذ أبو بكر وبلال، ومعلوم أنّ بلال أسلم على يديّ أبي بكر، وأمّا الثّاني فيرى أنّه أوّل من أسلم مِن الرّجال، وأمّا الثّالث فيرى أنّه أوّل مَن أسلم من الشّيوخ، وأمّا الأخير فيرى أنّه أول من أسلم من الأحرار[3].

ويميل الباحث إلى قول ابن الصّلاح: والأورع أن يقال: أوّل من أسلم من الرّجال الأحرار أبو بكر، ومن الصّبيان عليّ، ومن النساء خديجة، ومن الموالي زيد، ومن العبيد بلال"[4].

في اللحظة التي عرض بها النّبيّ صلى الله عليه وسلم الإسلام على أبي بكر لم يتردّد ولم يتلعثم وقال له: مُدّ يدك فأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأنت رسول الله، يقول أبو بكر: فانصرفت وما بين لابتيها أشدَ سرورا من رسول، فإسلام رجل مثله بصداقته ومكانته وشهرته وعلمه ونفوذه ومحبّته له قوّة مَنَعة وسند لنبيّ الدّعوة، وحفظ حياض الدّين في المحاورات والمحاججة ومقارعة الخصوم والذّدّ عن الضعفاء، وإحقاق الحقّ، وربّما هذا هو الدّافع لما رواه أبو أروى الدّوسيّ في قوله: كنت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم جالسا، فطلع أبو بكر وعمر فقال: "الحمدُ للهِ الَّذي أيَّدني بِكُما"[5].

كان رضي الله عنه خير الصّحابة إسلاما، ثم لم يزل كذلك حتى قبضه الله على ذلك، ومن فضل إسلامه أنّه ما كلّمه النّبيّ صلى الله عليه وسلم في شيء إلّا قبله واستقام عليه، وأسلم على يديه

---

[1] ابن خلّكان، أحمد: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، 69/3، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 328/10.

[2] مسلم، أبو الحسن بن الحجّاج القشيريّ، **صحيح مسلم بشرح النّوويّ**، شرح: محيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ، ط1، بيروت– لبنان: دار الكتب العلميّة، 1347ه–1929م، 114/6.

[3] البلاذري، أحمد: **أنساب الأشراف**، 62/10، وابن سعد، محمّد: **الطّبقات الكُبرى**، 128/3.

[4] العسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 84/1.

[5] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 117/30.

عدد مِن كبار الصّحابة: كعثمان بن عفان وطلحة بن عبد الله والزبير بن العوّام وسعد بن أبـــي وقّاص وعثمان بن مظعون وأبو عبيدة وعبد الرحمن بن عوف وأبو سلمة[1].

كانت علاقة أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه بالنّبيّ –صلى الله عليه وسلم– وثيقة جـــدّا قبـــل الإسلام، صحبه وهو ابن ثماني عشرة سنة في تجارة إلى الشّام، لا يفارقه في سفره وحضـــره، كان إلفه وأنيسه ومستراحه، وموضع سرّه ومشاورته ونديمه، يتناولون أحوال الحياة وشؤونها، والنّظر في عجائب الأرض والسّماء والغيبيّات ووجود خالق واحد لهذه الأكوان الفسيحة، فوجد فيه الخير والفضل والقرب لقوى عُليا، والحماية والحفظ والاختصاص، ومن الآيات ما سبق بها اليقين في قلبه، ومن هنا نراه قد آمن به في الجاهليّة زمن بحيرا الرّاهب، وما كـــان منـــه إلّـــا انتظار نبوّته والدّعوة لدين حنيف، واستمرّت على حالتها حين في الإسلام[2].

هذه العلاقة الوثيقة، والتي بيّنتها عائشة في قولها: "لَمْ أعْقِلْ أبَوَيَّ قَطُّ، إلَّا وهُما يَدِينانِ الدِّينَ، ولَمْ يَمُرَّ علَيْنا يَوْمٌ إلَّا يَأْتِينا فيه رَسولُ اللَّهِ –صلى الله عليه وسلم– طَرَفَيِ النَّهارِ، بُكْرَةً وعَشِيَّةً"[3] بنت بينهما المودّة والمحبّة، لِما قاله النّبيّ صلى الله عليه وسلم حين سأله عمرو بـــن العـــاص: "أَيُّ النَّاسِ أَحَبُّ إِلَيْكَ؟ قَالَ: "عَائِشَةُ"، فَقُلْتُ: مِنَ الرِّجَالِ؟ فَقَالَ: "أَبُوهَا"، قُلْتُ: ثُمَّ مَنْ؟ قَالَ: "ثُمَّ عُمَـــرُ بْنُ الخَطَّابِ" فَعَدَّ رِجَالًا"[4]، ويصف أبو بكر هذه المحبّة بأبهى صورها فيقـــول: "فشـــربَ حتّـــى رضيتُ"[5].

وَثِقَ بالنّبيّ –صلى الله عليه وسلم– لدرجة جعلته صلى الله عليه وسلم يقضي في ماله، وصدّقه في كلّ شيء، ونصره في كل أحواله وظروفه، وعرف مكانته واحترم مقامه، وتأدّب معه حين محادثته ومجالسته، فيقول له حين سأله صلى الله عليه وسلم: أنا أكبر أو أنت؟ فأجابه بكلّ لطافة

---

[1] ابن بلبان، عليّ: **تحفة الصَّديق في فضائل الصِّدّيق**، 4/10، والمحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّيـــاض النّضـــرة فـــي مناقـــب العشرة**، 91/1.

[2] العسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 416/3، والمحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة فـــي مناقـــب العشرة**، 92/1.

[3] البخاريّ، محمّد: **صحيح البخاريّ**، 98/3.

[4] المصدر نفسه، 6/5.

[5] نفس المصدر: 127/3.

وحسن أدب: أنت أكبر وأكرم، وأنا أسنّ منك، وهذا ما كان يعبّر عنه رضي الله عنه دائما ويقول: إنّه صاحبي وأليفي وحبيبي، وهو أخير لي مِن الدّنيا وما فيها[1].

تحصّلَ رضي الله عنه معيّةً خاصّة مع النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، فاختاره صاحبا في الهجرة، ومعيّة أخرى من الله تعالى في الغار، فيقول له النّبيّ صلى الله عليه وسلم مهدّئا رَوعَه ومسكّنا فؤاده: "لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا"[2]، وأيضا "يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللهُ ثَالِثُهُمَا"[3]، وتلك المرتبة العالية من الخلّة والتي لو تحصّلها أحد من النّاس، لتحصّلها أبو بكر، فيقول النّبيّ – صلى الله عليه وسلم: "لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا، وَلَكِنَّهُ أَخِي وَصَاحِبِي"[4].

رَضِيَ عنه النّبيُّ –صلى الله عليه وسلم– فقال: " يا أيُّها النَّاسُ إنِّي راضٍ عن أبي بكرٍ فَاعرِفوا لَهُ ذلِكَ.."[5]، وأكرمه فقال له عندما أوتي بأبيه إليه ليعتنق الإسلام: "لو أَقْرَرْتَ الشيخَ في بيتِه لأتَيناه تَكرِمَةً لأبي بكرٍ فأسلمَ"[6]، ودعا له حين مُنصرَفِه من تبوك، فقال: "اللَّهمَّ إنَّك باركتَ لأصحابي في صُحبتي، فأَرِهم البركةَ، اللَّهمَّ إنَّك باركتَ لأصحابي في أبي بكرٍ الصِّدِّيق فلا تسلُبْهم البركةَ، واجمَعْهم لأبي بكرٍ ولا تنشُرْهم[7] عليه فإنَّه يُؤثرُ أمرَك على أمرِهِ.."[8].

نزلت فيه رضي الله عنه آيات قرآنيّة، حيث صاحبَ النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– فترة الدّعوة الإسلاميّة كلّها وحياته الخاصّة والعامّة، ورافقه في كلّ أوقات حِلّه وترحاله، فشهد الأحداث والوقائع، وأخذا سويّة أساليب ووسائل التّبليغ والإقناع والمحاججة، وتقاسما مشاعرَ الحزن

---

[1] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 14/30– 56– 61.

[2] البخاري، محمّد: **صحيح البخاريّ**، 4/5.

[3] مسلم، أبو الحسن: **صحيح مسلم بشرح النّوويّ**، 149/15.

[4] المصدر نفسه: 152/15.

[5] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 132/30.

[6] المصدر نفسه، 23/30.

[7] ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ): **لسان العرب**، ط1، القاهرة: دار الحديث، 1423ه/ 2003م. تنشرهم: النَّشَر: القوم المتفرّقون الذين لا يجمعهم رئيس، مادّة (نشر).

[8] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 14/30.

والسّعادة، والصّبر والجلد، والشّدّة والرّخاء ليل نهار، ووقفا جنبا إلى جنب في الشّدائد والمصاعب والبلايا.

ومع نزول القرآن الكريم مُنجّما على ثلاث وعشرين سنة، كانت منه آيات نزلت فيه، وأحاديث نبويّة شريفه، تعرّض لها المفسّرون والمؤرّخون ورجال الحديث، فأمّا الآيات القرآنيّة منهم من أكّد نزول تسع آيات فيه كابن عساكر[1]، ومنهم من أضاف سبع آيات أخرى مؤكّدا ستَّ عشرة آية كالعاصميّ[2] نذكر منها:

الأولى: آية أجمع المسلمون على أنّ المراد بالصّاحب هنا أبو بكر: ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾[3].

الثّانية: هذه الآية كسابقتها، حيث أجمع المسلمون على أنّها نزلت في أبي بكر: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا ٱلْأَتْقَى ﴿١٧﴾ ٱلَّذِى يُؤْتِى مَالَهُۥ يَتَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَمَا لِأَحَدٍ عِندَهُۥ مِن نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰٓ ﴿١٩﴾ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ رَبِّهِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٢٠﴾ وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ ﴿٢١﴾﴾[4].

الثّالثة: آية عدّها بعهم أنّها وزلت في أبي بكر:﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾﴾[5].

وأمّا الأحاديث النّبويّة الشّريفة فقد بلغت مائة وتسعة وعشرين حديثا تناولت الصّدّيق من كلّ جوانبه[6].

لم تَخْفَ على أحد أحقّيّته بالخلافة، فحين سُئلت عائشة رضي الله عنها: "مَنْ كَانَ رَسُولُ اللهِ – صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ– مُسْتَخْلِفًا لَوِ اسْتَخْلَفَهُ؟ قَالَتْ: أَبُو بَكْرٍ، فَقِيلَ لَهَا: ثُمَّ مَنْ؟ بَعْدَ أَبِي بَكْرٍ قَالَتْ:

---

[1] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 10/30.

[2] العاصميّ، عبد الملك: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، 2/414-417.

[3] سورة التّوبة، الآية: 40.

[4] سورة اللّيل، الآية: 17-21.

[5] سورة الزّمر، الآية: 33.

[6] العاصميّ، عبد الملك: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، 2/417.

عُمَرُ، ثُمَّ قِيلَ لَهَا مَنْ؟ بَعْدَ عُمَرَ.."[1]، فهذا الكلام من عائشة، وإشادة النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– بأبي بكر وتقديمه في أمور جليلة كالصّلاة والحجّ بالنّاس وغيرها الكثير وضع أمام الشّرّاح وجود "دليل لأهل السّنّة في تقديم أبي بكر ثمّ عمر للخلافة مع إجماع الصّحابة"[2].

وُلِّيَ خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبويع في سقيفة بني ساعدة يوم الإثنين يوم وفاة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن إحدى وستين، وبويع بيعة العامّة على المنبر في الغد يوم الثّلاثاء، إلى أن مات ليلة الثّلاثاء أو ليلة الأربعاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة –أو تسعة– أيام[3].

لم يطمع في الخلافة، وكان قد قال لمن وُجد في السّقيفة "فَبَايِعُوا عُمَرَ، أَوْ أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الجَرَّاحِ"[4]، وقال في خطبة له: "والذي نفسي بيده، ما أخذتها رغبة فيها، ولا إرادة استئثار على أحد من المسلمين، ولا حرصت عليها يوما وليلة قطّ، ولا سألتها الله عزّ وجلّ سرّا ولا علانية، ولقد تقلدت أمرا عظيما لا طاقة لي به إلّا أن يعينني الله عزّ وجلّ عليه"[5]، وحاول بعد ذلك تقديم استقالته، فقام خطيبا وقال: أيّها النّاس قد أقلتكم بيعتكم. فقال عليّ: والله لا نقيلك ولا نستقيلك، قدّمك رسول الله صلى الله عليه وسلم في الصّلاة فماذا يؤخّرك. وتردّد على كلّ لسان مقولة أخرى لعليّ "رَضِيَه رسول الله صلى الله عليه وسلم لديننا فرضيناه لدنيانا[6]، فانعقد الإجماع على مبايعته، ولقّبوه خليفة رسول الله، وانقادوا لمتابعته، وانتظمت الأمور بحسن سيرته وصدق سريرته، وكان خير خليفة، أرحم بهم وأحنى عليهم ومشاوِرا إيّاهم[7].

---

[1] مسلم، أبو الحسن: **صحيح مسلم بشرح النّوويّ**، 154/15.

[2] المصدر نفسه، 154/15.

[3] ينظر: ابن خلّكان، أحمد: **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، 65/3. وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 323/30.

[4] البخاريّ، محمّد: **صحيح البخاريّ** 8/5.

[5] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 305/30و 446.

[6] المحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 81/1.

[7] ينظر: ابن بلبان، عليّ: **تحفة الصّديق في فضائل الصّدّيق**، ص6، والعسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 458/4. والبلاذري، أحمد: **أنساب الأشراف**، 587/10.

كان منزله بالسّنح عند زوجته حبيبة بنت خارجة، وكان قد حجر عليه حجرة من شعر، فأقام فيه بعد أن بويع ستّة أشهر يغدو على رجليه أو يركب فرسا له إلى المدينة، ثمّ تحوّل إلى منزله بالمدينة عند المسجد، واستعمل على الحجّ سنة إحدى عشرة عمر بن الخطّاب، ثمّ اعتمر سنة اثنتي عشرة، ثمّ حجّ إفرادا في العام نفسه، ووقع في أيّامه من الأمور الكبار: تنفيذ بعث أسامة، وقتال أهل الرّدّة، وجمع القرآن الكريم، وفتح بلاد الشّام وقسم كبير من العراق[1].

كان قاضيه عمر بن الخطّاب، وحاجبه شديد مولاه، وخليفته في المدينة المنوّرة وقتَ عمرته وحجّه عثمان بن عفّان، ومواليه بلال بن رباح وأمّه حمامة، وكُتّابه عثمان بن عفان وزيد بن ثابت وعبد الله بن الأرقم وحنظلة بن الرّبيع، ونقش خاتمه "نعم القادر الله"، وخاتَم رسول الله – صلى الله عليه وسلم– في يده[2].

من مناقبه رضي الله عنه: العنوان الأوّل بعد النّبيّ –صلى الله عليه وسلم– لقوله عليه الصّلاة والسّلام "إِنْ لَمْ تَجِدِينِي فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ" لامرأة أتته وقالت له: أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ؟ كَأَنَّهَا تَقُولُ: المَوْتَ[3]، وشهد له بالجنّة، وجعله من أهل البيت والرّأي والشّورى ووزيرا، وهو بمثابة السّمع للنّبيّ عليه الصّلاة والسّلام، ونزول آيات قرآنيّة فيه وورود أحاديث نبويّة شريفة، والمعيّة في الغار، ووصفه النّاس بما وصفت به خديجةُ النّبيَّ صلى الله عليه وسلم، ومشهور في السّماء واسمه هناك الحليم، ومُقدّم عند جميع الصّحابة وسيّد ومحبوب وموقّر[4].

ومِن خصائصه رضي الله عنه: أوّل من أسلم وأظهر إسلامه وخطب داعيا إلى الإسلام، ولم يتردّد ولم يتلعثم حين عُرض عليه، والصّحبة بنصّ قرآنيّ صريح، والصّدّيقيّة في أمّة النّبيّ –صلى الله عليه وسلم–، وبابه على المسجد النّبويّ لم يُغلَق، وأوّل مَن صلّى مع رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وأمّ في محرابه في حياته وارتقى مَنبره، وصاحبه في الهجرة وفي

---

[1] البلاذري، أحمد: **أنساب الأشراف**، 72/10، وابن بلبان، عليّ: **تحفة الصَّديق في فضائل الصِّدّيق**، ص10.

[2] ابن خلّكان، أحمد: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**70/3–71، وابن عبد ربه، أحمد: **العِقد الفريد** 246/4.

[3] البخاريّ، محمّد: **صحيح البخاريّ**، 55/5.

[4] ينظر: العسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 460/3، والمحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 96/1.

الغار، وأوّل من استعمله الرّسول –صلى الله عليه وسلم– في الحجّ على المسلمين، ودفع رايته العظمى يوم تبوك إليه وكانت سوداء، وأوّل من دُعِيَ بخليفة، وسمّوه بخليفة رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، ووليَ الخلافة وأبوه حيّ، وأوّل من جمع المصحف بين لوحين[1].

ومن فضائله رضي الله عنه: من خيار النّاس في أهل مكّة، استعانوا به فيما نابهم، وكانت له ضيافات لا يفعلها أحد، قويّ الإيمان، وثقته بالله عالية، وحريص على إظهار الحقّ، وعلاقته بالمجتمع وثيقة حميمة، يتفقدّهم ويحلب الغنم للعاجز منهم، وخطيب لسن ومحاور لبق ومحجاج حكيم ومُفتِن في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم، ومواقفه شجاعة مِقدامة، وصبور جلد يتحمّل الأذى في سبيل الدّين، عنده شعور بالمسؤوليّة وحاضر في كلّ مَهمّة وملمّة، سبّاق في عمل الخير، وكثير الطّاعات، منفق كمن لا يخشى الفقر، أسلم وله أربعون ألف درهم وتوفّي وليس عنده درهما ولا دينارا، وأعتق الرّقاب، وشهد الغزوات[2].

وأمّا فيما ورد بمرضه ووفاته، فقد أورد الطّبرانيّ أسباب وفاته رضي الله عنه المحتملة عند المؤرّخين، والتي أعادوها إلى: الكَمَد والحُزن على وفاة الرّسول الكريم –صلى الله عليه وسلم–، أو أنّه كان به طرف من سُل، أو أنّه حُمَّ على أثر اغتساله في يوم بارد، أو أنّ اليهود سمّته في طعام مسموم أُهدِيَ له، أو أنّه توفّيَ من تأثير لدغة في غار ثور عندما كان في الغار مع الرّسول –صلى الله عليه وسلم[3].

ولمّا اشتدّ به المرض كان ثابتا فاهما ومدركا لكلّ ما يدور حوله، واستخلف على المسلمين عمر بن الخطّاب بعد استشارة الصّحابة، وأوصاه بتقوى الله، وكان أبيضَ قضيفا، ولم يكن يملك من المال سوى بكر وقطيفة لا تساوي خمسة دراهم ومجشة، إلى أن قال عمر: رحم الله أبا بكر لقد كلف من بعده تعباً[4].

---

[1] ينظر: المحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 124/1، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 15/30–16، وابن خلّكان، أحمد: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، 66/3–68.

[2] ينظر: العسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 459/4، والمحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 75/1، وابن سعد، محمّد: **الطّبقات الكُبرى**، 127/3.

[3] المحبّ الطبريّ، أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، 97/1.

[4] ابن خلّكان، أحمد: **وفيَات الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، 65/3.

كانت ممرّضته ابنته عائشة، وأوصاها بعدم تأخير دفنه، وأن يدفن إلى جنب رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وحين حضرته الوفاة قال: وددت أني خضرة تأكلني الدّواب، وآخر ما تكلّم به تلاوة الآية الكريمة: ﴿تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ﴾[1]، ثمّ ودّع الحياة راضيا مرضيّا، ليلة الثّلاثاء أو ليلة الأربعاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة –أو تسعة– أيام، وحزن النّاس عليه حزنا شديدا وارتجّت المدينة بالبكاء كيوم قُبض النّبيّ –صلى الله عليه وسلم[2].

غسّلته زوجته أسماء بنت عميس رضي الله عنها بوصيّة منه، وصبّ عليها الماء ابنه عبد الرّحمن، وكُفّنَ في ثلاثة أثواب سحول يمانية ليس فيها قميص ولا عمامة، وحُمِلَ على السّرير الذي كان ينام عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وهو سرير عائشة من خشب الساج منسوج بالليف، وصلّى عليه عمر بن الخطّاب في مسجد رسول الله تجاه المنبر، وكبّر أربعا، ودُفن إلى جنب قبر النّبيّ صلى الله عليه وسلم، وأُلصِق لحده بلحده، ونزل في قبره عمر وعثمان وطلحة وعبد الرّحمن بن أبي بكر ودُفن ليلا رضي الله عنه وأرضاه[3].

رثاه عمر وعليّ وعائشة في كلام منثور، وحسّان بن ثابت وخفّاف بن ندبة السّلميّ في كلام منظوم[4].

وفيما يتعلّق بأدب أبي بكر الصّدّيق، أمّا الشّعر، هناك من نفى أن يكون أبو بكر الصّدّيق قد قاله، اعتمادا على ما قالته ابنته عائشة رضي الله عنها: "والله ما قال أبو بكر شعرا في جاهلية ولا إسلام"[5]، وما قاله عبد الله بن الزّبير رضي الله عنه: "ما قال أبو بكر شعرا قط ولكنكم تكذبون عليه"[6]، وهناك مَن أثبته له، كسعيد بن المسيّب رضي الله عنه في قوله: "وكان أبو بكر

---

[1] سورة يوسف، الآية: 101.

[2] ينظر: العسقلانيّ، شهاب الدّين، **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 62/1، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 438/30.

[3] العاصميّ، عبد الملك: **سمط النّجوم العوالي في أنباء الأوائل والتّوالي**، 464/2، وابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 432/30.

[4] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 30/22–25.

[5] المرجع نفسه، وكذلك الجزء والصّفحة.

[6] المرجع نفسه، وكذلك الجزء والصّفحة.

شاعرا.."، وما ورد في الجمهرة "ولم يبق أحد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلّا وقد قال الشّعر وتمثّل به"[1]، ووقف الباحثُ على بعضٍ منه في كتب التّراجم والتّاريخ والسِّير، وعلى ديوان[2] له يحوي سبعا وعشرين قصيدة، وهناك من قال بتمثّله رضي الله عنه بأشعار ليست له واستشهاده بها في أحواله وظروفه، نافيا عنه قوله "لكونه يحفظ الكثير من أشعار العرب"[3] وعنده ذائقة لمّاحة واستحسان.

ويميل الباحث إلى قول من أثبت قول الشّعر لأبي بكر الصّدّيق، لأنّ رجلا مثله بعلمه ومعرفته وثقافته ومكانته الاجتماعيّة الرّفيعة وسيادته في قومه، وإليه تعاد الدّماء، ومن أهل الحلّ والعقد، فالمنطق السّليم يقضي بثبوت قوله الشّعر وخاصّة قبل الإسلام.

وأمّا النّثر، فكان أبو بكر الصّدّيق رضي الله عنه قد حاز منه الحيّز الأوفر، والحظّ الأوفى، معتمدا على البديهة والارتجال وحسن الفطنة والذّكاء، وجعل الخطابة منبرا للتّأثير في نفوس السّامعين بما طاب من الكلام والأخلاق الكريمة والعقيدة القويمة لكونه كان خطيبا لَسِنا، وأخذ بالوصايا وسيلة لتوعية الخاصّة والعامّة وتنبيههم[4].

واستند على المكاتبات والعهود لتوطيد علاقة الأمّة المسلمة بالشّعوب الأخرى وحرص على الهدوء والاستقرار الدّاخليّ والخارجيّ، وجعل الحِكَم والتّوقيعات محلّ إيجاز في بيان المقصود والمراد بأقصر الطّرق وأسهلها وأوجزها، واتّخذ الحوار والجدل أسلوبا في مجال السّياسة والأدب والقتال وشؤون النّاس، وكلّ هذه الألوان تمتاز بالصّدق والعفويّة والجدّية لأنّها ابنة لحظتها وساعتها[5].

وهذا –أي الأدب النّثريّ– وألوانه ما وقع عليها اختيار الباحث في رسالته هذه، والتي سيأتي عليها بتوسّع في الفصول المُعَدّة لها بإذن الله تعالى.

---

[1] القرشيّ، أبو زيد محمّد بن أبي الخطّاب، **جمهرة أشعار العرب**، د. ط، بيروت: دار المسيرة، 1398ه– 197/م، ص16.

[2] راجي الأسمر (محقّق): **ديوان أبي بكر الصّدّيق**، ط3، بيروت: دار صادر، 1428ه/ 2007م، ص158.

[3] عبد الحكيم، ظافر عبد النّافع: **أبو بكر الصّدّيق حياته حتى خلافته**، ط1، الأردن: دار الكتاب، 1425ه/ 2005م، ص27.

[4] ابن بلبان، عليّ: **تحفة الصَّديق في فضائل الصِّدّيق**، ص10.

[5] ابن عساكر، عليّ: **تاريخ مدينة دمشق**، 247/30، وابن عبد ربه، أحمد: **العِقد الفريد**، 12/5.

الفَصلُ الأَوَّلُ

عِلمُ النَّصِّ؛ النَّشأَةُ وَالتَّطَوُّرُ

المَبحَثُ الأَوَّلُ

عِلمُ النّصِّ

مفهوم النّصّ اللغويّ والاصطلاحيّ

النّصّ لغة

"النّصّ" مصطلح كغيره من المصطلحات، فمن أجل التّعرّف على جوهره ومفهومه لا بدّ للباحث من العودة إلى المعاجم العربيّة القديمة منها والحديثة، وكذلك المعاجم الغربيّة.

النّصّ في المعاجم العربيّة

وردَ معنى كلمة النّصّ في المعاجم العربيّة القديمة والحديثة على معانٍ عدّة؛ يبيّنها الباحث على النّحو التّالي:

أمّا في القديمة

فالنّصّ: النّون والصّاد أصلٌ صحيح يدلُّ على رَفعٍ وارتِفاعٍ وانتهاءٍ في الشَّيء، وأَصْلُ النَّصِّ: رَفْعُك لِلشَّيْءِ، وأَقْصَى الشَّيْءِ وغَايَتُهُ، ثُمَّ سُمِّيَ بِهِ ضَرْبٌ من السَّيْرِ سَرِيعٌ، ونَصَّت الظبيةُ جِيدَها: رفَعَتْه، ونَصَّ نَاقَتَهُ يَنُصُّها نَصًّا: إذا اسْتَخْرَجَ أَقْصَى مَا عِنْدَهَا من السَّيْرِ، وَهُوَ كَذلكَ مِنَ الرَّفْعِ، فإِنَّه إِذا رَفَعَها فِي السَّيْرِ فقَد اسْتَقْصَى مَا عِنْدَها من السَّيْرِ. وسَيْرٌ نَصٌّ، ونَصِيصٌ، أَي جِدٌّ رَفِيعٌ، وَهُوَ الحَثُّ فِيهِ، وَهُوَ مَجَازٌ، والماشطة تنصّ العروسَ فتقعدها على المنصّة، وهي تنتص عليها أي ترفعها ، والمِنَصّة الثياب المُرَفّعة والفرُشُ الموَطَّأة.[1]

---

[1] ينظر: ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1392ه/ 1972م، مادّة (نص)، وابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ): **لسان العرب**، ط1، القاهرة: دار الحديث، 1423ه/ 2003م، مادّة (نصص)، والزّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419ه/ 1998، مادة (ن ص ص)

وكلّ ما أُظْهِرَ، فقد نُصَّ، وكل شيء أَظْهرْته، فقد نَصَّصْته.[1]

وَنَصَّ الْحَدِيثَ إِلَى فُلَانٍ رَفَعَهُ إِلَيْهِ، واستشهد الزّبيديّ على هذا المعنى في تاجه بعَمْرُو بنُ دِينَارٍ: مَا رأَيْتُ رَجُلاً أَنَصَّ لِلْحَدِيث من الزُّهْرِيّ، أَي أَرْفَعَ لَهُ، وأَسْنَدَ وَهُوَ مَجَازٌ.[2]

ونصَصْت الرّجُل: استقصيتُ مسألتَه عن الشَّيء حتَّى تَستخرِجَ ما عنده؛ وهو القياس، لأنّك تبتغي بلوغ النّهاية، ونَصُّ كُلِّ شَيْءٍ مُنْتَهَاهُ، وبَلَغَ الشَّيْءُ نُصَّهَ أَيْ مُنْتَهاهُ، واستُشهِدَ على ذلك بقول عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُ: إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ" يَعْنِي مُنْتَهَى بُلُوغِ الْعَقْلِ.[3]

والنّصنَصةُ: التّحريك، وَنَصَّ الشَّيْءَ يَنُصُّهُ نَصّاً: حَرَّكَهُ. ونُصَّ فُلانٌ سَيِّداً، أَي نُصِبَ. ونصَّ المتاعَ نصًّا: جَعَلَ بعضَهُ فوقَ بعضٍ. وانْتَصَّ الشيءُ وانتصبَ إِذا استوى واستقامَ وأضاف الفيروزآبادي: انْتَصَّ: انْقَبَضَ. والقِدْرُ: غَلَتْ.[4]

والنَّصُّ: الإِسْنَادُ إِلى الرَّئِيسِ[5]، والنَّصُّ: التَّوْقِيفُ، والنَّصُّ: التَّعْيِينُ على شَيْءٍ مَا، وَمِنْه أُخِذَ نَصُّ القُرْآنِ والحَدِيثِ، وَهُوَ اللَّفْظُ الدَّالُّ على مَعْنًى لَا يَحْتَمِلُ غيْرَهُ: وقِيلَ: نَصُّ القُرْآنِ والسُّنَّةِ: مَا دَلَّ ظَاهِرُ لَفْظِهِمَا عَلَيْه مِن الأَحْكَام، وَكَذَا نَصُّ الفُقَهَاءِ الَّذِي هُوَ بَمَعْنَى الدَّلِيلِ، بضَرْبٍ من المَجَازِ، كَمَا يَظْهَرُ عِنْدَ التَّأَمُّلِ. ونَصُّ الأَمْرِ: شِدَّتُهُ.[6]

---

[1] الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوسي، ط8، بيروت: مؤسسة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426ه/ 2005م، مادّة (نص).

[2] ينظر: الرّازيّ، زين الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي: **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت: المكتبة العصريّة، الدّار النّموذجيّة، 1420ه/ 1999م، مادّة (نصص)، والزّبيديّ، محمّد بن محمّد بن محمّد بن الرّزّاق الحسينيّ: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط1،بيروت: دار مكتبة الحياة، 1306ه، مادّة (نصص).

[3] ينظر: الفراهيديّ، الخليل بن أحمد: كتاب **العين**، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السّامرائيّ، ط1، بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، 1408ه/ 1988م، مادّة (نصص)، الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، بيروت: دار العلم للملايين، 1407ه/ 1987م، مادّة (نصص).

[4] ينظر: ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، مادّة (نص)، وابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (نصص) والزّمخشريّ: **أساس البلاغة**، مادة (ن ص ص)، والفيروزآبادى: **القاموس المحيط**، مادّة (نص) والفيروزآبادى: **القاموس المحيط**، مادّة (نص).

[5] الفيروزآبادى: **القاموس المحيط**، مادّة (نص).

[6] ينظر: الزّبيديّ: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادّة (نصص).

ويُجمل الزّبيديّ –وهو آخر المتقدّمين وفاةً– مبيّنًا المعنى الحقيقيّ ل "النّصّ" ونقيضه المجازيّ بقوله: وكُلُّ ذلِكَ مَجَازٌ من النَّصِّ بمَعْنَى الرَّفْعِ والظُّهُورِ.[1]

وأمّا في الحديثة

فقد اتّفق أصحاب المعاجم العربيّة المُحدَثون مع أجدادهم القدماء على كثيرٍ من المعاني؛ وأضافوا أخرى؛ وهي:

نصَّ الكلام: أملاه. كتبه، وكلامٌ منصوصٌ: مكتوب. ومن الكلام: متنُه، وجمعها نصوصٌ[2]. وتناصَّ القومُ: ازدحموا[3].

النّصَّ: صيغة الكلام الأصليّة التي وردت من المؤلّف. ونصَّ الشّواء نصيصًا: صوّت على النّار، والمنصوص عليه: المبيّن المعيّن.[4]

عند استقراء الباحث للفظة "نصّ" من المعاجم العربيّة –السّابق ذكرُها– وجد بعضَ أصحابها من أخذ بالتّوسيع وآخرين ضيّقوا، وظهر له أنّ النّون والصّاد أصلٌ صحيح يدلّ على الرّفع، والظّهور، وأقصى الشّيء وغايته ومنتهاه، وكلّ ما سِواه مجاز عند غير واحد، واتّضح أنّ هذه اللفظة تؤدّي إلى جملة من المعاني، الحِسّيّة منها والمعنويّة، أهمّها:

الرّفع والإظهار والجلاء والوضوح، والاستواء والاكتمال والانتصاب، والإدراك والغاية، ومنتهى الشّيء وأقصاه وشدّته.

والإسناد والتّنصيب، والجِدّ والرّفعة، والتّوقيف والتّحديد والتّعيين، والمتن والإملاء والكتابة.

والاستقصاء والإلحاح والحثّ الشّديد، والازدحام، والتّحريك والغليان، والسّير السّريع.

---

[1] الزّبيديّ: **تاج العروس من جواهر القاموس**، مادّة (نصص).

[2] جبران، مسعود: **الرّائد، معجم لغويّ عصريّ**، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م، مادّة (نصص).

[3] معلوف، لويس: **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، ط17، بيروت: مكتبة أورينت، 1960م، مادّة (نص).

[4] ينظر: مجمع اللغة العربيّة القاهرة: **المعجم الوسيط**، ط4، القاهرة، 1426ه/2005م، مادّة (نصص).

وبالرُّغم من مشاركة المعاجم العربيّة الحديثة نظيراتها القديمة في كثير من المعاني للفظة "نصّ"؛ إلّا أنّها أضافت معانيَ أخرى مثل قولهم: نصَّ الكلام: أملاه، وكتبه، وكلام منصوص: مكتوب. ونصّ من الكلام: متنه، والنّصَّ: صيغة الكلام الأصليّة التي وردت من المؤلّف.

بعد هذا الاستقراء يمكن للباحث أن يجمع بين المعاني العربيّة القديمة والحديثة ويتوصّل ألى أن هذا الكلام والمتن المكتوب وبعد أن بلغ فيه مُنتِجُه غاية الكمال والإدراك في ذهنه وخاطره قام بإظهارِه بواسطة نصّ وكأنّه مِنصّة وجَعلِه متنًا مكتوبًا، ورَفعِه إلى المُتَلقّي؛ وعلى المتلقّي أن يوقفه على المُنتِج ويُسنده إليه؛ وبهذا تتجلّى صورة الكمال بين المعنى المعجميّ العربيّ للنّصّ ومعناه الاصطلاحيّ.

النّص لغة في المعاجم الغربيّة

نجد في اللغات الأوروبية كالفرنسية أن مصطلح (Texte) يرتبط بالنسيج أو الأسياخ المظفرة[1]،

و (texte) من العائلة نفسها لكلمة (textile) التي هي في اللاتينيّة (textus) والتي تعني نَسيج أي مَنسوج[2]، والتي تحيل إلى "شدّة التّنظيم وبراعة الصّنع" وكلمة "النّسيج" تعود في منشئها إلى الحقل الصّناعيّ المادّيّ[3].

فالنّصّ (text) في اللغات الأجنبيّة مشتقّ من الاستخدام الاستعاريّ في اللاتينيّة الأجنبيّة للفعل (text re) الذي يعني: يحرّك أو ينسج، وفي قاموس (robert) الفرنسيّ: النّصّ مجموعة من الكلمات والجمل التي تشكّل مكتوبا أو منطوقا، وفي قاموس (larousse) الفرنسيّ: النّصّ: مجموعة مجمل المصطلحات الخاصّة التي تقرؤها عن كاتب.[4]

---

[1] فولفجانج هنيه من، ديتر فيهجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: فالح العجمي، ط1 جامعة الملك سعود، 1999، ص4.

[2] باديس، محمّد: **مفهوم النّصّ وقراءته في الفكر العربيّ المعاصر**، الجزائر، رسالة دكتوراة، 2016-2017، ص2-4.

[3] بوراس، خولة: **المعايير النّصيّة وتطبيقها في قصيدة الذّبيح الصّاعد لمفدي زكريّا**، الجزائر، رسالة ماجستير، ص20-21.

[4] ينظر: دحدوح، سميّة: **النّصّ والتّناص عند "عبد المالك مرتاض، نظريّة النّصّ الأدبيّ، أنموذجا**، رسالة ماستر، 2015م-2016م، ص7-10، وعزّام، محمّد: **النّصّ الغائب، تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ** ط1، اتّحاد الكتّاب العرب، دمشق، 2001، ص13-15.

ويذكر الأزهر الزّناد أنّ من ضمن المعاني الأساسيّة للفظة (textus) الورقة المطبوعة أو المكتوبة لوثيقة أو مؤلّف أصليّ، أو هو مجموعة العناصر والعبارات التي تكوّن مكتوبا أو مؤلّفا، خلافا لرؤوس الأقلام (notes) أو التّعليق (commentaires). ومن ذلك النّصوص القديمة أو الكتب الأجنبيّة في لغتها الأصليّة دون التّرجمة.[1]

ويبيّن سعيد يقطين أنّ المعاجم الغربيّة الحديثة وخاصّة في المعاجم اللغويّة الفرنسيّة تعني الكلام الأصليّ أو الوثيقة الأصليّة سواء أكانت مخطوطة باليد أو مطبوعة بالكتابة أو مسجّلة بالصّوت.[2]

يتّضح من الاستقراء أنّ لفظة "نصّ" في المعنى المعجمي الغربيّ تعني النّسيج والتّحريك في أصلها، ويبدو للباحث أن المعاني في المعاجم الغربيّة الحديثة تناولت المعنى الاصطلاحي وكأنّه أصبح معنى لغويًّا، كما هو الحال في المعاجم العربيّة الحديثة.

يرى الباحث أنّ المعاني المعجميّة جميعَها للفظة "نصّ" (texte) لا تبيّن المعنى المقصود للنّصّ في عصرنا الحديث، ولكن هذا لا يعني عدم إمكانيّة تقريب هذا المعنى المعاصر من جذوره القديمة اعتمادا على النّظّر والتّأمّل والتّأويل، وإسقاط المعنى المادّي القديم المحسوس وخصائصه والمعنى الوجدانيّ المعنويّ على المعنى المعاصر، ولو بشكل جزئيّ.

ومن باب تقريب المعنى المعاصر من جذوره القديمة يقول سعيد سقطين: "يسهل أن نستنتج من المعاني اللغويّة في الثّقافة العربيّة أنّ النّصّ كائنٌ لغويّ، يطلق على ما يظهر له المعنى في الشّكل الصّوتيّ المسموع من الكلام أو الّشكل المرئيّ عندما يترجم إلى المكتوب، وهذا الشّكل الصّوتيّ يمثّل آخر طور يبلغه الكلام في توليد بنية النّصّ الظّاهرة التي قد تطول أو تقصر، وهو السّمة المادّيّة التي تلازم أيّ نصّ من النّصوص اللغويّة ولا سيّما تلك النّصوص المكتوبة.

ويستنتج سعيد يقطين أنّ دلالة لفظة (texte) في الثّقافة الغربيّة على النّسيج، هي أقرب من نظيرتها في الثّقافة العربيّة إلى المعنى الاصطلاحيّ، كما أنّ لفظة "النّسيج" في منشئها الصّناعيّ

[1] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص12.

[2] يقطين، سعيد: **انفتاح النّصّ الرّوائيّ النّصّ والسّياق**، ط2، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 2001م، ص21.

المادّيّ تحيل إلى الحياكة أو الغزل عبر خيوط ينضمّ بعضها إلى بعض انضماما قوامه التّـداخل والالتواء والتّرابط، مكوّنة لحمة وسدى قطعة النّسيج المطلوبة، فإنّ النّصّ هو نّسيج من الكلمات تتشابك فيما بينها عبر تراكيب مختلفة قوامها التّضام والتّرابط، والتّداخل والانسجام، لتكوّن نوع النّصّ المطلوب، حيث يكوّن هذا الأخير سطحا ظاهريّا هو نسيج الكلمات المستعملة والموظّفـة فيه بشكل يفرض معنى قابلا للإدراك بصريّا من خلال عمليّة الكتابة التي يجعل منه موضـوعا مؤسّسيّا يتّصل بالقانون والدّين والأدب"[1].

بعد نظر الباحث وتأمّله في المعاني المعجميّة العربيّة والأخرى الغربيّة يرى أنّها جميعها قريبة جدًّا من المعنى الاصطلاحيّ للنّصّ.

النّصّ اصطلاحا

يتناول الباحث في "النّصّ اصطلاحًا" مفهومه عند العرب القدماء، ثمّ عند الغـربيّين، ثـم عنـد العرب المحدثين؛ وذلك لاعتماد اللاحق على السّابق.

النّصّ اصطلاحًا في التّراث العربيّ

مِن الصّعوبة بمكان دراسة مفهوم النّصّ في التّراث اللسانيّ العربيّ بصورة شاملة كاملة، لكونه واسعا ومتشعّبا جدّا ويتطلّب إلى الكفاية من الجهد والوقت والإدراك المنهجيّ العريض والعِـدّة الإجرائيّة، وذلك لتعدّد المنطلقات الفكريّة والمعرفيّة والتّخصّصيّة والمواد المنثورة فـي كتـب التّراث، وهذا ممّا يضيق بباحث واحد ورسالة واحدة.

إنّ النّصّ مقولة مركزيّة في بناء الحضارة، حتّى إنّ الحضارة العربيّة والإسلاميّة توصف بأنّها حضارة النّصّ، بمعنى أن القرآن الكريم يعدّ نصّا محوريّا فيها، فجدل الإنسان مع الواقع المعيش من جهة وحواره مع النّصّ من جهة أخرى يقيم علوما وثقافة ويُنشئ حضارة.[2]

---

[1] يقطين، سعيد: **انفتاح النّصّ الرّوائيّ النّصّ والسّياق**، ص22.

[2] عرويّ، محمد إقبال: **من بنود الاصطلاح في التّراث العربيّ**، د.ط، مجلّة آفاق الثّقافيّة والتّـراث، عـدد22، الإمـارات العربيّة المتّحدة، 1998م، ص23.

بلغ مستوى التّفكير المنهجيّ المُنظّم في ضوابط اللغة وقوانينها أشُدّه عند اللغويّين القدامى من حيث المنهج والمصطلح، وحرصوا على أن تمرّ اللغة من الفوضى إلى النّظام، فوضعوا لها قوانين وقواعد وضوابط مثّلت سلطة المعيار الذي يجب أن يُحترم ولا يمكن الخروج عنه إلّا بما تسمح به الضّرورة وتبرّره.[1]

عرف العرب القدماء النّصّ، وأدركوا دوره الجماليّ والدّلاليّ في شعرهم ونثرهم، وفي معلّقاتهم وخطبهم، وقد اشارت كتب الأدب العربيّ إلى ممارسات نصيّة عديدة تنوّعت غاياتها، وتعدّدت أحوالها، واختلفت خصائصها لاختلاف عصورها، فنصّ "المعلّقات" في العصر الجاهليّ اختلف في دلالته والفاظه عن نصّ "شعر الدّفاع عن العقيدة" في صدر العصر الإسلاميّ، ونصّ "شعر النّسيب" في العصر الأمويّ اختلف أيضا عنه في صدر العصر العبّاسيّ، وتبرير ذلك يكمن في اختلاف المقام الذي أدّى إلى اختلاف المقال.[2]

لم يستعمل القدماء مصطلح "نص" بلفظته نفسها كمفهوم "للنّصّ" المتناول عند اللسانيّين المعاصرين، بل نراهم يستعملون ألفاظا أخرى ربّما قصدوا بها "النّصّ"، ومن هنا اختار الباحث بعض النّماذج من العلماء القدامى كسيبويه، والشّافعيّ، والجاحظ، وعبد القاهر الجرجانيّ، والشّريف الجرجانيّ، وتتبّع مفهومَ النّصّ عندهم من خلال منظومة من المفاهيم المفاتيح مثل: الجملة، والكلام، والبيان، والخطاب، والنّظم، والتّبليغ، وكلّها مفاهيم أساسيّة في النّظريّة المكوّنة للنّصّ.

مفهوم "النّصّ" من مفهوم "الكلام" عند سيبويه (ت180ه)

إنّ البحث عن مفهوم النّصّ يمكن أن نبدأه بالحديث عن سيبويه، فإذا كان لم يستعمل لفظة "جملة" ولا عبارة "جملة مفيدة" فإنّه قد يستعمل مكانها لفظة "كلام" –يحسن سكوت المتكلّم عند انتهائه لاستقلاله من حيث اللفظ والمعنى– كوحدة إعلاميّة تبليغيّة بين متكلّم ومخاطب، والمتأسّسة على

[1] حمادي، صمود: **التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس** (مشروع قراءة)، ط2، منوبة، تونس، 1994م، ص99.

[2] طه، أحمد إبراهيم: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهليّ إلى القرن الرّابع الهجريّ**، د.ط، بيروت: دار الحكمة، د.ت، ص16.

المستوى البنيويّ الشّكليّ والمستوى الوظيفيّ الخطابيّ الإعلاميّ الإخباريّ[1]، يوضّحه في قوله عن (الكلام): "ما يستغني عليه السكوت وما لا يستغنى.. ألا ترى أن (كان) تعمل عمل (ضرب)، ولو قلت (كان عبد الله) لم يكن كلاما، ولو قلت (ضرب عبد الله) كان كلاما"[2]

وتتأسّس نظرته على التّمييز الحاسم بين النّظرة إلى "الكلام" كخطاب، أي باعتباره حدثا إعلاميّا يحصل في زمان ومكان معيّنين، والنّظرة إليه كبنية؛ فالكلام المستغني أو الجملة المفيدة هو أقلّ ما يكون عليه الخطاب إذا لم يحصل فيه حذف، ويمكن أن يحلَّل إلى مكوّنات ووحدات وعناصر خطابيّة لكلّ منها وظيفة دلاليّة وإفادة.[3]

يُعيد سيبويه العوامل التي دعت للتّوسّع والاتّساع والاختصار –وأغلبها يكمن في الحذف–إلى طلب الخفّة على اللسان، والمساعدة على التّبليغ بسهولة ويسر، رابطًا كلّ ذلك بعِلم المخاطَب، وبأحوال التّخاطب، ولا يتمّ هذا إلّا بوجود عناصر متعلّقة باللغة كبِنية، وأخرى متعلّقة بظروف أو أحوال محيطة بإحداث الخطاب.

فما يتعلّق بالبنية لا بدّ له من تجاوُز الجملة إلى وحدة لسانيّة أكبر منها ولتكن خطابا أو نصّا، وما يتعلّق بالظّروف المحيطة بإحداث الخطاب قد لا يُستَوفى التّعبير عنها بجملة واحدة منفردة عن أخواتها، وإنّما إلى شبكة من الجمل أو نسيج لغويّ يُتكوّن منه مقالا مناسبا، ويكون إمّا بالمشافهة والتّداول الجاري بين متكلّم ومخاطَب، أو بالتّحرير والكتابة يظهر من خلال وحدة لغويّة دلاليّة مكتوبة تسمّى "نصًّا"، فما تناوَله سيبويه من كلام يتشابه في أحيان كثيرة مع ما تمّ التّوصّل إليه في الدّراسات اللسانيّة الحديثة.[4]

---

[1] إبرير، بشير: **مفهوم النّص في التّراث اللساني العربيّ**، مجلّة جامعة دمشق، مجلّد 23،2007م، 87/1.

[2] سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر: **الكتاب**، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي،1408ه/1988م، ج2، ص90.

[3] الحاج صالح، عبد الرّحمن: **الجملة في كتاب سيبويه**، مجلّة المبرز، الجزائر، عدد2، 1993م، ص8.

[4] إبرير، بشير: **مفهوم النّص في التّراث اللساني العربيّ**، ص87.

مفهوم "النّصّ" من مفهوم "البيان" عند الشّافعيّ (ت204ه) باعتباره ممّن اهتمّوا بقوانين تفسير الخطاب

ابتداءً؛ يجدر الإشارة بأنّ مفهوم "البيان" قبل (السّكاكي ت626ه) لم يكن من اختصاص علمـــاء البلاغة وحدهم، وإنّما كان يعني كلّ ما شأنه أن يحقّق التّبليغ بما يشمل من فهم وإفهام.[1]

يعرّف الشّافعيّ "البيان" قائلا: "البيان" اسم جامع لمعانٍ مجتمعةِ الأصول متشعّبةِ الفروع، فأقلُّ ما في تلك المعاني المجتمعة المتشعّبة أنّها بيانٌ لمن خوطب بها ممّا نزل القرآن بلسانه، متقاربـــة الاستواء عنده، وإن كان بعضها أشدَّ تأكيدَ بيانٍ من بعض، ومختلفةٌ عنـــد مـــن يجهـــل لســـان العرب".[2]

تعدّت لفظة "البيان" هنا دلالتها المعجميّة ورَفعتها إلى مستوى "المفهوم" الذي له قوّة الدّلالة على معانٍ مجتمعة الأصول الثّابتة كما تحدّدها الأوامر والنّواهي والأحكام، وأمّا الفروع فمتشـــعّبة، وهذه الأصول الثّابتة والفروع المتشعّبة هي "بيان" تحمله رسالة أو خطاب نحو سامع بينه وبين مرسله قدَر مشترك من الأفكار والمعلومات يضمن حصول الفهم والإفهام.

يحمل تعريف الشّافعيّ للبيان ميّزتين اثنتين تجعلانه قريبا جدّا من مفهوم "النّصّ":

الأولى: استعمل فيها مصطلحين أساسين هما: الأصول والفروع تتشعّب عن الأصول، وبذلك لا يكون الاختلاف في الأصول لأنّها ثابتة، وإنّما يكون في الفروع ويكون التّأويل تبعا لذلك عامل إثراءٍ وتنوّع وتجدّد في القراءة بما يحقّق عامل التّوحيد، وأمّا الثّانية: فتتعلّق بأساليب التّعبير في اللغة العربيّة، إذ لا بدّ من معرفتها والتّفطّن لخواصّ تركيبها لسنّ القواعد والقـــوانين الخاصّـــة بتفسير الخطاب المؤسّس لتلك الأصول والمعبّر عنها[3]، وهاتان الميّزتان مرتبطتان أسِّس عليهما

---

[1] الجابريّ، محمد عابد: **بنية العقل العربيّ، دراسة تحليليّة نقديّة لنظم المعرفة في الثّقافة العربيّة**، ط5، بيروت: مركـــز دراسات الوحدة العربيّة، 1996م، ص13.

[2] الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس: **الرّسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، د.ط، مصر: مكتبة الحلبيّ، 1358ه/1940م، ج1، ص21.

[3] إبرير، بشير: **مفهوم النّص في التّراث اللساني العربيّ**، ص98.

"لنظريّة أصوليّة تهتمّ بتحديد أصول التّفكير ومنطلقاته وآليّاته اهتمامًا بدراسة أنــواع الألفــاظ والعبارات من حيث دلالتها على المعاني".[1]

مفهوم "النّصّ" من مفهوم "البيان" عند الجاحظ (ت255ه) بوصفه ممّن اعتنوا بشروط إنتــاج الخطاب

إنّ ما ميّز الجاحظ هو وعيه "الحادّ بضرورة أن تقوم الكتابة والكتاب بديلا حضاريّا عن اللّفــظ والذّاكرة"[2]، وهذا يبرز حضور العامل الاجتماعيّ في النّصّ، فهو يؤكّد على وظيفة اللغــة فــي المجتمع وهي "ربط الأسباب بين الأفراد"[3].

يُعدّ مفهوم البيان عند الجاحظ متطوّرا جدّا من النّاحية النّظريّة، ولعلّه يتعلّق بمفهوم "النّصّ" من الوجهة الدّلاليّة، فكلاهما يدلّ على الظّهور، فضلًا عن أنّه قد وجّهه توجيها (بيداغوغيّا).

عرّف الجاحظ البيان قائلا: "البيان اسم جامع لكل شيء كشف لك قناع المعنى، وهتك الحجــاب دون الضمير، حتى يفضي السامع إلى حقيقته، ويهجم على محصوله كائنا ما كان ذلك البيــان، ومن أي جنس كان الدليل، لأن مدار الأمر والغاية التي يجري إليها القائل والسامع، إنمــا هــو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام وأوضحت عن المعنى، فذلك هــو البيــان فــي ذلــك الموضع".[4]

ويضيف بعض التّفصيل قائلًا: وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ خمســة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أوّلها اللفظ، ثم الإشارة، ثم العقد، ثم الخط، ثم الحــال التــي تســمى نصبة، والنصبة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصر عن تلك الدلالات.[5]

---

[1] الجابريّ، محمّد عابد: **بِنية العقل العربيّ، دراسة تحليليّة نقديّة لنظم المعرفة في الثّقافة العربيّة**، ص24.

[2] حمادي، صمود: **التّفكير البلاغيّ عند العرب أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس** (مشروع قراءة)، ص139.

[3] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني، **الحيوان**، تحقيق: عبد السّلام هــارون، ط2، ج1، بيــروت: دار الجيــل، 1996م ص41.

[4] الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني: **البيان والتّبيين**، تحقيق: حسن السّندوسيّ، د.ط، ج1، تونس: دار المعارف، 1990م، ص82.

[5] المصدر نفسه.

إنّ المتأمّل لهذا التّعريف وما تلاه من تفصيل يجده يشكّل أساس نظريّة الكلام عند الجاحظ، بل ونظريّة المعرفة، كذلك ممّا يدخل النّصّ في إطار تصوّر لسانيّ فلسفيّ عام، وهذا يوحي بأنّ "البيان" في حقيقة الامر هو "النّصّ" ذاته الذي يؤدّي ظهوره إلى نقل المعنى من ضمير المتكلّم، حيث يتمّ التّركيب إلى ضمير المخاطب حيث يجري التّفكيك.[1]

مفهوم "النّصّ" من مفهوم "النّظم" عند عبد القاهر الجرجانيّ (ت474ه)

ارتبطت "نظريّة النّظم" باسم عبد القاهر، وجاءت تتويجا لتيّار فكريّ نشأ وتطوّر وأخذ يتبلور ويتميّز على يديه، وأكّد على أنّ التّمازج والتّناسب والتّلاحم والتّناسج بين المعاني والألفاظ هو الوسيلة التي يتمّ النّظم بها، أو إن شئنا قلنا: يحدث الخطاب وينتج النّصّ، لأنّ النّصّ عبارة عن شبكة من العلاقات بين الألفاظ ومعانيها في بناء متناسق منسجم.[2]

ولعلّ أوفى عبارات عبد القاهر وأهمّها عن تعريف "النّظم" قوله: "واعلم أنّ ليس النّظم إلّا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النّحو على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرّسوم التي رسمت لك فلا تخلّ بشيء منها، وذلك أنّا لا نعلم شيئا يبتغيه النّاظم بنظمه غير أن ينظر في وجوه كلّ باب وفروقه.."[3].

المصطلحات "الوجوه، والفروق، والموضع" الواردة في عبارة عبد القاهر تدلّ على أنّ اللغة لها إمكانات متعدّدة للتّبليغ مع مراعات الفروق في المعنى بين إمكانيّة وأخرى، وأدرك "أنّ نظرة النّحاة إلى العلاقات الإسناديّة لا تفي بالغرض.. وبهذا يكون قد تجاوز الوظيفة الإعرابيّة إلى وظيفة المعنى".[4]

---

[1] بنانيّ، محمّد الصّغير: **مفهوم النّصّ عند المنظّرين القدماء**، مجلّة اللغة والأدب، عدد12، قسم اللغة العربيّة، جامعة الجزائر، 1997م، ص51.

[2] الجابريّ، محمّد عابد: **بِنية العقل العربيّ، دراسة تحليليّة نقديّة لنظم المعرفة في الثّقافة العربيّة**، ص81.

[3] الجرجانيّ، عبد القاهر بن عبد الرّحمن: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمّد رشيد رضا، د.ط، بيروت: دار المعرفة، 1398ه/ 1078م، ص94.

[4] سلّوم، تامر: **نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربيّ**، د. ط، سورية: دار الحوار، 1983م، ص120.

وتضيف نادية النّجّار أنّه ومن خلال "نظريّة النّظم" فهو من أوائل مـــن أشـــاروا إلـــى البنـــاء والتّركيب والفصل والوصل بين الجمل، والتّضام الذي خصّص له في كتابه "دلائـــل الإعجـــاز" أبوابا كاملة وهو ما عرف عند اللسانيّين بمصطلح "السّبك".[1]

استطاع عبد القاهر أن يسبر أغوار الظّاهرة اللغويّة، أو إن شئت قلنا أغوار "الظّاهرة النّصّـــيّة" باهتمامه الواضح بأحوالها وتفكيكها إلى مختلف مكوّناتها، وبناء على هذا يمكننا أن نذهب إلـــى نظريّة أن "نظريّة النّظم" هي في الحقيقة نظريّة في "الخطاب" أو "النّصّ".[2]

مفهوم "النّصّ" في كتاب التّعريفات للشّريف الجرجانيّ (ت816ه)

عرّف الشّريف الجرجانيّ النّصّ بقوله: "النّصّ ما ازداد وضوحا على المعنى الظّاهر لمعنى في نفس المتكلّم، وهو سوق الكلام لأجل ذلك المعنى، كما يقال: أحسنوا إلى فلان الذي يفرح بفرحي ويغتمّ بغمّي كان نصّا في بيان محبّته" وأنّه "ما لا يحتمل إلّا معنى واحدًا، وقيل مـــا لا يحتمـــل التّأويل"[3].

يرى الباحث أنّ الشّريف الجرجانيّ حرص على تناول تعريفين اثنين في كتابه؛ ليفصل بين تلك النّصوص القابلة للتّأويل، وهذا يتلاءم مع تعريف اللسانيّين المعاصرين، وبين النّصوص غيـــر القابلة للتّأول ولا تحمل إلّا معنى واحدًا، كما ونجد في التّعريف مستويين اثنين: مستوى يتعلّـــق بالظّاهر، ومستوى يتعلّق بزيادة الوضوح على المعنى الظّاهر، وتلك الزّيادة اقتضاها معنى في نفس المتكلّم يرغب في تبليغها إلى المخاطب، وربّما تدفع هذه الزّيادة إلى التّأويل، وذلك حســـب التّعريف الأوّل، أو تكون هذه الزّيادة لإفهام المخاطَب شريطة ألّا تحمل إلّا معنى واحدًا غير قابل للتّأويل، كما هو الواضح في التّعريف الثّاني.[4]

---

[1] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، طبعة1، الإسكندريّة: مؤسّسة حورس الدّوليّة، 2016م، ص20.

[2] إبرير، بشير: **مفهوم النّص في التّراث اللساني العربيّ**، ص115.

[3] الجرجانيّ، الشّريف عليّ بن محمّد بن عليّ السّيّد الحسينيّ: **كتاب التّعريفات**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1419ه/ 1998م، ص310.

[4] إبرير، بشير: **مفهوم النّص في التّراث اللساني العربيّ**، ص16.

النّصّ عند الأصوليّين: الفقهاء والمفسّرين

تناول الفقهاء "النّصّ" تناولا عميقا لما اقتضت حاجة التّمييز بينه وبين مصطلحات تخصّصهم الأخرى الظّاهر والمُحكم والمفسّر وغيرها، فالنّصّ في الاصطلاح عندهم: "هو "ما دلّ بنفس لفظه وصيغته على المعنى دون توقّف على أمر خارجيّ، وكان هذا المعنى هو المقصود الأصليّ من سوق الكلام، وعلى هذا فإنّ النّصّ أظهر من الظّاهر في دلالته على معناه، وأظهريّته هذه جاءت بسبب سوق الكلام لبيان هذا المعنى لا لذات صيغته، مثاله قوله تعالى ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلۡبَيۡعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾[1] فإنّه ظاهر في تحليل البيع وتحريم الرّبا، ونصّ في التّفرقة بين البيع والرّبا، لأنّ هذا المعنى –وهو التّفرقة بين البيع والرّبا– هو المتبادر فهمه من الآية، وهذا المعنى هو المقصود الأصليّ من سياق الآية، لأنّها وردت للرّدّ على الكفّار الذين قالوا: إنّما البيع مثل الرّبا، ويطلق النّصّ على كلّ آية أو حديث نبويّ، فيقال: نصوص القرآن والسّنّة، فيشمل لفظ النّصّ بهذا المعنى: الظّاهر والنّصّ والمفسّر والمحكم بمعانيها الاصطلاحيّة"[2].

ونجد عند السّيوطيّ –وهو من المفسّرين– تطرّقا واضحا "للنّص"، حيث جعل من مظاهر إعجاز القرآن الكريم "حسن تأليفه والتِئام كَلِمِه وفصاحته.. ومناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتّى تكون كالكلمة الواحدة، متّسقة المعاني، منتظمة المباني"[3]، وهذا هو ذاته "التّماسك أو الالتئام، والتّلازم والمناسبة"، وكذلك الأمر تعرّضه لمصطلح "الانسجام" في قوله: "يكون الكلام، لخلوّه من العقاد منحدرا كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقّة، والقرآن كلّه كذلك، وقد جاءت قراءاته موزونة بلا قصد لقوّة انسجامه"[4]، وهذه جميعها من مصطلحات علم لغة النّصّ التي عرفت عند المحدثين.[5]

---

[1] سورة البقرة، الآية: 275.

[2] زيدان، عبد الكريم: **الوجيز في أصول الفقه**، ط2، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1419ه/ 1998م، ص340.

[3] السّيوطيّ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر الخضيريّ: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمود مرسي عبد الحميد ومحمّد عوض هيكل، ط3، القاهرة: دار السّلام، القاهرة، 1434ه/ 2013م، 81/3.

[4] المصدر نفسه، 269/3.

[5] ينظر: النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص21.

من هنا يرى الباحث أنّه يمكننا أن نحدّد "مفهوم النّصّ" عند اللسانيّين العرب القدماء من خلال مجموعة مفاهيميّة منسجمة ومشتملة مثل: الجملة، والكلام والاتّساع فيه، والبيان بأنواعه، والنّظم، والخطاب والتّبليغ بمستوياتها المختلفة.

ويشير هذا إلى وجود تصوّر كامل عندهم "لمفهوم النّصّ" –خلافا لما ذهب إليه غير واحد من أنّ ممارساتهم النّقديّة الأولى للنّصّ قامت على الذّوق الفِطريّ البسيط غير المعلّل– وإن لم يطلقوه صراحة على ما أرادوه وقصدوه، ولا يستبعد الباحث أنّ تقديسهم "لنصّ القرآن ونصّ الحديث" وحرصهم على الحفاظ على مكانتيهما، وعدم تخبّط النّاس، وخلطهم بين النّصّ القرآني والنّصّ النّبويّ، وبين النّصوص الأخرى "كمفهوم للنّصّ" هو ما منعهم من استعماله وتداوله وتدوينه.

كما ويتّضح اختلاف معنى النّصّ اصطلاحا حسب المجال المعرفي الذي تتم فيه الدراسة، ففي اصطلاح الأصوليين يدل النص على "مَا لَا يحْتَمل إِلَّا معنى وَاحِدًا أَو ما لَا يحْتَمل التَّأْوِيل"، وعند أهل الحديث فقد جاء بمعنى الإسناد، والتعيين، والتحديد، فيقولون نص عليه في كذا، وعند الفقهاء بمعنى الدليل الشرعي كالقرآن، والسنة، ومنه قولهم: "لا اجتهاد مع النص"، كما هو حال الاختلاف عند النّحويّين والبلاغيّين والنّقّاد.

وحتّى أنّ كلّ من جعل منهم "الجملة أكبر وحدة مستقلّة" نراه يقارب دراسات المُحدثين حتّى سنوات الأربعين من القرن التّاسع عشر.

النّصّ اصطلاحا عند الغربيّين

يُلاحَظ أنّ تعريف مفهوم النّصّ في بدايات دراسته الغربيّة كان نحويًّا ويسعى إلى التّنميط، فالنّصّ من وجهة أنحاء النّصّ هو مقطوعة مُشكّلة تشكيلا سويّا من جمل مترابطة تتدرّج نحو نهاية، والذي ظهر في الدّراسات اللغويّة البِنيويّة والنّحو التّحويليّ التّوليديّ لدى (تشومسكي) ونحو التّبعيّة "التّعليق" لدى (لوسيان تنيير) ونحو الحالة لدى (تشارلز جاي فيلمور) قد اهتمّت بالمركّب الفعل أو العمل "الإسناد" بوصفه نواة الجملة، وعالجت المركّبات الاسميّة بوجه خاصّ، وكانت أقصى غايتهم دراسة الجملة لقولهم: "الجملة هي أكبر وحدة مستقلّة"، إلّا أنّه وجد اتّجاه

بدأ يتعدّى دراسة الجملة، ويسعى إلى دراسة الوحدة الممثّلة لتتابعات من الجمل والتي عرفت فيما بعد ب "النّصّ text "، وفَهِم (فرديناند دي سوسير 1913) أنّ النّصّ بنية لغوية، وتحدّد هذا عبر مقولته "لا شيء يتميّز قبل البنية اللغوية"، ويمكن أن نستشفّ من هذه المقولة أنّ البنية اللغوية هي الحقيقة الوحيدة الماثلة والقابلة للضبط.[1]

بدأ الاهتمام بالنّصّ بتعريف غير محدّد على يدّ (هيلمسلف الدّانيماركيّ 1943)، فهو يساوي "النّصّ" بكلّ المنطوقات الحقيقيّة والمحتملة للّغة الدنماركيّة، وهو عبارة عن "عمليّة"؛ بمعنى أنّه تلازم باللغة بوصفها "نظاما" : نحن نعرف أنّنا نحتاج إلى أن نميّز بين نوعين من التّدرّجات: العمليّات والأنظمة، ويرتبط النّصّ عنده بالملفوظ اللغوي المحكي أو المكتوب، طويلا كان أو قصيرا " فعبارة stop أي قف هي في نظره نص.[2]

وأخذ يتّضح على يد (زلينج هاريس 1952)، قائلًا: "النّصّ هو تتابع من جُمل كثيرة ذات نهاية"[3]، وكان من أوائل هؤلاء اللّغويّين، الذي أطلق على نمط هذه الدّراسة "النّهج المجاوز للجملة" في بحثه (تحليل الخطاب Discourse analysis 1652) حيث اهتمّ فيه بتوزيع العناصر اللغويّة في النّصوص، كما اهتمّ (الرّبط link) بين النّصّ وسياقه الاجتماعيّ، والذي حظي باهتمام كبير من علماء اللغة دراسة وبحثًا بالوقت الطّويل، وتابعه (ك. ل. بايك 1954) في تأكيد هذه الدّراسة مركّزا على الحدث الاجتماعيّ[4].

وأخذت التّعريفات تتطوّر على أساس أوجه فَهْم مختلفة للتّماسك، فنرى (جريسمان 1966) أدخل مفهوم "التّناظر" والذي لعب دورا استكشافيّا في إعادة سيمات سياقيّة في النّصوص، وبذلك ينشأ

---

[1] ينظر: الرويلي، ميجان والبازغي، سعد: **دليل الناقد الأدبي**، ط3، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، 2002م، ص29. وباتريك شارودو ودومينيك منغنو: **معجم تحليل الخطاب**، ترجمة: عبد القاهر المهيري وحمّاد صمّود، ط1، المركز الوطني للترجمة، تونس: دار سيناترا، 2008م، ص553.

[2] ينظر: زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ط2، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحري، القاهرة: مؤسّسة المختار، 1431ه/ 2010م، ص62. ونوفل، يسري: **المعايير النصية في السور القرآنية**، ط1، دار النابغة للنشر والتوزيع، 2014م، ص18.

[3] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ص62.

[4] فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّي**، ص20.

دور أساسيّ للتّناظر الدّلاليّ في التّقسيم السّيميّ الأحاديّ لوحدات المعجم المحتمل تعدّد سيماتها، وبمعنى آخر تنقسم السّيمات والتّكافؤات المتعدّدة لتعبيرات غير تنصيصيّة.[1]

ودعا (فاينرش 1967) إلى أنّ كلّ تحليل لغويّ يجب أن ينطلق من النّصّ لكونه مجال الدّراسة[2]، وأضاف (إيزنبرج 1968) تحت النّصّ تتابعا من الجمل يرتبط من خلال رسائل التّنصيص، وأسّس (هارفج 1968) مفهومه للنّص على مبدأ الإعادة، "استبدال نحويّ سينتجماتيّ"، ويصنع تصنيفا معقّدا من أنماط الاستبدال، وعرّفه على أنّه " تتابع مشكل من خلال تسلسل ضميريّ لوحدات لغويّة"، واعتبر (بليرت 1972) "التّماسك الدّلاليّ" شرطًا عند فهم تتابع الجمل واعتباره نصًّا مترابطا.[3]

ويعرّف (فان دايك 1972) النّصّ بأنّه "بنية سطحيّة توجّهها وتحفّزها بنية عميقة دلاليّة"، ممّا يعني أنّ البنية العميقة الدّلاليّة للنّصّ تعمل على إعادة صياغة مجرّدة تتّحد مع النّواة "البنية الموضوعيّة للنّصّ"، وبهذا نرى أنّ تصوّر (فان دايك) للنّصّ القائم على أساس دلاليّ خلافا لتصوّر (إيزنبرج وهارفج) اللذين يؤكّدان على التّماسك النّحويّ للنّصّ، ويرى (جلنتس 1972) أنّ النّصّ تكوين لغويّ أنشأه منشؤه بالتزامٍ مطابق للمقصد، وذلك بغرض تأثير لاحق مساوٍ في الأغلب ليس في شريك فحسب بل في عدد أكبر، وهنا تتّضح "المطابقة" وتبرز في بيان البُعدين الاجتماعي والتاريخيّ الخاصّ، ثمّ تتابعت اهتمامات علماء اللّغة بأبحاثهم ودراساتهم في تأكيد هويّة "علم لغة النّصّ" وبيان خصائصه ونظرّاته وأهدافه، فيقول (س. ي. شميث 1973): النّصّ هو كلّ جزء لغويّ منطوق في فعل التّواصل في حدث التّواصل، يحدّد من جهة الموضوع، ويفي بوظيفة تواصليّة يمكن تعرّفها"، أي يحقّق كفاءة إنجازيّة يمكن تعرّفها، إلى أَنْ تُوِّج ذلك على يد (هاليداي ورقيّة حسن 1973) اللذين رسّخا مفاهيم علم لغة النّصّ في اللغويّات البريطانيّة، وجعلا "الاتساق" متضمنا علاقات المعنى العام لكل طبقات النص، والذي يميز النّصّ من اللانصّ، وعرّفاه على أنّه "وحدة لغوية في طور الاستعمال، وهو لا يتعلق بالجمل، وإنما

---

[1] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ص62- 64.

[2] النّجّار، نادية رمضان: **علم النّصّ والأسلوب بين النّظر والتّطبيق**، ص10.

[3] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ص63.

يتحقق بواسطتها"، "ولا يهتمّان بالطّول حيث يقولان: النّصّ يمكن أن يكون لـــه أيّ طـــول.... وبعض النّصوص تتشابه في الحقيقة من حيث إنها يمكن أن تكون أقلّ من جملـــة واحـــدة فـــي التّركيب النّحوي مثل: التّحذيرات، العناوين، الإعلانات، الإهداءات".[1]

وهذا ما أكّده (دريسلر Derssler) أنّ "النّصّ هو القول المكتفي بذاته والمكتمل فـــي دلالتـــه"[2]، وأشار إليه (روبرت دي بوجراند De Beaugrande Robert) أنّ النّصّ قد يتوسّع ليشمل أيّ علامة لغويّة دالّة، سواء مكتوبة أو منطوقة أو إشارة مرئيّة كلغة الإشارات. فالنّصّ في نظره قد "يتألّف من عناصر ليس لها ما للجملة من الشّروط (مثلا علامات الطّرق والإعلان والبرقيّـــات ونحوها"، ويعدّ "النّصّ: حدثًا تواصليًّا يلزم لكونه نصًّا أن تتوافّر فيه ســـبعة معـــايير للنّصّـــيّة مجتمعةً، ويزول عن هذا الوصف إذا تخلّف واحد من هذه المعاني: السّبك cohesion أو الرّبط النّحويّ، والحبك coherence أو التّماسك الدّلاليّ، والقصد intentionality أي الهدف للنّصّ، والقَبول أو المقبوليّة acceptability وتتعلّق بموقف المتلقّي من قبول الـــنّصّ، والإخباريّـــة أو الإعلام informativity أي توقّع المعلومات الواردة فيه، والمقاميّة situationality، المتعلّقة بمناسبة النّصّ للموقف والتّناصّ intertextuality."[3]

كما ويرى (أجريكولا 1976) ضرورة توافّر السّمات التّالية كي يعدّ النّصّ نصًّا، قـــال: "ورود نصّ مركّب لغويّ من العلامات يشير على الأقلّ إلى السّمات التّالية: تتابع من الجمـــل "وحـــدة نصّ"، مشكّل حسب قواعد النّحو، مقصود، متّصل، نهائيّ، مدمج، منظّم، وهي ناتجة عن إنجاز أفقيّ لبسط موضوع نواته المضمونيّة، ويحدث الدّمج المشكّل للنّص، ويتمثّل من خلال علاقات التّناظر الدّلاليّ بأوسع معانيه: التّماسك، والتّكوير، والتّكافؤ، وإعادة الصّياغة بين وحدات المعنى المفردة في كلّ الوحدات النّصّيّة المختلفة أو من خلال ترابطات شبه منطقيّة بين معاني وحدات النّصّ بوصفها وحدات كلّيّة، ومن خلال علاقات الإحالة التّزامنيّة داخل وحدة الـــنّصّ أو بـــين

---

[1] ينظر: الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية علـــى الســـور المكيـــة**، د.ط، القاهرة: دار قباء، 2000م، ص29. والنّجّار، نادية رمضان: **علم النّصّ والأسلوب بين النّظر والتّطبيق**، ص11.

[2] فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنون والآداب، الكويت، 1992م، 215/164.

[3] روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1998م، ص97.

وحداته، ومن خلال بنية (الموضوع- الحديث) (البؤرة- التّفسير) المؤثّرة من ديناميّة التّواصل"[1].

وشدّد (جاك دريدا 2004) -وهو من روّاد المدرسة التّفكيكيّة- على وجهة نظره القائلة: "إنّ حركات التفكيك لا تتوسل بنى الخارج، إنّها ليست ممكنة ولا ناجعة ولا تحكم تسديد يد ضرباتها الّا بسكناها هذه البنيات" و" لا شيء خارج النص"، وبهذا يكون النّصّ "لا يمتلك إلّا آثارا، فهو متوالية لا نهائيّة من الاختلافات التي تنسجها العلامات الخطّيّة، فالاختلاف هو الطّريقة أو الأسلوب الذي يتمّ فيه إطلاق طاقة النّصّ على صنع المعنى"، ويعتقد بأنّ كلّ النّصوص تحتوي على ثغرات وتناقضات، حتى أبسط النصوص وأكثرها بداهة تتضمن ما يسميه دريدا "بالمعضلة aporia"، وهو بهذا يهدف إلى توسيع فهم القارئ للنّصوص.[2]

وقريبا من عَزْل النّصّ عن المؤثّرات الخارجيّة يقول (تودوروف) بتعريفه للنّصّ: "النّص إنتاج لغوي منغلق على ذاته، ومستقل بدلالاته، وقد يكون جملة، أو كتاباً بأكمله"[3]

(ورولان بارت) من الأدباء والنّقّاد الذين تعدّدت تعريفاتهم للنّصّ، ويعود هذا إلى تطوّر معرفته وسعة اطّلاعه، وقد بيّن ابتداءً قُربَ معنى النّصّ الاصطلاحيّ من أصله المعجميّ الغربيّ حين قال في تعريفه للنّصّ: "النّصّ نسيج عنكبوت لبراعة نسجه وتماسكه، بحيث يتعلّق بعضه ببعض، ويلقي أوّل خيط نسج به بآخره، وهنا تبرز خاصّيّة جوهريّة، وهي ترابط وتشابك مكوّناته على نحو يشكّل وحدته الكلّيّة"[4]، ويعطي بارت للنّص تعريفا لغويّا حيث يرى أنّه "نسيج من الكلمات،

---

[1] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ص66.

[2] ينظر: دريدا، جاك: **الكتابة والاختلاف**، ترجمة: كاظم جهاد، ط2، المغرب: دار توبقال للنّشر، 2000م، ص127. وصبري، حافظ: **الشّعر والتّحدّي وإشكاليّة المنهج**، مجلّة الفكر العربيّ المعاصر، العدد38، بيروت: مركز الإنماء القوميّ، 1986م، 84.

[3] عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ط1، دمشق: منشورات اتّحاد الكتّاب العرب، 2001م، ص14.

[4] قياس، ليندة: **لسانيّات النّصّ بين النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا**، د.ط، القاهرة: مكتبة الآداب،، د.ت. ص18.

ومجموعة نغميّة وجسم لغويّ"[1]، ثم يعرّفه في إطار السّيميائيّات بأنّه "نسيج من الدّوالّ التي تُكوِّن العمل"[2]، وقد شبّه هذا النّسيج بنسيج العنكبوت فهو محكم ومتماسك، ويرتبط بعضه ببعض، في إطار وحدة كلّيّة، ويضيف في تعريف آخر: "النّصّ نشاط وإنتاج.. وقوّة متحوّلة تتجاوز الأجناس والمراتب المتعارف عليها كلّها لتصبح واقعًا نقيضا يقاوم الحدود وقواعد المعقول والمفهوم"[3]

ثمّ ظهر كثير من الباحثين الذين عنوا بهذا الاتّجاه عناية فائقة، فقدّموا دراسات وأبحاثًا أدّت إلى تطوّر هذا العلم إلى أن أصبح لا يقتصر على دراسة النّص فحسب، بل يسعى إلى دراسة بيئته والثّقافات المتّصلة به ومعارفه المختلفة وغيرها.[4]

وبعد أن استنتج (زتسيسلاف واورزنياك) من هذه التعريفات أنّها تعبّر عن جوانب جزئيّة متباينة للظّاهرة الشّاملة "للنّصّ"، وأنَّ لها خاصّيّة محدّدة؛ أكّد على أنّه بالنّسبة "للنّصّ" بوصفه هدفا بديهيا للتّحليل وموضوع بناء النّظريّة، وربّما لا يوجد إلى الآن أيّ تعريف تامّ مطلقا(أي قاطعًا)؛ وعلى الرّغم من ذلك فقد جازف بتعريف خاصّ به، وهو: "النّصّ" كوّنا لغويّا أفقيّا نهائيّا، مقصودا به التّطابق لواقعة التّواصل المختصّة، يصير من خلال الدّمج الإنجازي وأوجه التّناظر الدّلاليّة الموضوعيّة والتّرابطات النّحويّة تتابعاً متماسكا مِن الجُمل.[5]

تتّضح العلاقة الوثيقة بين المعنى الاصطلاحي "للنّصّ" والمعنى اللغويّ عند الغربيّين، وذلك من خلال قول (لوران بارت) عن النّصّ: "نسيج عنكبوت لبراعة نسجه وتماسكه.."[6]، فالأصوات

---

[1] خمري، حسين: **نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائيّة الدالّ**، ط1، بيروت: الدّار العربيّة للعلوم، بيروت، 1428هـ/2007م، ص44.

[2] المصدر نفسه، ص44.

[3] رولان بارت: **درس السيميولوجيا**، ترجمة: بلعبد العالي، ط3، الدار البيضاء- المغرب دار توبقال للنشر، 1993م، ص85.

[4] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ط1، القاهرة: الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، 1997م، ص19.

[5] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ص69.

[6] عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ص14.

والكلمات تبقى تفتقر لمعنى النّسيج حتّى تكتب، وهذا ما يؤيّده (بول ريكو) فيقول: لنطلق كلمة نَصّ على كلّ خطاب تمّ تثبيته بواسطة الكتابة[1]، والكتابة مردّها هنا تسهيل التّعامل بين البشر، فيصبح بها النّصّ جسما مدركا بالحاسّة البصريّة، كما أنّها تمنحه الثّبات والاستمراريّة، لأنّ الصّفة الأساسيّة القارة في النّصّ هي صفة الاطّراد والاستمراريّة Continuity، وهي صفة تعني التّواصل والتّتابع والتّرابط بين الأجزاء المكوّنة للنّصّ، وهذه الاستمراريّة تتجسّد في "سطح أو ظاهر النّصّ texte Surface"[2].

النّص عند اللسانيّين العرب المحدَثين

كثر تناول موضوعات "النّص" وتعريفاته مِن اللسانيّين العرب المحدثين، ولا يختلف حالهم عن حال نظرائهم في الغرب، فتارة نجدهم يدرسونها دراسة معجميّة وثانية نحويّة، وثالثة دلاليّة ورابعة ثقافيّة وخامسة أدبيّة نقديّة وغيرها، ومن هنا جاء تعدّد التّعريفات، كلٌّ حسب خلفيّته وتخصّصه ومجال دراسته.

يعرّف عبد الرحمن طه النص بأنه "بناء يتركّب من عدد من الجمل السّليمة مرتبطة فيما بينها بعدد من العلاقات. وقد تربط هذه العلاقات بين جملتين أو بين أكثر من جملتين"[3].

ويتّضح من تعريفه هذا أنّه أراد بمفهوم النّصّ أنّه كيان لغويّ تكوّن من مجموعة من الوحدات اللغويّة الصّغرى، هي الجمل السّليمة.

ويعرّفه سعيد يقطين بأنه:" بنية دلاليّة تنتجها ذات –فرديّة أو جماعيّة– ضمن بنية نصّيّة منتجة، وفي إطار بنيات ثقافيّة واجتماعيّة محدّدة".[4]

---

[1] ريكو، بول: **من النّصّ إلى الفعل**، تحقيق: محمّد برادة وحسّان بورقيّة، ط1، الإسكندريّة: عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2001م، ص105.

[2] عبد المجيد، جميل: **بلاغة النّصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، د.ط، القاهرة: دار غريب للطّباعة والنّشر، 1999م، ص15.

[3] طه، عبد الرحمن: **في أصول الحوار و تجديد علم الكلام**، ط2، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000م، ص35.

[4] يقطين، سعيد: **انفتاح النص الروائي النص والسياق**، ص32.

ويقترب من هذا المجال الدّلاليّ محمّد عزّام فيقول عن النّصّ الأدبيّ: "إنّه وحدات لغويّة، ذات وظيفة تواصليّة – دلاليّة، تحكمها مبادئ أدبيّة، وتنتجها ذات فرديّة أو جماعيّة".[1]

يتّجه أحمد اليبوريّ مغربيّ نحو المجال السّيميائيّ ويقول: "النّصّ مجموعة السلسلة اللغوية اللامحدودة بسبب إنتاجية المنظومة"، كما أنّ النّصّ بالمعنى الضّيّق "عمل كاتب أو مجموعة من الوثائق المعروفة أو الشهادات التي تم جمعها، وفي هذه الحالة يكون النّصّ مرادفا للمتن".[2]

وحسب النّظريّة السّيميائيّة، فالنّصّ ملفوظ، أي أنّه يتعارض مع الخطاب رغم أنّ هناك من يجعلهما مترادفين.

ويرى محمّد مِفتاح أن "النص وحدات لغوية طبيعية منضدة متسقة منسجمة"[3]، كما وتطرّق له من خلال بعض المقوّمات الأساسية، فيقول: "النّصّ مدوّنة كلاميّة، وحدث تواصليّ وتفاعليّ، وله بداية ونهاية، ومتولّد من أحداث تاريخيّة ونفسانيّة ولغويّة... وتتناسل منه أحداث لغويّة أخرى لاحقة له"[4].

قصر مفهوم النّصّ عند محمّد خطابيّ على النّاحية الدّلاليّة قائلا: "إنّ النّصّ وحدة دلاليّة، وليست الجمل إلّا الوسيلة التي يتحقّق بها النّصّ، أضف إلى هذا أنّ كلّ نصّ يتوفّر على خاصّيّة كونه نصًّا يمكن أن يُطلق عليها "النّصّيّة" وهذا ما يميّزه عمّا ليس نصًّا".[5]

ويؤكّد عبد المالك مرتاض على البعد الدّلاليّ في النّصّ، حيث يقول: "لا ينبغي أن يحدّد النّصّ بمفهوم الجملة، ولا بمفهوم الفقرة التي هي وحدة كبرى لمجموعة من الجمل، فقد تكون جملة

---

[1] عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ص26.

[2] اليبوريّ، أحمد: **دينامية النّصّ الرّوائيّ**، ط1، منشورات اتحاد كتاب المغرب، 1993م، ص14.

[3] مفتاح، محمّد: **التشابه والاختلاف**، ط1، المركز الثّقافيّ العربيّ، بيروت، 1996م، ص15.

[4] مفتاح، محمّد: **تحليل الخطاب الشّعري استراتيجيّة التّناص**، ط3، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1992م، ص120.

[5] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط1، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1991م، ص13.

واحدة من الكلام نصّا قائما بذاته مستقلّا بنفسه، وذلك ممكن الحدوث في التّقاليد الأدبيّة كالأمثال الشّعبيّة والألغاز والحِكَم السّائرة والأحاديث النّبويّة التي تجري مجرى الأحكام وهلمّ جرا".[1]

ويرى نصر حامد أبو زيد النّصّ على أنّه "سلسلة من العلامات المنظّمة في نسق من العلاقات تنتج معنى كلّيّا يحمل رسالة، وسواء كانت تلك العلامات علامات باللغة الطّبيعيّة –الألفاظ– أم كانت علامات بلغات أخرى، فإنّ انتظام العلامات في نسق يحمل رسالة يجعل منها نصًّا".[2]

أضاف صالح بلعيد المجالَ الثّقافيّ والفكريّ العربيّ في رؤيته للنّصّ فقال: "هو نسيج من العلاقات اللغويّة المركّبة التي تتجاوز حدود الجملة بالمعنى النّحويّ الذي يؤدّي إلى الارتباط المباشر أو التّعالق النّحويّ بين وحدات النّصّ"[3]، ممّا يعني أنّ "النّسيج" هو إحدى الوسائل والأدوات التي يتحقّق بها الانسجام النّصّي وتعالق أجزائه وتفاعلها لإنتاج الدّلالة الكلّيّة.

ذهب نور الدّين السّدّ إلى أنّ "النّصّيّة والاتّساق" من سمات النّصّ، حيث قال: "النّصّ ليس مجموعة جمل فقط، لأنّ النّصّ يمكن أن يكون منطوقا أو مكتوبا نثرا أو شعرا أو حوارا أو مونولوجا، يمكن أن يكون شيئًا من مثل واحد، حتّى مسرحيّة بأكملها من نداء استغاثة، حتّى مجموعة مناقشة الحاصلة طوال يوم في لقاء هيئة.. فإذا توافرت وسائل الاتّساق كان المقطع اللغويّ كُلّا واحدا، وإذا افتقد إلى الخصائص التي تميّزه والوسائل التي تجعل منه منّسقا موحّدا وجملة غير مترابطة فَقضدَ مقوّمات وجوده".[4]

يتّضح من تعريفه هذا أنّه يرى أنّ بمعياريّ "النّصّيّة" "والاتساق" يتميّز النّص من اللانصّ.

يرى صلاح فضل أنّ النّصّ الأدبيّ "هو قوّة متحوّلة تتجاوز الأجناس والمراتب المتعارف عليها، وتبرز الخواصّ النّوعيّة الماثلة في بعض أنماطه المتعيّنة، خاصّة الأدبيّة"، وفي مكان آخر

---

[1] مرتاض، عبد الملك: **في نظريّة النّصّ الأدبيّ**، ط2، الجزائر: دار هومة، 2010م، ص57.

[2] أبو زيد، نصر حامد: **السّلطة الحقيقيّة، الفكر الدّينيّ بين إرادة المعنى وإرادة الهيمنة**، ط1، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1995م، ص169.

[3] بلعيد، صالح: **نظريّة النظم**، ط1، الجزائر: دار هومة للنّشر والتّوزيع، 2004م، ص167.

[4] السّدّ، نور الدّين: **الأسلوبيّة وتحليل الخطاب**، ط1،الجزائر: دار هومة للطّباعة والنّشر، 69/2.

يقول: "النّصّ هو القول اللّغويّ المكتفي بذاته، والمكتمل في دلالته" "المنغلق على نفسه" وهذا قريب من تعريف (تودوروف) للنّصّ، ويستدرج ويؤكّد عدم إمكانيّة التّوصّل لتعريف جامع مانع" لكنّنا لا نصل إلى تحديد واضح قاطع لمفهوم النّصّ".[1]

يتّضح عند إبراهيم الفقي –ومن خلال دراسته للتّماسك النّصّيّ– أنّه تبنّى آراء العالِم اللّغويّ (روبارت دي بوجرند)، والذي يرى أنّ النّصّ حَدَثٌ تواصليّ يلزم لكونه نصًّا أن تتوافر فيه سبعة شروط، وهي: السّبك cohesion أو الرّبط النّحويّ، والحبك coherence أو التّماسك الدّلاليّ، والقصد intentionality أي الهدف للنّصّ، والقَبول أو المقبوليّة acceptability وتتعلّق بموقف المتلقّي من قبول النّصّ، والإخباريّة أو الإعلام informativity أي توقّع المعلومات الواردة فيه، والمقاميّة situationality، المتعلّقة بمناسبة النّصّ للموقف والتّناصّ intertextuality".[2]

وممّا يُفهم من هذا التّعريف أنّه اعتبر النّصّ نشاطا تواصليّا وحدثا كلاميّا يفترض مرسِلا ومرسَلا إليه وهدفًا يحمله وأدوات الرّبط اللغويّة والسّياق.

ويعلّل تبنّيه لهذا الرّأي بأنّه "شامل لا يلغي أحدَ أطراف الحدث الكلاميّ في التّحليل، فهو شامل يجمع المرسل والمتلقّي والسّياق وأدوات الرّبط اللّغويّة تحت مجهر التّحليل النّصّيّ، ولا يضخّم نظرته لعنصر على حساب آخر، كما تُضخّم البنيويةُ بِنيةَ النّص على التّاريخ والقارئ فيها مجرّد متلقٍّ سلبيّ لا أثر له أمام النّصّ، وكما تضخّم التّفكيكيّةُ شخصيّةَ القارئ وسلطتَه على النّصّ والتّاريخ واللّغة نفسها"[3].

وبالرّغم ممّا ذهب إليه الفِقّيّ يرى الباحث أنّ تعدّد التّعريفات عند اللسانيّين جميعًا يدلّل على أنّ في واقع الأمر ليس هناك تعريف جامع مانع لغيره من التّعريفات عند اللسانيّين، لأنّ تناولهم "للنّصّ" ومعالجته كانت قد تطرّقت لجزئيّة بعينها وإنِ اتّسَعَ الشّرح وطال، فللنّصّ تعريفات عدّة

---

[1] فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النّصّ**، ص232 وص294.

[2] الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللّغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق**، 1/33–34.

[3] المصدر نفسه، 1/35.

تعكس توجّهات معرفيّة ونظريّة ومنهاجيّة مختلفة، فهناك التّعريف البنيويّ، والتّعريف الدّلالي، والتّعريف النّفسانيّ، وتعريف اتّجاه الخطاب، وغيرها.

وهذا ما بيّنه تامر فاضل في قوله: لا نجد تعريفا يعترف به عدد من الباحثين بشكل مطلق، لأنّها عدّت فرعا علميّا متداخل الاختصاصات من جهة، كما عدّت علما يرتكز على النّصوص في ذاتها وعلى أشكالها ووظائفها وتأثيراتها المتباينة من جهة أخرى، إنّها تعريفات تميل كلّها إلى خلق حالة منسجمة من النّظام والتّشاكل والتّماثل بين مختلف المستويات التّكوينيّة والصّرفيّة والصّوتيّة والدّلاليّة للنّصّ.[1]

كما ويرى الباحث أنّ "النّصّ" لن تغلق أبواب دراساته وبحوثه والنّظر في قضاياه ما دام الإنسان على وجه البسيطة، لهذا فعدم وجود تعريف جامع مانع لغيره لا يُعدّ عجزا ولا ضعفا ولا جهلا، إنّما يفتح مجال الاجتهاد والتّجدّد والنّمو والتّحضّر حسب المكان والزّمان والحال.

مفهوم علم النّصّ

هو الدّراسة اللغويّة التي تهدف إلى الكشف عن مجموع القواعد التي تنظّم بناء مختلف النّصوص، وعن المعايير التي تميّز النّصّ من اللّانصّ، كما يعرّف أيضا بأنّه العلم الذي يصف النّظام الدّاخليّ النّصّ وطريقة بنائه ووظيفة كلّ جزء فيه[2]، ويهدف إلى الانتقال من تحليل أخصّ وأدقّ للجملة إلى تحليل أعمّ وأشمل للنّصّ[3].

قَدّمَ علمُ اللغة النّصّيّ للبحث اللغويّ حوافز مهمّة، وفتح لعلم اللغة جانبا معرفيّا جديدا حمل الباحثين على إعادة النّظر في الأسس النّظريّة لفروع لغويّة كثيرة، ومن ثمّ كان له تأثير بارز في التّطوّر المعرفيّ لعلم اللغة، ودُرست حتّى الآن جوانب جزئيّة كثيرة تدخل في علم اللغة

[1] تامر، فاضل: **اللغة الثّانية في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ**، ط1، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1994م، ص45.

[2] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، د.ط، الجزائر: دار العربيّة للعلوم ناشرون، د.ت، ص59.

[3] محمّد، شبل محمد: **علم لغة النص، النظرية والتطبيق**، تقديم: سليمان العطار، ط2، القاهرة: مكتبة الآداب، 2009م، كما جاء في المقدّمة ز_ ح.

النّصّيّ (وإن كانت بأهداف مختلفة ومنطلقات نظريّة متباينة)؛ لكنّنا لا نزال نفتقد ألوانا شاملة وجديدة أيضا من الأبحاث العالميّة التي يُعتدّ بها قائمة على المشكلات اللغويّة النّصّيّة لخدمة أهداف التّعليم الجامعيّ على وجه الخصوص.[1]

لا يسوغ أن تنفصم العلاقة بين علم اللغة النّصّيّ وعلم اللغة الجُمليّ، حيث يُنظر إلى دراسات علم اللغة الجمليّ على أنّها تمهيد ضروريّ لأبحاث علم اللغة النّصّيّ من جهة، لكنّها من جهة أخرى يمكن أن تتجاوز في علم اللغة النّصّيّ الأكثر شمولا، وبهذا يكون لدى علم اللغة النّصّيّ ميدانه ومساحاته الخاصّة، ولا بدّ أن تُطوَّر الأبحاث الخاصّة بتنوّعات التّركيب والصّياغة في كلّيّات النّصّ عبر الوسائل المعروفة في مناهج علم اللغة الجمليّ للوصول إلى نماذج وصفيّة خاصّة.[2]

لا يمكن أن يفهم علم اللغة النّصّيّ على أنّه علم شامل، ولا على أنّه أيضا "علم النّصّ" بمفهوم (فانديك van dijk 1980م)؛ بل يجب على علم اللغة النّصّيّ أن يبقى بحثه محصورا في أبنية النّصوص وصياغتها مع إحاطته بالعلاقات الاتّصاليّة والاجتماعيّة والنّفسيّة العامّة، ويظلّ "النّصّ" هدف البحث ونقطة انطلاقه؛ فهي المهمّة الأساسيّة لعلم اللغة النّصّيّ على الإطلاق وإن جاز تضافر العلوم في معالجة النّصّ بوصفه شرطا ضروريّا لإسهام منهجي واعد؛ ولكن دون مبالغة في تناول جوانب الموضوع.[3]

نشأة علم النّصّ

ممّا يُلاحظ أنّ فرع علم لغة النّصّ –كمدرسة لغويّة وعلم مستقل– نشأ في أحضان المناهج البِنيويّة والوصفيّة الغربيّة، لكن هذا لا يمنع من وجود ملامح لهذا المنهج متناثرة عند القدماء ولا سيّما في مؤلّفات النّحويّين والبلاغيّين والنّقّاد والمفسّرين.

---

[1] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، في مقدّمته للكتاب، ث.

[2] ينظر: عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، د. ط، القاهرة: مكتبة زهراء الشّرق، 2001م، ص21، وفولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص8.

[3] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص11.

أمّا النّحويّون فمنهم "عبد القاهر الجرجانيّ" وهو من الأوائل الذين أشاروا إلى مصطلحات "التّضام "collocation، النّظم، البناء، التّركيب" في دراسته للنّحو وذلك من خلال "نظريّة النّظم" وحديثه عن الفصل والوصل بين الجمل، وهو بذلك تجاوز مجرّد الفائدة الجزئيّة إلى النّصّ، أو إلى منظومة الجمل التي تتفاعل وتترابط فيما بينها مكوّنة سياقا أعمّ وأشمل وأكمل، فلا وجود _موضوعيّا_ للجملة المستقلّة، وهذا هو مستوى الفصاحة المتمثّل في القرآن الكريم والشّعر وأنواع النّثر الفنّيّ[1]، ويمكننا القول بأنّ علم النّظم عند عبد القاهر يعنى بدراسة التّبعيّات القواعديّة من حيث علاقتها بالمفاهيم، والعلاقات المتّصلة بهذه المفاهيم والكلمات، لكونه لم يرَ الفصاحة إلّا في تركيب الكلمات بعضها مع بعض وتأليفها في نسق واحد.[2]

وقد خصّص "دلائل الإعجاز" أبوابا كاملة لمفهوم التّام ومقوّماته، وما عُرف عند علماء اللغة النّصّيّين بمصطلح "السّبك" من مثل: التّقديم والتّأخير، والتّعريف والتّنكير، والحذف الإضمار، والعطف وأدواته المختلفة، وغيرها من الأبواب التي عُرفت بمصطلحات المحدثين كالإحالة، والرّبط، والإعلاميّة، وعالم النّصّ، وتأثير السّياق، وإعادة الصّياغة، إلخ..

كما اهتمّ البلاغيّون بعرض تفاصيل دقيقة لأبواب "الحقيقة والمجاز وعلاقاته التي منها: علاقة التّضاد، والسّببيّة، والمسبّبيّة، والآليّة، والكلّيّة، والجزئيّة. وقد اهتمّ عبد القاهر الجرجانيّ بهذه العلاقات من خلال عرضه لباب المجاز[3]، وهذه العلاقات هي ما عُرفت عند علماء اللغة النّصّيّين بمصطلح علاقات المفاهيم "الحبك coherence".

أمّا النّقّاد فقد اهتمّوا بقضيّة الاقتباس والسّرقات "التّضمين"، ويعني بالاقتباس ما يستغلّه الكاتب من نصوص القرآن الكريم والحديث الشّريف مستشهِدا به في كتاباته، ومنه قول الحريريّ: أنا أنبئكم بتأويله وأميز صحيح القول من عليله، كما يُقصد ب "بالتّضمين" الأخذ من نصوص الآخرين بوجه عام.

---

[1] الجرجانيّ، عبد القاهر بن عبد الرّحمن: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص243.

[2] المصدر نفسه، ص 81.

[3] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص81.

أمّا المفسّرون فنجد منهم السّيوطيّ الذي جعل من مظاهر إعجاز القرآن "التّماسك أو الالتئام" وهو الوجه الثّالث الذي يعني به "حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحته، ووجهه الرّابع "مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض، حتّى تكون ككلمة واحدة متّسقة المعاني منتظمة المبانيّ"[1]، ونلاحظ هنا مصطلحات التّماسك والتّلازم "الالتئام والمناسبة"، وجميعها من مصطلحات علم لغة النّصّ التي عُرفت عند المحدثين، كما وتعرّض السّيوطيّ لمصطلح "الانسجام" في قوله: "يكون الكلام لخلوّه من العقاد منحدرًا كتحدّر الماء المنسجم، ويكاد لسهولة تركيبه وعذوبة ألفاظه أن يسهل رقّة، والقرآن كلّه كذلك وقد جاءت قراءته موزونة بلا قصد لقوّة انسجامه".[2]

وهذا المفهوم "للانسجام" عند السّيوطيّ يختصّ بسهولة الألفاظ ورقّتها، وهو يختلف عن مدلول المصطلح عند المحدثين الذي يعني عندهم العلاقات المنطقيّة والتّصوّريّة التي تربط بين التّتابعات النّصّيّة.

كما وذكر عن "ابن الأصمع" مائة نوع من بدائع القرآن منها: التّكرار، وردّ العجز إلى الصّدر، وتشابه الأطراف، والإبدال، وحسن النّسق، وغيرها، وهذه تُعدّ من وسائل الترّابط".[3]

وبالرُّغم من أنّ العرب القدماء لم يضعوا نظريّة في علم لغة النّصّ ولم يصطلحوا عليه في مؤلّفاتهم، وإنّما جاءت أقوالهم في سياق حديثهم عن دور النّحو والبلاغة ومظاهر الإعجاز القرآنيّ، إلى غير ذلك من الأبواب إلّا أنّ ملامح هذا الدّرس الحديث لا يمكن إنكارها وتحتاج إلى دراسة مفصّلة.

أصبح التّركيز على النّصّ هو محور الاهتمام في بحث تحليل النّصّ، وسمات النّصّيّة التي تفرّق النّصّ عن مجموعة من الجمل المتفرّقة التي لا تشكّل نصّا، فهناك علاقة تكامليّة بين علم اللغة الجُمَليّ وعلم لغة النّصّ، حيث ينظر إلى دراسات علم اللغة الجَمليّ على أنّها تمهيد ضروريّ لأبحاث علم اللغة النّصّيّ، لذلك فإنّ النّصّ هو هدف البحث في علم اللغة النّصّيّ.

---

[1] السّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، 261/3.

[2] المصدر نفسه، ص259.

[3] الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكّيّة**، 86/1.

ليست الدّعوة إلى العناية بالبُعد النّصّيّ في الدّراسات اللغويّة الحديثة وليدةَ أمس القريب؛ فقد أشار (فولفجانج هاينه وديتر فيهفيجر) في هامش كتابهما: وُجدت محاولات لتوصيف ظواهر نصّيّة مفردة قبل نشأة "علم النّصّ" ويرجع اتّجاه تراثي مهمّ في علم اللغة النّصّيّ إلى البلاغة الكلاسيكيّة (فن الخطابة عموما) وعلم البلاغة المدرسيّ (فن المرافعة أمام المحكمة على وجه الخصوص) وأهمّ روّاد البلاغة القديمة (أرسطوطاليس aristoteles 322–384 ق.م)، و(شيشيرو cicero 43–106 ق.م)، و(كوينتيليان quintilian 35–96م).[1]

ونجد (فردينان دي سوسير) نفسه أشار في كلامه عن الخطاب إلى أنّ الإنسان لا يعبّر بكلمات منفصلة، وأنّه لا يمكن أن يكون لهذه الكلمات معنى ودلالة على أفكار معيّنة ما لم تُوضع في علاقات مع بعضها، كما وأنّه ليس الوحيد الذي أدرك أهمّيّة المظهر النّصّيّ أو الخطابيّ للغة[2]؛ بل إنّ العديد من لغويّي النّصف الأوّل من القرن العشرين أكّدوا في مناسبات مختلفة وفي إطار مواقف نظريّة متباعدة على ضرورة التّأسيس لِلسانيّات تدرس النّصّ أو الخطاب، ومنهم اللغويّ الدّانماركيّ (لويس هيلمسليف Louis hjelmslev) الذي أقرّ بأنّ تحليل النّصّ يجب ان يمتثل أحد الالتزامات التي لا مناص منها بالنّسبة للّسانيّ[3]، ويلتقي بذلك مع (ميخائيل بختين Mikhail bakhtine) الذي صرّح بأنّ "اللسانيّات لم تحاول أبدا سبر أغوار المجموعات اللغويّة الكبرى كالملفوظات (enonces) الطّويلة التي نستعملها في حياتنا العاديّة؛ مثل الحوارات والخطابات وغيرها، ويجب تعريفها ودراستها دراسة لسانيّة باعتبارها ظواهر لغويّة.. إنّ "نحو" الكتل اللغويّة الكبرى لا يزال ينتظر التّأسيس، فاللسانيّات لم تقدّم علميّا إلى حدّ الآن أبعد من الجملة المركّبة التي تعدّ أطول ظاهرة لغويّة طالتها الدّراسة العلميّة"[4].

كما ودعا (جاكبسون r. jakobson) مبكّرا إلى منظور مشابه؛ حين وضّح عام (1960م) في ملتقى جامعيّ أنّ السّبب في محاولة جعل "الإنشائيّة" بعيدة عن اللسانيّات هو اقتصار الدّراسة

---

[1] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص2.

[2] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص60.

[3] سعد، مصلوح: **من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، الكتاب التّذكاريّ لقسم اللغة العربيّة، جامعة الكويت، 1989–1990م، ص407.

[4] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص61.

اللسانيّة وبشكل غير مُبُرَّر على الجملة، وذلك بإيعاز من بعض اللغويّين الذين يريدون أن تبقى الجملة أعلى بِنية يمكن تحليلها، وأن تكون وسيلة التّحليل الوحيدة هي النحو بمفهومه التّقليديّ الضّيّق.[1]

لم تنل هذه الدّعوات التّطبيق إلّا مع (هاريس Harris) حين نَشرِه دراستين مهمّتين في بداية النّصف الثّاني من القرن العشرين تحت عنوان "تحليل الخطاب" (analyse du discours) بتحليل منهجيّ لبعض النّصوص، وممّا أُثر عنه تشكيكه في صواب استغناء اللسانيّات عن المظهر الكتابي للّغة واقتصارها على اللغة المنطوقة في دراستها للنّظام اللغويّ، وهو ما كان سببا في إغفال جملة طويلة ولا متناهية، يعجز النّحو عن الإلمام بقواعدها ما لم يعتمد على الكتابة التي تُسلّمنا حتما إلى دراسة النّصّ.[2]

وبعد ذلك –وفي السّبعينيّات– عرفت الدّراسات النّصيّة مزيدا من التّطوّر والضّبط المنهجيّ، ولكن الدّراسة الرّائدة هي تلك التي قدّمها هاليداي ورقيّة حسن (1976) في كتابهما (cohesion in english) لبحث وسائل الرّبط التي تتجاوز مستوى الجملة، تطبيقا على اللغة الإنجليزيّة[3]، وعلى يد (تون أ. فان دايك t.a van dijk) ما جعل بعض اللغويّين يرى فيه المؤسّس الحقيقيّ لعلم النّصّ لتضمينه أفكاره وتصوّراته لأسس مبادئ هذا العلم في كتابه "بعض مظاهر نحو النّصّ" (quelques aspect la grammaire du texte)، مع الإشارة إلى أنّه لم يفرّق حينها بين النّصّ والخطاب؛ ولم يتدارك ذلك إلّا عام (1977م) في كتابه الآخر "النّصّ والسّياق" (la texte et le contexte)، واقترح من خلاله تأسيس نحو عامٍّ للنّصّ يأخذ بعين الاعتبار كلّ الأبعاد التي لها صلة بالخطاب، بما في ذلك الأبعاد البِنيويّة والسّياقيّة والثّقافيّة، وهو الذي جسّده في كتابه المهم بعنوان "علم النّصّ؛ مدخل متداخل الاختصاصات" عام (1980م).[4]

---

[1] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص61.

[2] المصدر نفسه، ص62.

[3] محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، تقديم: سليمان العطار، ط2، القاهرة: مكتبة الآداب، 2009م، كما جاء في المقدّمة ز_ ح.

[4] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص62.

كما وعاصر (فاين دايك) لغويّين آخرين كتبوا في علم النّصّ؛ ومنهم: (ستمبل stemple)، و(جليسون gleason)، و(هارفج harweg)، و(شميث schmidt)، دريسلر dreeslsr)، و(برنكر brinker)[1]؛ غير أنّ كتاباتهم لم تبلغ أوجها إلّا في (1981م) على يد اللغويّ الأمريكيّ (روبرت دي بوجراند Robert de beaugrande) في كتاب "مدخل إلى لسانيّات النّصّ"، والذي أشاد فيه بجهود (فان دايك)، وكتاب آخر قبله –له و(لدريسلر)– وهو في غاية الأهمّيّة تحت عنوان "النّصّ والخطاب والإجراء" (introduction de linguistique) من خلال سبعة معايير للنّصّيّة، هي: الرّبط اللفظيّ، والتّماسك المعنويّ، والإعلاميّة، والتّناصّ، والسّياق، والقصديّة، والمقبوليّة..[2]

حقّق علم النّصّ تطوّرا هائلا في العشرين سنة الأولى من وجوده، وأفضى إلى إدراك جوهريّ لبناء النّصوص، وتماسكها في علاقات ممتدّة، لكن ارتبط بذلك أيضا تجاوز الحدود اللغويّة الصّارمة، وتوسيع رقعة علم اللغة في اتّجاهات مختلفة، حتّى إنّ نقّاده يتّهمونه بالتّطوّر في اتّجاه "علم شامل" لا بدّ أن يفضي حتما إلى غموض زائد في مفاهيمه المتخصّصة وفي إجراءاته وفي تثبيت المصطلح في وحداته.[3]

مَهَمّة علم النّصّ

بيّن علماء اللغة النّصّيّون في مؤلّفاتهم مَهامّ عدّة لعلم النّصّ؛ أبرزها:

- وصف النّصّ (text description): ويقصد بوصف النّصّ توضيح مكوّنات النّصّ؛ وذلك بتعيين الجملة الأولى فيه، وتوضيح الموضوعات المتناوَلة فيه مع بيان الرّوابط الشّكليّة والمعنويّة الموجودة فيه، وما تؤدّي إليه من انسجام وسبك بين متتابعات النّصّ حتّى تصير كأنّها جملة واحدة، وعندئذ يبدأ تحليل النّصّ.[4]

---

[1] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص32.

[2] ينظر: محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النص، النظرية والتطبيق**. تقديم: سليمان العطار، كما جاء في المقدّمة ز_ ح، ومحمد الأخضر الصبيحي: مدخل إلى **علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص63.

[3] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص7.

[4] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص24، والأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص35.

- تحليل النّصّ (text analysis): لا يقتصر تحليل النّصّ على بيان الرّوابط الدّاخليّة فقط بل يهدف إلى توضيح الرّوابط الخارجيّة أيضا، ومن ثَمّ يظهر دور السّياق في تأليف أشتات النّصّ التي تبدو متفرّقة فتصبح متجاذبة.[1]

- مراعاة دور النّصّ في التّواصل، وذلك من خلال الوقوف على أحوال المنتِج والمتلقّي للنّصّ.[2]

- كما أنّ من المهام التي يسعى إليها علم لغة النّصّ والتي لا تقتصر على وصف النّصّ وتحليلها؛ فهي مهمّة أكثر عموميّة وشمولا، فمن ناحية يشير إلى أنواع النّصوص جميعها وأنماطها في السّياقات المختلفة، كما أنّه من ناحية أخرى يتضمّن الإجراءات النّظريّة والوصفيّة والتّطبيقيّة ذات الطّابَع العلميّ المحدّد.[3]

- كذلك يتطلّب تفسير الخطاب وتأويله، والوقوف على المستوى النّحويّ التّركيبيّ، والمستوى المُعجميّ، والمستوى الدّلاليّ، والمستوى الصّوتيّ، والمستوى التّنغيميّ –مستوى بروز أو نتوء الصّوت–، هذا بالإضافة إلى المستوى الاستراتيجيّ المتمثّل في اختيار استراتيجيّة كعيّنة للخطاب، ومن ذلك طرائق استراتيجيّات معالجة وفهم النّصّ.[4]

- علم النّصّ يسعى إلى الكشف عن القوانين والمعايير التي يستقيم بها النّصّ، فإنّ له في الحقيقة هدفًا أعمق ويتمثّل في محاولة تحديد مختلف البِنيات المجرّدة التي تتولّد وفقها مختلف أنواع النّصوص؛ ويكون ذلك بدراسة كلّ نوع، ورصد ما فيه من عناصر بنائيّة وشكليّة قارّة.[5]

---

[1] فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص247.

[2] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص25.

[3] فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص247.

[4] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّيّ**، ترجمة: فالح بن شبيب العجميّ، ص24.

[5] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص31.

معايير النّصيّة

اتّضحَ لنا فيما سبق أنّ النّصّ ليس مجرّد ترتيبٍ لجمل عشوائيّة، وهذه الجمل لا تتحقّق هويّتها إلّا إذا كانت إلى جانب جمل وتراكيب أخرى تحتويها في سياق التّلفّظ، وأجمع علماء النّصّ على أنّ النّصّ وحدة لغويّة مُهيكَلة (structuree)؛ بحيث تجمع بين عناصرها علاقات وروابط معيّنة، وهذا ما يجعل من النّصّ كُلّا مترابطا منسجما، ويؤكّدون على غائيّته؛ وهي تحقيق التّواصل بين المتكلّمين أو بين الكتّاب والقارئين، وأنّ ذلك لا يتمّ إلّا في سياق معيّن.

تمثّل هذه العوامل مجتمعة بما يسمّونه ب "النّصّيّة" (la textualite)، وهي أيضا المقوّمات التي يتميّز من خلالها النّصّ من اللّانصّ، كما أنّها تمثّل المباحث الأساسيّة للسانيّات النّصّ.[1]

تطرّق علماء اللغة إلى معايير نصّيّة عِدّة؛ وكانت مبثوثة في كتبهم غير شاملة؛ يتناول الواحد منهم بعضها ويترك الآخر، وهذا ما أكّده دي بوجراند في قوله: "ليست هذه المعايير جديدةً بطبيعة الحال؛ ولكن علاجها حتّى هذه اللحظة جاء مفرَّقا ومدمجا"[2].

لكنّه يعدّ –أي دي بوجراند– من أوائل علماء النّصّ الذين حدّدوا بدقّة متناهية سبعة معايير للنّصّيّة؛ بحيث جاءت شاملة لكلّ تعاريف النّصّ على اختلافها، وجاء ذلك واضحا في كتابه "النّصّ والخطاب والإجراء" وهو يقول: "وأنا أقترح المعايير التّالية لجعل النّصّيّة (textuality) أساسًا مشروعا لإيجاد النّصوص واستعمالها... أمّا أن يمكن أو لا يمكن لشيء أن يُعدَّ نصًّا فذلك يتوقّف على مراعات هذه المعايير...، لأنّه لا يمكن لواحد من هذه المعايير أن يُفهم دون التّفكير بها"[3].

وأمّا هذه المعايير فهي: السّبك (cohesion)، والالتحام (coherence)، والقصد (Intentionality)، القبول (Acceptability)، ورعاية الموقف(Situationality)، والتّناص (Interuality)، والإعلاميّة (Informativity).[4]

---

[1] الأخضر، محمّد الصبيحيّ: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص58.

[2] روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص105.

[3] المصدر نفسه، ص103–106.

[4] نفس المصدر، ص103–105.

وتجدر الإشارة إلى أنّ من علماء النّصّ من أطلق على هذه المسمّيات مسميّات أخرى؛ فالسّبك هو الاتّساق والتّماسك أو التّضام أو الرّبط النّحويّ، والالتحام هو الانسجام أو الحبك أو التّقارن، والقصد هو القصديّة أو هدف النّصّ، والقبول هو المقبوليّة، ورعاية الموقف هي الموقفيّة أو المقاميّة أو السّياق، والتّناص هو ذاته، والإعلاميّة هي الإخباريّة.[1]

ويرى سعد مصلوح أنّ بالإمكان تقسيمها إلى ثلاثة أصناف:

الأوّل: صنف يتّصل بالنّصّ؛ ويشمل معياريَ الاتّساق والانسجام.

الثّاني: صنف يتّصل بمُنتِج النّصّ ومتلّقّيه؛ ويشمل معياريَ القصديّة والمقبوليّة.

الثّالث: صنف يتّصل بظروف إنتاج النّصّ وتلقّيه؛ ويشمل معياريَ السّياق والتّناصّ.[2]

أمّا المعيار الأخير "الإعلاميّة" –وحسبما يراه دي بوجراند– فهو حسب التّقدير.[3]

ويعرض الباحث بعض التّوضيح لبيان مفهوم هذه المعايير النّصيّة؛ وذلك على النّحو التّالي:

أوّلا: السّبك (cohesion) أو الاتّساق أو الرّبط النّحويّ

وهو يشتمل على الإجراءات المستعملة في توفير التّرابط بين عناصر ظاهر النّصّ كبناء العبارات والجمل واستعمال الضمائر وغيرها من الأشكال البديلة، وقد تحقّق من خلال التّرابط بين السّبك والمعايير النّصيّة الأخرى لتحقّق جودة الاتّصال، وينقسم السّبك إلى نوعين:

أوّلهما: السّبك النّحويّ (grammatical cohesion)، ويشمل: الإحالة المتبادلة (co-reference)، والاستبدال (substitution)، والحذف (ellipsis)، والرّبط (junction).

---

[1] رشيد، شيماء: **النّصّ بين النّحويّين القدماء والدّراسات اللسانيّة الحديثة**، مقالات، 18يناير 2015م.

[2] نظر: عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص76.

[3] روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص106.

آخرهما: السّبك المعجميّ (lexical cohesion) ويشتمل على علاقتيّ التّكرار (reiteration) والمصاحبة اللغويّة أو التّضام (collocation) التي تشتمل على هيئة نحويّة للمركّبات.[1]

ثانيا: الحبك (coherence) أوالانسجام أو التّماسك

يعدّ الحبك من أهمّ معايير النّصيّة التي اشترطها اللغويّون لوصف النّصّ بالتّرابط والتّماسك، ويقصد به العلاقات المنطقيّة التّصوّريّة التي تجعل النّصّ مترابطا، وإن خلا من الرّوابط السّابق ذكرها في السّبك بنوعيه، ويتحقّق الحبك عن طريق مبادئ؛ كمبدأ التّأويل، ومبدأ التّشابه والتّغريض، وإجراءات متمثّلة في معرف السّياق والمعرفة الخلفيّة وعلاقات داخليّة وعناصر مقاميّة متعالقة يتمّ بواسطتها فهم النّصّ.[2]

هذان المعياران "السّبك والحبك" يعدّان أهمّ المعايير؛ لكونهما الأكثر اتّصالا بالنّصّ من حيث تماسكه النّحويّ والدّلاليّ وعلاقاته المنطقيّة التي توفّر له الانسجام والسّبك.

ثالثا: القصديّة (intentionality) أو هدف النّصّ

ويعنى بها موقف منتج النّصّ لإنتاج نصّ متماسك ومترابط، ويُجمل حسام فرج أهميّة القصديّة بقوله: "النّصّ ليس بِنية عشوائيّة؛ وإنّما هو عمل مقصود به أن يكون متناسقا ومترابطا لكي يحقّق هدفا معيّنًا، وبمعنى آخر فهو عمل مخطّط يستهدف به تحقيق غاية بعينها"[3].

---

[1] ينظر: النّجّار، نادية رمضان، **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص16، وروبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص103.

[2] ينظر: قياس، ليندة: **لسانيّات النّصّ بين النّظريّة والتّطبيق؛ مقامات الهمذاني أنموذجا**، ص23، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص16، دي بوجراند، روبرت: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص17.

[3] فرج، حسام أحمد: **نظريّة علم النّصّ؛ رؤية منهجيّة في بناء النّصّ النّثريّ**، ط1، القاهرة: مكتبة الآداب، 2007م، ص50.

رابعا: القبول (acceptability) أو المقبوليّة، وتتعلّق بموقف المتلقّي من قبول النّصّ

ويقصد به موقف مستقبل النّصّ إزاء كون صورة ما من أشكال اللغة ينبغي لها أن تكون مقبولة من حيث هي نصّ توفّر فيه عناصر السّبك والحبك.[1]

خامسا: المقاميّة (situationality)، وتتعلّق بمناسبة النّصّ للموقف

وهي تتضمّن العوامل التي تجعل النّصّ مرتبطًا بموقف سائد، أو بموقف قابل للاسترجاع.[2]

سادسا: التّناصّ (intertextuality)

ويعنى به العلاقات بين نصّ ما ونصوص أخرى مرتبطة به، وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة.[3]

سابعا: الإخباريّة (informativity) أو الإعلام، توقّع المعلومات الواردة فيه أو عدمه

ويشار بها إلى ما يحمله النّصّ من المعلومات التي تهمّ السّامع أو القارئ ويتحقّق بها هدف التّواصل بي منتج النّصّ ومتلقّيه، ولهذه الإعلاميّة درجات، حيث يحمل كلّ نصّ درجة معيّنة من الإعلاميّة يحدّدها منتجه ومتلقّيه معا.[4]

وحين يضع المنتِج والمتلقّي والنّاقد هذه المعايير محلَّ اهتمام؛ لا بدّ لهم من الانتباه مليًّا والأخذ بعين الاعتبار العوامل الأربعة جميعا"(اللغة، والعقل، والمجتمع، والإجراء).[5]

---

[1] روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص104.

[2] المصدر نفسه، ص104.

[3] ينظر: النّجّار، نادية رمضان، **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص19، وروبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص104.

[4] النّجّار، نادية رمضان، **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص18.

[5] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم اللغة النّصّي**، ترجمة: فالح بن شبيب العجمي، ص96.

المَبحَثُ الثّاني

عِلمُ نَحوِ النّصِّ

النّحو لغةً

جاء في لسان العرب:" "والنّحو: القصد والطّريق، ويكون ظرفا ويكون اسما، نحاه ينحوه وينحاه نحوا وانتحاه، ونحو العربيّة منه، إنّما هو انتحاء سمت كلام العرب في تصرّفه من إعراب وغيره كالتّثنية والجمع والتّحقير والتّكبير والإضافة والنّسب وغير ذلك... والجمع أَنحاء ونُحُوٌّ؛ قال سيبويه: شبَّهوها بعُتُوٍّ، وهذا قليل.[1]

وبيّن الأشموني في شرح ألفيّة ابن مالك معان لغويّة أخرى: والمثل، نحو" مررت برجل نحوك، أي: مثلك. والجهة، نحو توجّهت نحو البيت، أي: جهة البيت. والمقدار، نحو: له عندي نحو ألف، أي: مقدار ألف. والقِسم، نحو: هذا على أربعة أنحاء."[2]

النّحو اصطلاحًا

والنّحو في الاصطلاح: العلم المستخرج بالمقاييس المستنبطة في استقراء كلام العرب الموصلة إلى معرفة أحكام أجزائه التي ائتلف منها، وهو مصدر أريد به اسم المفعول؛ أي المنحو؛ كالخلق بمعنى المخلوق.

وسبب تسميته بالنّحو، هو ما روي أنّ عليًّا لمّا أشار على أبي الأسود الدّؤليّ أن يضعه، وعلّمه الاسم والفعل والحرف وشيئا من الإعراب، قال: "انحُ هذا النّحو يا أبا الأسود".[3]

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (نحو).

[2] الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الشافعي (المتوفى: 900هـ): **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419ه/ 1998م، 19/1.

[3] المصدر نفسه، ص120.

مفهوم نحو النّصّ

نحوُ النّصِّ –كَعِلمٍ مستقلّ– نظريّةٌ أو اتّجاهٌ وفرعٌ لغويّ غربيّ حديثٌ من اللسانيّات الوصفيّة، يُعنى بوصف البِنية الكلّيّة للنّصّ وتحليلها وبيان علاقاتها؛ دون الاقتصار على دراسة الجملة فقط كما هو مألوف في النّحو العاديّ، مع تركيز الاهتمام على توضيح أوجه الاطّراد والتّتابع اللغويّة النّصّيّة التي تحقّق تماسك النّصّ وتناسقه[1]، وهذا ما يوضّحه (شبلنر) في قوله: على حين كانت تعدّ البلاغة والدّراسات الأسلوبيّة في الماضي فروعا علميّة قديمة تشترك مع علم اللغة والدّراسات الأدبيّة في مجال مهم؛ فقد أصبح في السّنوات الأخيرة فرع جديدا في نشأته، وهو ما يرمز له بنحو النّصّ.[2]

تعدّدت آراء العلماء حول تحديد مفهوم "نحو النّصّ" وتقديم تعريف واضح له؛ غير أن المستخلص من كلامهم بشكل عام أنّه ذلك الفرع من النّحو الذي يصف وسائل التّعبير المسؤولة عن عمليّة تشكيل النّصّ.[3]

وممّا قيل في بيانه: هو نمط من التّحليل ذو وسائل بحثيّة مركّبة تمتدّ قدرتها الشّخصيّة إلى ما وراء الجملة بالإضافة إلى فحصها لعلاقات المكوّنات التّركيبيّة داخل الجملة.[4]

وقيل: "هو العلم الذي يبحث في سمات النّصوص وأنواعها، وصور التّرابط والانسجام داخلها، ويهدف إلى تحليلها في أدقّ صورة تمكّننا من فهمها وتصنيفها، ووضع نحو خاصّ لها ما يسهم في إنجاح عمليّة التّواصل التي يسعى إليها منتج النّصّ ويشترك فيها متلقّيه"[5].

ويرى صالح عبد العظيم الشّاعر أنّ هذا التّعريف أوفى التّعريفات وأوضحها وأدّقها؛ لبيانه مهمّة ومجال عمل نحو النّصّ، وهي "البحث في سمات النّصوص وأنواعها"، ولإشارته على وجه الخصوص إلى مَلمَحين رئيسين ومعيارين لنحو النّصّ، هما: السّبك والحبك في قوله: "صور

---

[1] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص52

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص78.

[3] خليل، عبد العظيم فتحي: **مباحث حول نحو النّصّ**، جامعة الأزهر، القاهرة: كلّيّة اللغة العربيّة، ص10.

[4] النّجّار، نادية رمضان، **عناصر السّبك بين القدماء والمحدثين**، مجلّة كلّيّة دار العلوم، القاهرة، 2005م، 563/2.

[5] الشّاعر، صالح: **شعر محمّد مهدي الجواهريّ؛ دراسة نحويّة نصّيّة**، ط1، مصر: دار طيبة للنّشر، 2010م، ص48.

التّرابط والانسجام داخلها"، حيث إنّ التّرابط للألفاظ والصّيغ، والانسجام للمفاهيم والمعاني، ولبيانه الأهداف القريبة لنحو النّصّ، وهي: "تحليل النّصوص في أدقّ صورة"، والمهام العظمى له، وهي: "فهم النّصوص وتصنيفها ووضع نحو خاصّ لها"، ولإشارته إلى عمليّة التّواصل بين المبدع والمتلقّي، وهي القضيّة ذات الأهمّيّة الكبرى لدى النّقّاد"[1] هذا النّصّ المنجَز الذي لا يتمّ تحليله نحويًّا إلّا عن طريق مراعاة التّفاعل والتّرابط بين جسد النّصّ بأجزائه من ناحية؛ ومدلولاته المتنوّعة من ناحية ثانية، وكذلك مراعاة التّفاعل بين المبدع والمتلقّي من خلال مراعاة المقام الذي يشغل جزءا لا بأس به من اهتمام نحو النّصّ.[2]

يُفهم تحت "نحو النّصّ" ذلك الفرع من قواعد النّصّ التي لم تُقَم بعد، وهو الذي يصف وسائل التّعبير المسؤولة عن عمليّة تشكيل النّصّ، وخلافا لدلالة النّصّ وبراجماتيّة النّص؛ يقتصر مجال نحو النّصّ على الوسائل اللغويّة المتحقّقة نصّيًّا والعلاقات بينها.[3]

هدف نحو النّصّ

هدف نحو النّصّ هو الوصف والدّراسة اللغويّة للأبنية النّصّيّة، وتحليل المظاهر المتنوّعة لأشكال التّواصل النّصّيّ.

أهمّيّة نحو النّصّ

تنبع أهمّيّة نحو النّصّ بعد أن أصبحت الحاجة إليه ملحّة، وذلك لتغيّر المفاهيم النّقديّة الحديثة وتغيّر النّظرة اللسانيّة ووظيفتها عند تحليل النّصوص، ويعرض الباحث هذه الأهمّيّة من خلال النّقاط التّالية:

- إنّ ارتباط نحو النّصّ الوثيق بتحليل الخطاب وتعددّ المذاهب النّقديّة الجديدة التي تركّز على النّصّ كبنية كلّيّة لا على الجملة باعتبارها بنى فرعيّة كان واضحا وضروريّا، حيث صنع

---

[1] الشّاعر، صالح: **شعر محمّد مهدي الجواهريّ؛ دراسة نحويّة نصّيّة**، 48.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص10.

[3] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ؛ مشكلات بناء النّصّ**، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحيري، ص69.

ذلك تطوّرا جليّا من نحو الجملة إلى نحو النّصّ الذي يشمل الـنّصّ وسـياقه، وظروفـه، وفضاءاته، ومعانيه المتعالقة القبليّة والبعديّة، مراعيا ظروف المتلقّي وثقافته وأشياء أخرى تحيط به، فهذا النّصّ لم يَعد تتابعا مسلسلا من الجمل؛ ولكنّه مبنى فريد قائم برأسه، وقد أكّد (بايك) وأوجب أن يتّسع مفهوم النّحو ليصبح مكوّنا من مكوّنات نظريّة شاملة تفسّر السّلوك الإنسانيّ.[1]

- كثير من الظّواهر التّركيبيّة لم تفسّر في إطار الجملة تفسيرا كافيا مقنعا، فكانت الحاجة إلى وحدة أكبر من الجملة ضروريّة للحكم على هذه الظّواهر، فكان النّصّ هو هذه الوحدة، من هنا فإنّ نحو النّصّ يهتمّ في تحليلاته بضمّ عناصر جديدة منطقيّة ودلاليّة وتركيبيّـة ليقـدّم شكلا جديدا من أشكال التّحليل لبنية النّص، وتصوّر معايير التّماسك والتّرابط والانسـجام، ولهذا تضافرت تقريرات اللسانيّين من أمثال (بايك وهارتمان وجليسون وساندرز ولونجاكر وفاين دايك وغيرهم) على أنّ نحو النّصّ بالنّسبة لأيّ لغة بعينها يكون أكثر شمولا وتماسكا واقتصادا من النّحز المصوّر في حدود الجملة، ومن هنا تغيّرت الأهداف وتحدّدت أهـداف أخرى كبرى جديدة نصيّة مختلفة، منها كما يقول سوينسكي: علاقات التّماسـك النّحـويّ النّصّيّ وأبنية التّطابق والتّقابل والتّراكيب المحوريّة والتّراكيب المُجتزَأة، وحالات الحذف، والجمل المفسّرة، والتّحويل إلى الضمير، والتّنويعات والتّركيبات وتوزيعها فـي نصـوص فرديّة، وغيرها من الظّواهر التّركيبيّة التي تخرج عن إطار الجملة المفردة التي لا يمكـن تفسيرها تفسيرا كاملا دقيقا إلّا من خلال وحدة النّصّ الكلّيّة.[2]

- الإحساس بالوظيفة الاجتماعيّة للّغة وضرورة وجود دور تواصليّ دفع إلى تغيّـر نظـرة الدّرس اللسانيّ إلى اللغة، فاجتزاء الجمل يحيل اللغة الحيّة إلى فتات وتفاريق مـن الجمـل المصنوعة والمجففة أو المجمّدة، وذلك عند وجود شواهد نحويّـة وبلاغيّـة تـأتي غالبـا

---

[1] ينظر: مفتاح، محمد: **ديناميّة النّصّ؛ تنظير وإنجاز**، ط2، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، بيـروت، 1990م، ص30، وسعد، مصلوح: **من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، ص11.

[2] ينظر: بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص106-107، وعفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجـاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص39.

مصنوعة، أو منزوعة من سياقها، ممّا يتنافى ونحو النّصّ. فهذه الوظيفة الاجتماعيّة والدّور التّواصليّ يفسحان الطّريق للنّحو أن يتّسع مفهومه، ليصبح مكوّنا من مكوّنات نظريّة شاملة تفسّر السّلوك الإنسانيّ، وهذا لا يتمّ إلّا من خلال نصّ مرتبط بسياق تواصليّ وليس من خلال جملة.[1]

- ظهور مهام جديدة للنّحو هي من مهام نحو النّصّ لا من مهام نحو الجملة، منها صياغة قواعد تمكّننا من حصر كلّ النّصوص النّحويّة في لغة ما بوضوح، ومن تزويدنا بوصف للأبنية؛ فنحو النّصّ إعادة بناء شكليّة للكفاءة اللغويّة الخاصّة بمستخدم اللغة في عدد لا نهائيّ من النّصوص.[2]

- الإفادة من نحو النّصّ في خدمة التّرجمة من لغة إلى لغة أخرى، حيث يرى دي بوجراند أنّه يمكن للسانيّات النّصّ أن تقدّم إسهاما لدراسات التّرجمة؛ بعكس اللسانيّات التّقليديّة التي تُعنى بالنّظم الافتراضيّة؛ لأنّ التّرجمة من أمور الأداء، وليس امتلاك النّحو والمعجم فقط كافيا للقيام بالتّرجمة؛ بسبب الحاجة إلى التّرابط في استعمالات اللغة، وذلك من المهام الأساسيّة لنحو النّصّ.[3]

- يمكّننا نحو النّصّ من إعادة النّظر في المفاهيم اللغويّة التّقليديّة السّائدة؛ وذلك إمّا لتعميقها أو لتعديلها؛ كإعادة دراسة القصيدة الجاهليّة من خلال وسائل التّماسك، أو وسائل الرّبط الرّصفيّ الذي ينتج عنه القول بوجود وحدة عضويّة كاملة، وكالنّظر إلى موضوع التّضمين[4] على أنّه ليس عيبا من عيوب القافيّة، فقد عابه العروضيّون واعتبروه قُبحا وعلى الشّعراء أن يتفادوه؛ مع أنّه ارتباط دلاليّ (رصف أو مفهوم) مباشر، وهو تعالق نحويّ بين بيتين من الشّعر؛ فالبيت الأوّل يحتاج البيت الثّاني؛ ومن هنا تدخل الرّؤية الواضحة لنحو

---

[1] سعد، مصلوح: **من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، ص410.

[2] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص135-136.

[3] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص41.

[4] ينظر: التّبريزيّ: **الكافي في العروض والقوافي**، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، مكتبة الخانجيّ، القاهرة، 1977م، التّضمين عند العروضيّين: "تعليق قافية البيت الأوّل بالبيت الثّاني"، ص166.

النّصّ لتحسم الموقف مؤكّدة أن هذا التّرابط بين بيتين من الشّعر ليس عيبا بما في من انسجام وتلاحم رصفيّ ومفهوميّ؛ وهكذا نستطيع أن نغيّر رؤيتنا حول بعض المفاهيم من خلال نحو النّصّ[1].

النّحو في التّراث العربيّ ونحو النّصّ

يرى بعض علماء النّص أنّنا إذا عدنا إلى النّحويّين العرب نجد لمحات ونظرات نصّيّة لدى بعض النّحاة، ونلاحظ كثيرا من المعطيات النّصّيّة في النحو العربيّ؛ وهذا يتّضح في مسألتين: حصر جهود النّحاة النّصّيّة، والالتفات إلى أثر النّحو العربيّ فيما سُمّي بلسانيّات النّصّ العربيّة[2].

ويؤكّد عمر أبو خرمة وجود إشارات واضحة جدًّا لنحو النّصّ في التّراث العربيّ حول هذا المفهوم لا المصطلح؛ وذلك عند تناوله ثلاث فترات زمنيّة متباعدة، علماء القرن الخامس الهجريّ كعبد القاهر الجرجانيّ المتوفّى سنة (471ه)، والقرن التّاسع الهجريّ كإبراهيم بن عمر البقاعيّ المتوفّى سنة (885ه)، وعلماء العصر الحديث من القرن الرّابع عشر الهجريّ كسعيد حوّى في كتابه تفسير الأساس سنة (1398ه)، ووليد منير في كتابه النّصّ القرآنيّ (1418ه) = يؤكّد قائلًا: "فإنّ نحو النّصّ قد كان قابعا في ذهن هؤلاء العلماء الأفاضل رغم أنّهم لم يصرّحوا بذلك- وبخاصّة فكرة التّرابط الدّلاليّ، ولم تنتف فكرة التّماسك النّحويّ في أذهانهم وإن لم يدرسوها؛ لعلمهم أنّها ليست محلّ خلاف"، وأجمل جهود العلماء العرب في مضمار نحو النّصّ في عشر نقاط.[3]

اهتمّ الدّارسون –على مرّ العصور- في الثّقافة العربيّة بالوحدة القرآنيّة، من خلال جهود العلماء في إنشاء تفسيرات للقرآن؛ تراعي ربط الآيات بعضها ببعض داخل السّورة الواحدة، وربط السّورة بالسّورة داخل القرآن الكريم؛ على اعتبار عَدِّه نصّا كلّيّا واحدا.

---

[1] فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، ص264.

[2] حامد، عبد السّلام: **علاقة النّحو العربيّ بنحو النّصّ**، مقال، موقع رابطة أدباء الشّام، http://www.odabasham.net، 01.أيّار.2010.

[3] أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، الأردن: عالم الكتب الحديث، 1425ه/2004م، ص78-79.

تضافرت جهود نحويّة وبلاغيّة لتوسيع علم النّحو، ليشمل دراسة النّصّ من حيث هو نصّ، ودراسة أثره من حيث هو اختيار للنّاصّ أو النّاظم.

شكّل الجرجانيّ نقطة وعي شاملة بعلم النّحو؛ حيث قرّر أقسامه الحقيقيّة ابتداء من نحو الجملة، مرورا بنحو ما فوق الجملة[1]، وصولا إلى نحو النّصّ، وانتهاء بنحو الأسلوب.

شكّلتْ دراسة الفصل والوصل مُرتكَزا أساسيّا في الولوج إلى نحو النّصّ في الثّقافة العربيّة.

بدأت الدّراسات النّصّيّة التّطبيقيّة على القرآن الكريم بالجّهود التّفسيريّة، وبدأت خجولة متأنّية على ما يلمّح البقاعيّ، تدرس التّرابط في النّصّ على المستوى الدّلاليّ في بعض النّصوص دون بعض.

تفجّرت التّطبيقات الكاملة للوحدة القرآنيّة وترابط القرآن الكريم على يد البقاعيّ حين درس القرآن الكريم على مستويين: مستوى ربط الآيات داخل السّورة الواحدة دلاليّا، ومستوى ربط السّورة بالسّورة داخل القرآن الكريم؛ كنصٍّ كُلِّيٍّ دلاليٍّ أيضا.

اعتمد الدّارسون على الحدس؛ وليس على نظريّة نحويّة في الرّبط؛ سواء على المستوى الدّاخليّ (الآيات بعضها ببعض) أو على المستوى الخارجيّ (السّوَر بالسّور)، وكانت نتائجهم على حدسهم دقيقةً إلى حدّ كبير، ما يُنبئ بوجود نظريّة في عميق بنيتهم الفكريّة؛ وإن لم تظهر على السّطح عند التّطبيق، وكان أقلّهم التِفاتًا لهذه النّظريّة وليد منير؛ لأنّه التَفَتَ إلى جهود الغرب والصّدور عنها أكثر من التِفاتِهِ إلى جهود مَن سبقه مِنَ العرب.

وظّفَ العلماء العرب في إثبات الوحدة الدّلاليّة في القرآن الكريم معرفةَ العالم؛ كمعرفة أسباب النّزول، والسّيرة، والحديث، والتّاريخ.

لم يحاول علماء العرب الوصول من خلال هذا الجهد الكُلّيّ الضّخم إلى القوانين التي شكّلت النّصّ؛ باستثناء تلك الشّذرات التي قدّمها الجرجانيّ في الدّلائل والبقاعيّ في النّظم.

---

[1] أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، يقصد ب "نحو ما فوق الجملة" نحو المتعلّقات المنصوبات؛ وليس ما ذهب إليه بعض علماء نحو النّصّ أنّه مُساوٍ في المفهوم لنحو النّصّ، ص44.

نظروا إلى التّماسك النّحويّ على أنّه سهلٌ مِن جِهة ويمكن الوصول إليه بيُسر؛ ومن جهة ثانية قفزوا عن مقدّماته الضّروريّة إلى النّتائج النّهائيّة؛ فأثبتوا الوحدة دون إثبات الطّريق إليها.[1]

بينما يرى تمام حسّان أنّنا إذا عدنا إلى النّحو العربيّ وقارنّا بينه وبين نحو النّصّ نجد أنّه نحو جملة أو من لسانيّات الجملة؛ ووضّح ذلك من خلال الاعتماد على نقاط الاختلاف والاتّفاق بين الاثنين، فهناك صفات يتّسم بها نحو الجملة وحده وهي:

الاطّراد: ومعناه أنّ القاعدة حكم على اللغة الفصيحة، وعلى رغم الاعتراف بالفصاحة للشّذوذ يظلّ الشّاذّ شاذًّا.

المعياريّة: وتعني إنّ القاعدة سابقة على النّصّ، وأنّها معيار للصواب والخطأ ينبغي أن يراعى عند إرادة القول.

الإطلاق: ومعناه أنّ القاعدة النّحويّة صادقة على ما قيل مِن قبل وما سيُقال من بعد، فهي الحكَم الذي يُردُّ إليه الكلام كلّه.

الاقتصار في البحث على حدود الجملة الواحدة فلا يتخطّاها إلّا عند الإضراب أو الاستدراك أو العطف وما يشبه ذلك.

ونحو النّصّ ينأى عن هذه الصّفات الأربع كلّها؛ فهو فيما يتعلّق بالاطّراد يعترف بالمؤشّرات الأسلوبيّة؛ وهي تصرّفات خاصّة يلجأ إليها منشئ النّصّ ليميّزه عن غيره أو ليثير بها انتباه المتلقّي، وهو أبعد ما يكون عن المعياريّة الإطلاق؛ لأنّه نحو تطبيقيّ لا يأتي دوره إلّا بعد أن نشأ النّصّ ويكتمل. وكذلك يتجاوز نحو النّصّ العلاقات داخل حدود الجملة إلى أجزاء النّصّ كلّه أيًّا كان طوله، محلّلًا إيّاها ومتتبّعا لها.)

[1] أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، ص78.

النّحو الغربيّ ونحو النّصّ

ركّز نموذج الوصف الخاص بنحو الجملة (النّحو التّحويلي التّوليدي لـدى تشومسـكي) ونحـو التّبعيّة –التّعليق – (لدى تنيير) ونحو الحالة (لدى فليمور) اهتمامه على المركّب الفعليّ أو الحمل (الإسناد) بوصفه نواة الجملة. وتعالج المركّبات الاسميّة بوجه خاص في نموذجيّ نحو التّبعيّـة "التّعليق" ونحو الحالة بوصفها قيما تابعة (عناصر أساسيّة "aktante" في نظريّة التّكـافؤ "قـوّة الكلمة" وما سمّي "الحالة العميقة tiefenkasus في نحو الحالة"، وتغفل بحـوث نحـو الـنّصّ المعروفة لنا أوجُهَ الحمل، وترى بوجه خاص المركّبات الاسميّة مكوّنات نصّيّة، وتعدّ (بليرت) في مقالتها (1972م) ما أسمته ب "المؤشّرات اللغويّة" أي مثل: الأعلام والضّـمائر الشّخصـيّة وضمائر الإشارة، والمركّبات الاسميّة المعرّفة بأداة أكثر "الرّوابط وضوحا في خطـاب مـا"، ويدور الأمر حول "روابط نصّيّة؛ اسميّة وضميريّة أيضا في أعمال (هارفج 1968م) و(ايزنبرج 1968م) و(شتاينتس 1969م)، ومع كلّ الاختلافات تشترك الأعمال المذكورة إلى حدّ كبير في أنّها مؤسّسة على مبدأ الإعادة النّصّيّة، وتحاول وصف أشكالٍ –بديلة– اسميّة مختلفة. [1]

وهناك اتّجاه آخر بَحثَ نحو النّصّ يمثّله اللغويّون الذين يعملون بمفاهيم "تضافر الجملة النّصّ"، ومن ضمن هؤلاء (بوست 1949م) و(بفوتسه 1965م) و(برينكمـان (1966م) و(اجريكـولا 1972م)؛ حيث يُفهَم الرّبط الشّكليّ والمضمونيّ للجمل إلى كلّيّات نصّـيّة بمسـاعدة الوسـائل اللغويّة، ويُستَخدم لربط الجمل المتجاورة مصطلحات "تضافر خارج الجملة" أو "الرّبط المجاور" أو "تضافر الجملة"، ولأوجه الرّبط بين الجمل الأكثر تباعُدا مصطلحات "الرّبط عـن بُعـد" أو "تضافر النّصّ". [2]

وفي هذا السّياق يصوغ فيتمرز (1970) أربعة قوانين (حتميّات) عامّة يجب أن تُوضـع فـي الاعتبار في كلّ نصّ[3].

---

[1] زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ط2، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحري، ص69.

[2] المصدر نفسه، ص70.

[3] نفس المصدر، ص74.

الأوّل: قانون "وثائق الصّلة المتعلّقة بالموضوع": ويعني العلاقة المباشرة أو غير المباشرة لكلّ جملة للنّصّ بموضوع النّصّ، ويفترض موضوعا للنّصّ الفكرة الرّئيسة الهادية.

الثّاني: قانون "الدّيمومة الجُمَلِيّة": ويعني أنّ كلّ جملة في النّصّ بوصفها شيئا قد قيل تشكّل الأساس لعناصر المعلومات الجديدة في الجمل التّالية، ويجمل برينكمان (1966) هذا الموضوع بقوله: "ما يُصاغ بجملة يتجاوز الجملة المصوغة؛ سواء من خلال ما وُضّح من قبل أو من خلال ما ضُمّنَ فقط مسبقا".

الثّالث: قانون "الرّبط المتجاور": ويعني العلاقة بين أزواج الجمل في النّصّ؛ أي العلاقات بين الجمل – السّابقة المباشرة والجمل المباشرة المخالفة لها.

الرّابع: قانون "القيمة الموقعيّة".

الحاضر الغربي ونحو النّصّ

هاليداي ورقيّة حسن

تقوم وجهة نظر (هاليداي) ورقيّة حسن في كيفيّة تشكيل النّصّ على إيمانهم العميق بأنّ نحو النّصّ ما هو إلّا دراسة الاعتبارات اللغويّة الخمسة الرّابطة بين جُمل لغويّة متتالية خطّيّة؛ وهي: الإحالة، والاستبدال، والحذف، والوصل، والاتّساق المعجميّ. ولا يكتسب النّصّ نصّيّته دون وجود هذه الاعتبارات، فنصّيّة النّصّ عندهم قضيّة داخليّة متعلّقة بالرّوابط، ووظيفة المتلقّي أمامها هو الحكم بوجودها أو عدمها.[1]

فانديك

حاول (فانديك) بمنهج آخر يختلف عن منهج (هاليداي) ورقيّة حسن أن يجد القواعد التي تسمح للمتلقّي بالحُكُم بالنّصّيّة على نصّ ما، حيث اعتقد أنّ المعنى السّياقيّ؛ أي معنى المفردة في تركيب جُمَليّ ما يختلف عن معناها المعجميّ؛ أي خارج التّركيب، وآمن أنّ هذا الاختلاف مِن

[1] أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، ص81.

أثر السّياق، ويعني بالسّياق هنا معرفة العالَم تحديدا؛ أي مجموع الخبرات الحياتيّة الواقعيّة التي يكتسبها الفرد، وأكّد أنّ هذه المعرفة هي التي تخلق انسجامه وترابطه، وفرّقَ بين الانسجام والتّرابط؛ إذ التّرابط هو وجود علاقة سبب ونتيجة في التّركيب، وتكون الجمل مترابطة بالقدر التي تكون فيها النّتائج متعالقة مع المقدّمات تعالقا مباشرًا؛ ويضعف التّرابط كلّما كان التّعالق غير مباشر أو غامضا، وربط بين درجة التّعالق من حيث مباشرته وقبول المتلقّي للنّصّ؛ أمّا الانسجام فقد جعله مرتبطا بالدّلالة، وذلك من خلال التّعالقات التّالية: تطابق الذّوات، والكلّ والجزء، والملكيّة، ووجود إطار، والحاليّة العاديّة المفترضة للعوالِم، وتعالق المحمولات، والتّذكّر والاسترجاع، وأدخل في انسجام النّصّ قضيّة التّرتيب، وركّز على التّرتيب المقيّد دون الحُرّ.

وبنى كلّ هذا ليصل إلى أنّ النّصّ ما هو إلّا بِنية كلّيّة ذات موضوع؛ بمعنى أنّ النّصّ يدور في بؤرة محدّدة هي موضوعه، وأنّ كلّ الجمل الأخرى ما هي إلّا شرح وتفسير وإعادة صياغة لتلك البؤرة.

ولا نزعم أنّه لم يقاربَ قضايا نحو النّصّ؛ بل ندّعي أنّه قاربها في جزئيّة مِن جزئيّاتها وعنصر من عناصرها دون أن يصل إلى نظريّة دقيقة شاملة لمفهوم النّصّ ونحوه قابلة للتّطبيق على النّصوص جميعها.[1]

براون ويول

ينطلق براون ويول باتّجاه منظر ثالث؛ حيث يعدّان كلّ وحدة لغويّة أكبر من الجملة موضوعا لتحليل الخطاب، وينطلقان أيضا من اختزال وظائف اللغة إلى وظيفتين أساسيّتين؛ هما: النّقل والتّفاعل[2]؛ لذا كان من أبرز مبادئ الانسجام في الخطاب عندهما السّياق، والتّأويل المحلّي، والتّشابه، والتّغريض.

---

[1] أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، ص87-89.

[2] ينظر: المصدر نفسه، النّقل عندهما هو: نقل المعلومات بين الأفراد والجماعات والأفكار والثّقافات، أمّا التّفاعل؛ فهو: استخدام اللغة من أجل تعزيز العلاقات الاجتماعيّة والحفاظ عليها. انظر: هامش ص90.

المبدأ الأوّل: السّياق؛ بمعنى: مجموع العناصر الخارجيّة (غير اللغويّة) التي تساعد في نقل المعلومة أو تنشيط التّفاعل ضمن مفهوم التّعاون بين المُرسل والمتلقّي، وذكرا عشر خصائص لهذا المبدأ؛ سواء متفرّقة أو مجتمِعة؛ وهي: المرسِل، والمتلقّي، والجمهور، والموضوع، والمقام، والقناة، والنّظام، وشكل الرّسالة، والمفتاح، والغرض.

أمّا المبدأ الثّاني للانسجام فهو التّأويل المحلّيّ؛ بمعنى: تقييد تأويل النّصّ بما ورد فيه من معلومات، واستغلال المعرفة السّابقة عن طبيعة النّصوص، وشكل المواقف؛ أي الالتزام بدوائر النّصّ المعطاة دون التّعسّف في التّأويل.

وأمّا المبدأ الثّالث للانسجام هو التّشابه؛ ويعني: اعتماد مقارنة نصوص حاليّة بنصوص سابقة، والقياس على معطيات السّابق في اللاحق.

والمبدأ الأخير فهو التّغريض؛ ويعني: افتراض أنّ الجملة الأولى في أيّ نصّ لها الحظ الأوفر في التّأثير في الجمل التّالية، ذلك أنّ كلّ جملة تُفهَم بناء على معطيات الجملة التي قبلها، وحركة النّصّ حركة تراكميّة خطّيّة.

مقولات العلماء العرب القدماء تعاطى معها الغربيّون

الثّابت للبحث أنّ الغرب في جهودهم الحثيثة للوصول إلى نظريّة في نحو النّصّ لم يستطيعوا أن يتجاوزوا أربع مقولات للعلماء العرب ظهرت جليّا في التّراث العربيّ؛ هي[1]:

- أدوات الرّبط ذات أثر فاعل في ربط النّصوص وتماسكها: ذلك أن العلماء العرب درسوا هذه الأدوات في إطار دراستهم للنّحو التّقليديّ، وكلّ ما أضافه علماء الغرب في هذا الباب أنّهم جمعوها في صعيد واحد وأدخلوها في دراسة نحو النّصّ مباشرة.

- دراسة الدّلالة وأنواعها: ذلك أنّ علماء العرب في إطار جهدهم الأصوليّ درسوا الدّلالة وأقسامها: المطابق، والتّضمين، والملازم، في المباحث اللغويّة، وكلّ ما أضافه علماء

[1] ينظر: حامد، عبد السّلام: **علاقة النّحو العربيّ بنحو النّصّ**، ص11، وأبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، ص95-96.

الغرب أنّهم ربطوها بمصطلح نحو النّصّ، في حين أنّ الأصوليّين لم يدرسوها تحت هــذا المصطلح، وإن درسوها ضمن مفهومه، لأنّ النّصّ القرآنيّ كان في أذهانهم.

- دراسة النّصّ ضمن إطار معرفة العالَم: ذلك أنّ علماء العرب لم يستطيعوا أن يتجــاوزوا معرفتهم بأسباب النّزول، والسّيرة، والحديث، والتّاريخ.. الخ، ولم يستطع علمــاء الغــرب أيضا أن يتجاوزوا معرفة المقام الحاليّ الخاصّ عند فهم العلاقات داخل النّصوص؛ بيد أنّ العرب –في إطار التّنظير لا التّطبيق– قد تجاوزوا هذه المشكلة، لكن التّقليد وعدم القدرة – عمليًّا– على كسر السّائد أبقاهم دائرين على معرفة العالَم. فالمشكلة –عَرَبِيًّا– تختلف عنها –غَرْبِيًّا– فهم لم يستطيعوا على المستويين–التّنظيريّ والتّطبيقيّ– تجاوز معرفة العالم؛ في حين تجاوز العرب المسألة على مستوى التّنظير ووقعوا فيها على مستوى التّطبيق.

- جزئيّة التّفكير في النّصّ: فالذين تحدّثوا في قضايا نحويّة أغفلوا القضايا الدّلاليّة؛ فتحــدّث هاليداي في التّماسك النّحويّ في النّصّ وأغفل التّرابطات الدّلاليّة، كما أنّ بــراون ويــول وفنديك تحدّثوا في ترابطات دلاليّة وأغفلوا التّماسك النّحويّ؛ كما هو الحال عنــد البقــاعيّ وسعيد حوّى اللذَيْن تحدّثا في التّرابطات الدّلاليّة وأغفلا التّماسك النّحويّ فيه.

بين نحو الجملة ونحو النّصّ

في هذه الجزئيّة يتناول الباحث ما يشترك فيه بحث الجملة ونحو النّصّ وأوجه الاختلاف بينهما؛ وذلك على النّحو التّالي:

ما يشترك فيه نحو الجملة ونحو النّصّ

هناك صفات مشتركة بين نحو الجملة ونحو النّصّ؛ يعرضها الباحث على النّحو التّالي:

- معيار السّبك أو ما يسمّى بالرّبط أو التّضام (coheshion): وهو علاقــة لفظيّــة تشــمل الافتقار والاختصاص والتّلازم والمطابقة وعود الضّمير وما شابه، ويهــتمّ هــذا المعيــار بظاهر النّصّ، ودراسة الوسائل التي تتحقّق بها خاصّيّة الاستمرار اللفظيّ، وهو يترتّب على

إجراءات تبدو بها العناصر السّطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها إلى اللاحق، بحيث يتحقّق لها التّرابط الرّصفيّ[1]، والمقصود بظاهر النّصّ تلك الأحداث اللغويّة التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزّمنيّ، والتي نخطّها أو نراها، وتنتظم هذه الحداث ببعضها تبعا للمباني النّحويّة؛ ولا يتشكّل النّصّ إلّا إذا تحقّق له من وسائل السّبك ما يجعله محتفظا بكينونته واستمراريّته، وبهذا يكون السّبك مرتبطا باللفظ.[2]

- معيار الحبك أ ما يُسمّى بالتّماسك أو الانسجام أو الاتّساق (caherence): وهو علاقة في المعنى بين المضامين تجعل أحدهما غير نابٍ في الفهم عن الآخر، ويتّصل برصد وسائل الاستمرار الدّلاليّ في عالَم النّصّ، أو العمل على إيجاد التّرابط المفهوميّ؛ بمعنى "وجود علاقة معنويّة بين عنصر في النّصّ وعنصر آخر –موجود في النّصّ غير أنّه لا يمكن تحديد مكانه إلّا عن طريق هذه العلاقة التّماسكيّة– يكون ضروريًّا لتفسير هذا النّصّ، وبهذا يكون الحبك مرتبطا بالمعنى دائمًا.[3]

- النّصوص مثلها مثل الجُمل ذات معنى؛ فقد أثبت (دي بوجراند، 1980م) أنّ العلاقات الدّلاليّة في الجملة يمكن أن تقوم أيضا بين الجمل في نصّ ما.[4]

- فكما تقوم العلاقات الإحاليّة بين العناصر في الجملة؛ يمكنها أن تكون ضمن العناصر في جملتين منفصلتين في النّصّ، وهذا يستدعي وجود معالجة نحويّة لكلتا الحالتين، والسّعي إلى تطير نموذجهم على أساسٍ تجريبيّ.[5]

- عندما يتلقّى السّامع نصًّا يستدعي بِنيتين اثنتين: داخليّة تعتمد على الوسائل اللغويّة التي تربط أواصر مقطع ما بغيره، وخارجيّة تكمن في مراعاة المقام المحيط بالنّصّ، ومن ثَمّ فلا

---

[1] ينظر: روبرت دي بوجراند: **النّصّ والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسّان، ص103، وخليل، عبد العظيم فتحي: **مباحث حول نحو النّصّ، ص16**، وعفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص90.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص90.

[3] ينظر: حسّان، تمام: **نحو الجملة ونحو النّصّ**، ص201، وعفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص91.

[4] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص13.

[5] النّجّار، نادية: **علم اللغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق؛ الخطابة النّبويّة أنموذجا**، دار علوم اللغة، 2006م، /285.

فصل بينهما عند المتلقّي، ولكن الفصل ضروريّ بالنّسبة للدّارس اللساني تأكيدا على ما يرغب في دراسته وما يدرجه ضمن اهتمامه.

- كِلا الاتّجاهين يحلّلان البِنية (structure)؛ ومن ثمّ يمكن اقتراح نحو الخطاب من أجل توليد النّصوص، وهكذا نستطيع أن نصمّم أنموذجا لنحو واحد يعالج بِنية الجملة وبِنية النّصّ من خلال توسيع النّظام وتطويره الذي يُحدّد بِنية الخطاب.

- ولعلّ ذلك التّداخل بين نحو الجملة ونحو النّصّ يعطينا النّتيجة التي تؤكّد أنّ نحو النّصّ لا يرفض نحو الجملة رفضا مطلقا؛ إنّما يقف به عند هذا الحدّ تاركا له العلاقات داخل الجملة الواحدة، ومتجاوزا ذلك إلى مسرح النّصّ على اتّساعه. والمتأمّل لقواعد نحو الجملة يجد أنّ جزءًا من قواعده يشمل دراسة الرّوابط؛ مثل: أدوات العطف، وأدوات الشّرط والقسم، والأدوات الدّالّة على التّعليل وبيان السّبب.. إلخ؛ كلّ ذلك من أدوات الرّبط في نحو النّصّ.[1]

وللوقوف على مزيد من البيان والتّوضيح؛ نورد أوجه الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النّصّ؛ وذلك على النّحو التّالي:

أوجه الاختلاف بين نحو الجملة ونحو النّصّ

هناك أوجه اختلاف بين نحو الجملة ونحو النّصّ؛ يعرضها الباحث على النّحو التّالي:

- تنتمي الجملة إلى نظام افتراضي "النّحو"؛ في حين يُعدّ النّصّ نظاما واقعيّا تكون من خلال الاختيارات من بين مختلف خيارات الأنظمة الافتراضيّة.[2]

- تتّحد الجملة بمعيار أحاديّ "علم القواعد" من نظام معرفيّ وحيد؛ في حين تتّحد نصيّة النّص بمعايير عِدّة مِن مختلف الأنظمة المعرفيّة.[3]

---

[1] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص92.

[2] أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل محمد: **مدخل إلى علم لغة النّصّ، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفجانج تريسلر**، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1999م، ص10.

[3] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص11.

- تكون الجملة قواعديّة أو لا تكون جملة البَتّة؛ أمّا النّصّ فلا تنطبق عليه معايير النّصيّة بِمثل هذه الحِدّة.[1]

- يتأثّر النّصّ بالأعراف الاجتماعيّة والعوامل النّفسيّة وبموقف وقوع النّصّ بوجهٍ خاصّ؛ في حين يضعف تأثّر الجملة بهذه المؤثرات.[2]

- يستند استغلال الجمل إلى المعرفة القواعديّة التّابعة لنظام له صفة العموميّة؛ أمّا استغلال النّصّ فيستند إلى معرفة خبرات بوقائع فعليّة خاصّة.[3]

- يُعدّ النّصّ حَدَثًا يوجّهه المرسل إلى المُستقبِل لإنشاء علاقات متنوعّة، وتوصيل مضامين يعيّنها المنتج، ولا تقتصر على العلاقات القواعديّة؛ في حين لا تُعنى الجملة إلّا بالعلاقات القواعديّة، ومن ثمّ فهي لا تمثّل حدثًا.[4]

- تتّخذ الجملة شكلها وِفقا للنّظام الافتراضيّ المعلوم؛ في حين تتشكّل بنية النّصّ بحسب ضوابط المشاركين والمستقبلين على حدّ سواء.[5]

خصائص نجاح نحو النّصّ

لكي يتمكّن نحو النّصّ من تحقيق هدفه المرجو منه لا بدّ من أن يتوفّر فيه الخصائص التّالية:

تجاوز غاية الانحناء التّقليديّة المقصورة على صحّة المنطق إلى التّعرّف على وصف العلاقات التّركيبيّة والنّحويّة داخل النّصّ.[6]

---

[1] خطابي، محمد خطابي: **لسانيات النص؛ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص13.

[2] روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والإجراء**، ترجمة تمام حسّان، ص89.

[3] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص11.

[4] روبرت دي بوجراند: **النّصّ والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسّان، ص89.

[5] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص13.

[6] نادية رمضان النّجّار: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص23.

أن يكون النّحو قادرا على الجمع بين وصف البنى الصّغرى ثمّ البنى الكبرى المتمثّلة في الجمل والفقرات داخل تشكيل النّصّ.[1]

أن يعمد نحو النّصّ بشكل رئيس إلى المقدرة على تحليل عناصر السّبك والالتحام داخل النّصّ.[2]

أن يشتمل نحو النّصّ على وسائل قادرة على وصف المضمون الشّأنيّ أو البؤريّ؛ وبذلك يكون بعيدا عن التّأثيريّة والانطباعيّة، ومتّسما بالموضوعيّة من أجل الوقوف على الخصائص الأسلوبيّة لأيّ نصّ.[3]

يسعى نحو النّصّ إلى دراسة النّصّ من خلال سياقه والمقام المحيط به؛ ممّا يؤدّي إلى الفهم الكامل لهذا النّصّ، بالإضافة إلى وضع وسيلة النّصّ في الاعتبار من حيث كونه مسموعا أو مرئيّا أو كلاهما معا.[4]

أن تعتبر فيه العوامل الرّاجعة إلى الإطار الثّقافيّ واللغويّ بمفهومه الواسع.[5]

يتّصف نحو النّصّ بأنّه علم جامع لمجالات واهتمامات معرفيّة مختلفة، لكونه يجمع بين معارف متعدّدة؛ فتسهم جميعها في مقاربة النّصّ بتحليل مضامينه، والتّعرّف على مشروعيّة إنتاج هذه النّصوص، وضبط نمط بنائها وأثرها في سيرورة الخطاب المنجز في مجتمع لغويّ معيّن.[6]

---

[1] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم لغة النّصّ**، تعريب: فالح بن شبيب، ص105.

[2] سعد، مصلوح: **من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، ص419.

[3] المصدر نفسه، ص23.

[4] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص23.

[5] سعد مصلوح: **العربيّة من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، ص420، وبتصرّف.

[6] فولفجانج هاينه من وديتر فيهفيجر: **مدخل إلى علم لغة النّصّ، تعريب:** فالح بن شبيب، ص11.

الفَصلُ الثّاني

الاتِّساقُ النَّصِّيُّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق -رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ- النَّثرِيِّ

المَبحَثُ الأَوَّلُ

الاتِّساقُ النّصِّيُّ (المَجالُ النَّظرَيُّ)

الاتّساق

ابتداءً؛ يجدر الإشارة بأنّه قد ظهرت في اللسانيّات العربيّة ترجمات مختلفة للمصطلح (cohesion) بكونه أحد معايير النّصيّة السّبع؛ وهي: التّضام، والسّبك، الاتّساق، التّرابط (الرّبط)، الالتئام، الالتصاق، والتّماسك الشّكلي[1]، واعتمد الباحث التّرجمة "الاتّساق" لكثرة ورودها في دراسات النّصيّين وشيوع استعمالها في كتبهم، ولقرب معناها اللغويّ العربيّ للمفهوم الغربيّ.

الاتّساق لغة

وسق: الأَصل فِي الوَسْق الحَمْل؛ وَكُلُّ شَيْءٍ وَسَقْته، فَقَدْ حَمَلْتَهُ، وَالْجَمْعُ أَوْسُقٌ ووُسوق، وأَوْسَقَت النخلةُ: كَثُرَ حَمْلها، والوُسُوق: مَا دَخَلَ فِيهِ اللَّيْلُ وَمَا ضَمَّ. وَقَدْ وَسَقَ الليلُ واتَّسَقَ؛ وَكُلُّ مَا انْضَمَّ، فَقَدِ اتَّسَق. وَالطَّرِيقُ يأْتَسِقُ؛ ويَتَّسق أَي يَنْضَمُّ. واتَّساقُ الْقَمَرِ: امْتِلَاؤُهُ وَاجْتِمَاعُهُ وَاسْتِوَاؤُهُ لَيْلَةُ ثَلَاثَ عَشْرَةَ وأَربع عَشْرَةَ. وَمَا وَسَقَ أَي وَمَا جُمِعَ مِنَ الْجِبَالِ وَالْبِحَارِ والأَشجار كَأَنَّهُ جَمَعَهَا بأَن طَلَعَ عَلَيْهَا كلِّها، فَإِذَا جَلَّ الليلُ الْجِبَالَ والأَشجار وَالْبِحَارَ والأَرض فَاجْتَمَعَتْ لَهُ فَقَدْ وَسَقَها.[2]

وبهذا يكون المعنى في مجمله: الحمل، والجمع، والضّم والامتلاء، والاستواء.

الاتّساق اصطلاحا عند العرب

كما وتعدّدت معاني الاتّساق لدى اللّسانيّين العرب وكلٌّ حسب مداركه ومعارفه والمادّة المُتاحة له في المجالات المختلفة؛ فيعدّه سعيد البحيريّ بأنّه ذلك "التّرابط النّحويّ، واعتبره ذا طبيعة خطّيّة

---

[1] ينظر: وروبرت دي بوجراند: **النّصّ والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسّان، ص102، وأبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، ص207.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (وسق).

أفقيّة تظهر على مستوى تتابع الكلمات والجمل، وقد ميّزه عن التّرابط الدّلاليّ الذي يقتصر على المعنى.[1]

وأشار تمام حسّان إلى أنّ الاتّساق هو "علاقة في المعنى بين المضامين، تجعل أحدهما غير نابٍ في الفهم عن الآخر، فلا وجه لجملة فعليّة؛ مثل: فهم الحجر، ولا لجملة اسميّة؛ مثل: السّماء تحتنا، فذلك غير مقبول في الظّروف العاديّة".[2]

ويراه محمّد خطابي بأنّه "ذلك التّماسك الشّديد بين الأجزاء المشكّلة لنصّ/خطاب ما، يهتمّ فيه بالوسائل اللغويّة (الشّكليّة) التي تصل بين العناصر المكوّنة لجزء من خطاب أو خطاب برمّته".[3]

وأكّد ذلك صبحي فقّي حين قال "مصطلح (cohesion) يرتبط بالرّوابط الشّكليّة أو العلاقات النّحويّة التي تربط بين وحدات النّصّ المختلفة؛ بينما مصطلح (coherence) يهتمّ بالرّوابط الدّلاليّة".[4]

وحاول في فترة لاحقة أن يجمع بين مصطلحيّ الاتّساق والانسجام تحت ما يسمّى ب "التّماسك النّصّيّ"، ويتّضح ذلك في قوله: "إنّ المصطلحَين يعنيان معًا التّماسك النّصّيّ، ومن ثمّ يجب التّوحيد بينهما باختيار أحدهما؛ وليكن (cohesion)، ثمّ نقسّمه إلى التّماسك الشّكليّ والتّماسك الدّلاليّ؛ فالأوّل يهتم بعلاقات التّماسك الدّلاليّة بين أجزاء النّصّ من ناحية، وبين النّصّ وما يحيط به من سياقات من ناحية أخرى.[5]

يرى الباحث أن محاولة صبحي الفقّي في الجمع بينهما في العنوان الرّئيس ناجحة وموفّقةٌ؛ وذلك لوضوحها، ومباشرتها، وخروجا من البلبلة والضّبابيّة، وحَدِّها من الخلط في التّرجمات وتعدّدها.

---

[1] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص76.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص91.

[3] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص5.

[4] الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق؛ دراسة تطبيقية على السور المكية**، 95/2.

[5] المصدر نفسه، 96/2.

الاتّساق اصطلاحًا عند الغرب

تدلّ كلمة اتّساق منذ كتاب هاليداي ورقيّة حسن (1976) على مجموع الوسائل اللسانيّة الرّابطة بين عناصر الجملة وبين الجمل والتي تسمح لملفوظ ما شفويّ أو كتابيّ بأن يبدو في شكل نصّ، وتلحّ اللسانيّات المتجاوزة للجملة ونحو النّصّ على الواسمات (روابط تناسقيّة) المسؤولة عن أثر هذا النّحو من التّناسق (عائدات ضميريّة ومحدّدة، إحالة مشتركة، عائد بلاغيّ، وروابط، تعاقب الأزمنة الفعليّة، اقتضاء، وأسماء إلخ..)، هذه "النّصيّة القائمة على الشّكل" يقابلها (دي بوجراند) بالانسجام باعتباره "نصيّة قائمة على الإعلام"، فالاتّساق في نظره مظهر للنّحويّة في حين أنّ الانسجام مظهر للمقبوليّة. إنّ واسمات الرّابطيّة تُنتج أثر الاتّساق دلاليًا؛ بمعنى أثر تناسب دلاليّ يمكّن من استخراج الغرض العامّ للنّصّ، وإضافة إلى ذلك يعتبر (سلكتا) موضوع اللسانيّات النّصيّة تنظيرًا للاتّساق.[1]

فهناك من حصر مفهوم الاتّساق في الجانب الدّلاليّ؛ (كفان دايك) الذي رآه "ذلك التّرابط الموضوعيّ"[2]، وتبعه (براون ويول) حينما رأيا بأنّ العوامل التي تحقّق للنّصّ اتساقه هو وحدته المعنويّة؛ وذلك في قولهما "قوّة الرّبط تكمن حقيقة في العلاقة المعنويّة المتضمّنة.. ولا يختلف اثنان في ضرورة وجود مثل هذه العلاقات المعنويّة داخل الخطاب لكي يتيسّر فهمه فهما منطقيًّا".[3]

ويؤيّدهما في ذلك هاليداي ورقيّة حسن حيث اقتصر مفهوم الاتّساق عندهما على الجانب الدّلاليّ للنّصّ؛ وذلك في قولهما "أنّ مفهوم الاتّساق مفهوم دلاليّ، وإنّه يحيل إلى العلاقات المعنويّة القائمة داخل النّصّ والتي تحدّده كنصّ".[4]

ويعدّه (دي بوجراند) إحدى خصائص ومعايير النّصّ الذي بدونه لا يُعتبَر النّصّ نصًّا، وهو إحدى ركائز الاستمرار اللفظيّ، وأطلق عليه اسم التّضام أو الرّبط أو السّبك؛ ويضيف: "وهو

---

[1] باتريك شارودو ودومينيك منغنو: **معجم تحليل الخطاب**، ص100.

[2] الأخضر، محمّد الصبيحيّ: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص82.

[3] براون وبول: **تحليل الخطاب**، ترجمة: محمّد لطفي الزّليطي ومنير التريكي، د.ط، جامعة الملك سعود، كلّية اللغات والتّرجمة، 1418ه/1998م، ص233.

[4] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص15.

يترتّب على إجراءات تبدو العناصر السّطحيّة على صورة وقائع يؤدّي السّابق منها إلى اللاحق؛ بحيث يتحقّق لها التّرابط الرّصفيّ"[1]

أنواع الاتّساق النّصّيّ

يتقسم الاتّساق النّصّيّ إلى نوعين اثنين:

النّوع الأوّل: الاتّساق النّصّيّ النّحويّ؛ ويشمل: الإحالة (cohesion)، والاستبدال (substitution)، والرّبط (conjunction)، والحذف (limination).

النّوع الثّاني: الاتّساق النّصّيّ المعجميّ؛ ويشمل على علاقتَي التّكرار والمصاحبة اللغويّة أو ما تسمّى أيضًا بالتّضام.[2]

النّوع الأول: الاتّساق النّصّيّ النّحويّ

أدوات الاتّساق النّصّيّ النّحويّة

حتّى نحكم على نصّيّة ما؛ فلا بدّ لنا من مراعاة الوحدات الصّغرى وتلاحمها، لأنّ من خصائص النّصّ أن يكون متتالية جمليّة خطّيّة متّصلة؛ فاتّصال الفقرات ضرورة واقعيّة لا اختيار[3]، ويتمّ الاتّصال بواسطة علاقات وأدوات تحقّق التّرابط النّصّيّ المنشود، ويتناول الباحث ثلاث أدوات: الإحالة، والاستبدال، والحذف؛ وذلك على النّحو التّالي:

أوّلًا: الإحالة (reference)

تعتبر الإحالة من أهمّ العوامل التي يُرتكَز عليها في تحليل النّصوص للوقوف على مدى اتّساقها، وتناوَلها علماء النّصّ كوسيلة من وسائل الاتّساق أو الرّبط اللفظيّ تحت مجموعة من المصطلحات؛ منها: مصطلح "الإحالة" لهاليداي ورقيّة حسن، ومصطلح "الصّيغ الكنائيّة" ل

---

[1] روبرت دي بوجراند: **النّصّ والخطاب والإجراء**، ترجمة: تمام حسّان، ص103.

[2] محمّد، شبل محمد: **علم لغة النص؛ النظرية والتطبيق**، ص7.

[3] أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، ص78.

(ديبوجراند وديسلر) وهو مصطلح عام يندرج تحته إضمار الاسم، وإضمار الفعل، وإضمار المكمّل، ومصطلح "الإحالة المتبادلة" ل (براون بول)، ومع كلّ هذه التّعدّدات فإنّ ما يطلق عليه "إحالة" يعبّر عنه بشكل عام في الإنجليزيّة (reference)، وظهرت ترجمات عربيّة لهذا المصطلح؛ منها "الإرجاع" و "الإرجاعيّة" أو "المرجعيّة" نسبة إلى المرجع؛ وامّا أكثرها شيوعا التّرجمة "الإحالة".[1]

مفهوم الإحالة

عرّفها جون لوينز تعريفا تقليديًّا على أنّها "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسميّات؛ فالأسماء تحيل إلى المسمّيات"[2]، وهي علاقة دلاليّة تخضع لِقَيد أساسيّ وهو وجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المحيل والعنصر المحال إليه[3].

تطلق تسمية "العناصر الإحاليّة (reference) على قيم من الألفاظ لا تحمل دلالة مستقلّة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة في أجزاء أخرى في الخطاب، فشرط وجودها هو النّصّ، وهي تقوم على مبدأ التّماثل بين ما سبق ذكره في مقام ما وبين ما هو مذكور بعد ذلك في مقام آخر، وهي لذلك تتميّز بالإحالة على المدى البعيد.[4]

وينتمي بعض هذه العناصر إلى المعوّضات؛ فهي إذن مزدوجة الوظيفة في اللغة؛ وظيفة تشير وتعيّن المشار إليه في المقام الإشاريّ؛ فهي غير ذات صلة بما يخرج عن مقام ورودها، ويكتفي سامعها بها في تحليلها، ووظيفة أخرى تعوّض المشار إليه فتحيل عليه وترتبط به؛ وفهمها رهين استحضار ذلك المشار إليه استحضارَ عَهدٍ أو إدراك حسّيّ أو غيره.[5]

---

[1] محمّد، شبل محمد: **علم لغة النص؛ النظرية والتطبيق**، ص119.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص116.

[3] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص17.

[4] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص118.

[5] المصدر السّابق، والصّفحة نفسها.

أهمّيّة الإحالة

تظهر أهمّيّة عامل الإحالة في التّعامل مع النّصوص من وجود بعض العناصر اللغويّة التي لا تكتفي بذاتها في دلالتها، ممّا يجعل من الضّروريّ العودة إلى ما تُشير أو تحيل عليه من أجل تأويلها.[1]

ويبيّن الأزهر الزّناد أهمّيّة هذا العامل من خلال دوره الفاعل للنّصّ بقوله: "يكتمل الملفوظ "نصّا" عندما تترابط أجزاؤه باعتماد الرّوابط الإحاليّة، وهذه الرّوابط تختلف من حيث مداها ومجالها؛ فبعضها يقف في حدود الجملة الواحدة فيربط عناصرها الواحد مع الآخر، وبعضها يتجاوز الجملة الواحدة إلى سائر الجمل في النّصّ فيربط ين عناصر منفصلة ومتباعدة من حيث التّركيب النّحويّ؛ ولكن الواحد منها متّصل بما يناسبه أشدّ الاتّصال من حيث الدّلالة والمعنى، فالإحالة عامل (operatcur) يحكم النّصّ كاملا في توازٍ مع العامل التّركيبيّ والزّمنيّ.[2]

وظيفة الإحالة

تسخّر كلّ لغة آليّات معيّنة لاسترجاع المعلومات، وبصفة خاصّة استرجاع المعنى الإحاليّ، فوظيفة الإحالة داخل النّصّ أنّها تشير إلى ما سبق، والتّعويض عنه بالضّمير تجنّبًا للتّكرار والملل، فتحقّق الاقتصاد في اللغة؛ إذ تختصر هذه الوحدات الإحاليّة العناصر الإشاريّة وتجنّب مستعمليها إعادتها، وعلى هذا تقوم شبكة من العلاقات الإحاليّة من العناصر المتباعدة في فضاء النّصّ فتجتمع في كُلٍّ واحدٍ عناصره متناغمة، ومن ثمّ تحقّق الاستمراريّة.[3]

وهناك وظيفة أخرى لا تقلّ أهمّيّة وهي تقديم المعلومات؛ حيث ترتبط الإحالة بتقديم سلسلة من المعلومات الجديدة في شكل جزئيّ، ما يسهم في تنظيم الفكرة الأساسيّة للنّصّ، وإذا كانت الإحالة البعديّة هي أكثر الأشكال شيوعا للمرجع وتلعب دورا في تحقيق اتّساق النّصّ وترابطه

---

[1] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص89.

[2] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص124.

[3] المصدر نفسه، ص123.

فإنّ الإحالة القبليّة تعمل على تكثيف اهتمام المتلقّي، وتساعد في حثّ القـرّاء علـى مواصـلة القراءة.[1]

أنواع الإحالة

الإحالة نوعان: إحالة مقاميّة (exoophora): وهي إحالة على ما هو خارج النّصّ أو خـارج اللغة، باعتبار أنهاّ إحالة عنصر لغويّ إحاليّ على عنصر إشاري غير لغويّ موجود في المقـام الخارجيّ؛ كأنْ يحيل ضمير المتكلّم المفرد على ذات صاحبه المتكلّم، حيث يرتبط عنصر لغويّ إحاليّ بعنصر إشاريّ غير لغويّ هو ذات المتكلّم، ويمكن أن يشير عنصر لغويّ إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجملًا، إذ يمثّل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلًّا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليـه المتكلّم. اللغة تحيل دائما على أشياء وموجودات خارج النّصّ، وتظهر ضرورة هذا النوع لكونه يجعل النّصّ متّسقا مع مقامه، وهو ما يحقّق له المقبوليّة (lacceptabilite).[2]

إحالة نصيّة (endophora): وهي إحالة داخل النّصّ أو داخل اللغة، حيث تحيل فيها بعـض الوحدات اللغويّة على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النّصّ، وتظهر ضرورة هـذا النّوع لكونه أهمّ وسائل الاتّساق الدّاخليّ للنّص.[3]

وتنقسم الإحالة النّصيّة إلى قسمين:

إحالة قبليّة (anaphor): وهي إحالة على السّابق أو الإحالة بالعودة، وتعـود علـى "مفسِّـر" (antccedent) سبق التّلفّظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسِّر الذي كان من المفـروض أن يظهر حيث يَرِد المضمر.

وتشتمل الإحالة بالعودة على نوع آخر من الإحالة يتمثّل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ فـي بداية كلّ جملة من جمل النّصّ قصد التّأكيد، وهو الإحالة التّكراريّة (epanaphora)، وهذه هي أكثر انواع الإحالة دوَرانًا في الكلام.

---

[1] محمّد، شبل محمد: **علم لغة النص؛ النظرية والتطبيق**، ص120.

[2] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص89.

[3] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص118.

إحالة بعديّة (cataphora): وهي إحالة على اللاحق، وتعود على عنصر إشاريّ مذكور بعدها في النّصّ ولاحق عليها؛ من ذلك ضمير الشّأن في العربيّة، أو غيره من الأساليب من قبيل:

"من جامعة النّجاح، نقدّم إليكم نشرة الظّهيرة للأنباء؛ وهذا موجزها..".

"صرّح عميد اللّسانيّات في الجامعة الموقّرة؛ فقال ما يلي:.."

حيث يحيل المركّبان المسطّران على نصّ لاحق عليهما.[1]

إنّ الأدوات الإحاليّة التي تحيل إلى النّصّ هي الأدوات التي نعتمد في فهمنا لها؛ لا على معناها الخاص؛ بل على إسنادها إلى شيء آخر، فهي تحثّ القارئ على البحث في مكان آخر عن معناها[2]، أو هي كلمات لها معنى تام في ذاتها، ولتحديد معناها المقصود يجب أن تُحيل إلى كلمات أخرى؛ مثل: هو، نحن، هذا، هذه[3]، وكلمات الإحالة أكثر وسائل الرّبط شيوعا، وهي في العربيّة عديدة، تدخل فيها: الضّمائر، وأسماء الإشارة، والأسماء الموصولة، وبعض العناصر المعجميّة الأخرى؛ مثل: نفس، عين، بعض، فهذه الكلمات لا تملك دلالة مستقلّة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب[4]، وأدوات المقارنة؛ وذلك عن طريق أسماء التّفضيل، والتّشبيه[5].

أمّا الضّمائر المتّصلة، وتأتي في نهاية الكلمة؛ وهي: (ي، ك) للمذكّر والمؤنّث، (ها، نا، هما، هم، كم، كن، هن)، وأمّا الضمائر المنفصلة؛ فهي: (أنا، أنت) تذكيرا وتأنيثا، (أنتما، أنتم، أنتن هو، هي، هما، هم، هن، إياي، إيّاه، إيّاها، إيّاهم، إيّاهنّ، إيّنا، إيّاك تذكيرا وتأنيثا، إيّاكما، إيّاكم، إيّاكنّ)، وأسماء الإشارة؛ فهي: (هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، ثَمَّ، ثمّة، هنا، هنا، هناك، هنالك)، والأسماء الموصولة؛ فهي: (الذي، التي، اللذان، اللتان، الذين، اللائي)، وحروف

---

[1] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص119.

[2] براون وبول: **تحليل الخطاب**، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، ص230.

[3] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص76.

[4] المصدر نفسه، ص77.

[5] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص18.

العطف؛ فهي: (الواو، والفاء، وثُمّ، ولكن، وبل، ولا)، وأدوات الشّرط؛ فهي: (إن، إذا، كيفما، أي، أنّى، حيثما، متى)، وأدوات المقارنة بواسطة أسماء التّفضيل، والتّشبيه؛ فهي: (كما، ونظير، ومثال، والكاف، وبمقدار)، وهكذا.[1]

ثانيًا: الاستبدال (substitution)

الاستبدال لغة

بَدَلٌ وبِدْلٌ لغتان، والبَدِيل: البَدَل، والجمع أَبدال، وبَدَلُ الشيء: غَيْرُه. ابن سيده: بِدْل الشيء وبَدَله وبَدِيله الخَلَف منه. قال سيبويه: إِنَّ بَدَلك زَيد أَي إِنَّ بَديلك زَيْد، قال: ويقول الرجل للرجل اذهب معك بفلان، فيقول: معي رجل بَدَلُه أَي رجل يُغْني غَناءه ويكون في مكانه. وتَبَدَّل الشيءَ وتَبدل به واستبدله واستبدل به، كُلُّه: اتخذ منه بَدَلاً. واستبدل الشيء بغيره وتبدَّله به إِذا أَخذه مكانه. قال أَبو العباس: وحقيقته أَن التبديل تغيير الصورة إِلى صورة أُخرى والجَوْهرةُ بعينها.[2]

الاستبدال اصطلاحا

يعدّ الاستبدال من أهمّ عناصر الاتّساق النّصّيّ، وهو عبارة عن "صورة من صور التّماسك النّصّيّ التي تتمّ في المستوى النّحويّ بين كلمات وعبارات، على أنّ معظم حالات الاستبدال النّصّيّ قبليّة (anaphora)؛ أي بين عنصر متأخّر وعنصر متقدّم"[3].

وكما عرّفاه هاليداي ورقيّة حسن "هو إحلال عنصر لغويّ مكان عنصر آخر داخل النّصّ"[4].

---

[1] ينظر: حمداوي، جمل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ص68، وسرحان، حسين: **قاموس الأدوات النّحويّة**، ط2، المنصورة: مكتبة الإيمان، 1425ه/2004م، ومحيي الدّين، عبد الحميد محمد: **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، ط1، القاهرة: دار الطّلائع للنّشر، 2009م، 79/1.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (بدل)

[3] قطب، مصطفى صلاح: **دراسة لغويّة لصور التّماسك النّصّيّ في لغتي الجاحظ والزّيّات**، رسالة دكتوراة، القاهرة: كلّيّة دار العلوم، دكتوراة، 1417ه/1996م.

[4] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص110.

وهو "عمليّة تتمّ داخل النّصّ، إنّه تعويض عنصر في النّصّ بعنصر آخر"[1]، وعندما نتكلّم عن الاستبدال فإنّنا نتكلّم عن الاستمراريّة الدّلاليّة؛ أي وجود العنصر المستبدل في الجملة اللاحقة، ومن نماذج الاستبدال قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَن يَشَاءُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُولِي الْأَبْصَارِ﴾[2].

فقد تمّ استبدال كلمة "أخرى" بكلمة "فئة"؛ أي فئة كافرة، وتمّ الاستدلال على ذلك من النّصّ القرآنيّ نفسه.

مهمّة الاستبدال

من مهام الاستبدال المُهمّة الاقتصاد في استخدام اللغة، وتجنيب مُنتِج النّصّ من تكرار العبارات نفسها؛ حيث يُتيح المجال لحفظ المعنى مستمرًّا ومتواصلًا في ذاكرة القارئ دون التّصريح به مرّة أخرى.[3]

أنواع الاستبدال

أنواع الاستبدال ثلاثة: استبدال اسميّ، واستبدال فعليّ، واستبدال قوليّ.

استبدال اسميّ (nominal substitution): يتمّ استخدام عناصر لغويّة اسميّة؛ مثل: آخر، وأخرى، وآخرون، وواحد، وواحدة، ونفس.. إلخ، ومثاله الآية السّابق ذكرها؛ وهي قوله تعالى: ﴿قَدْ كَانَ لَكُمْ ءَايَةٌ فِى فِئَتَيْنِ ٱلْتَقَتَا ۖ فِئَةٌ تُقَٰتِلُ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَأُخْرَىٰ كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُم مِّثْلَيْهِمْ رَأْىَ ٱلْعَيْنِ ۚ وَٱللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَعِبْرَةً لِّأُو۟لِى ٱلْأَبْصَٰرِ ﴿١٣﴾﴾[4]، حيث استُبدلت كلمة "أخرى" بكلمة "فئة"؛ أي فئة كافرة، وتمّ الاستدلال على ذلك من النّصّ القرآنيّ نفسه.[5]

---

[1] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص123.

[2] سورة آل عمران، الآية: 13.

[3] قياس، ليندة: **لسانيّات النّصّ بين النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا**، ص121.

[4] سورة آل عمران، الآية: 13.

[5] ينظر: النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص111، وحمداوي، جميل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ص73.

استبدال فعليّ (verbal substitution): وفيه يحلّ فعل محلّ فعل آخر داخل النّصّ متقدّم عليه، ويكون هذا الفعل من مادّة "فعل" بصيغها المختلفة؛ ومثاله: هل تظنّ أنّ الطّالب المكافح ينال حقّه؟ أظنّ أنّ كلّ طالب مكافح يفعل. فكلمة "يفعل" استَبدلت كلامًا كان من المفروض أن يحلّ محلّها وهو "ينال حقّه".[1]

استبدال قوليّ (clausal substitution) أو الاستبدال العباريّ: وفيه يتمّ إحلال عنصر لغويّ محلّ عبارة داخل النّصّ بشرط أن يتضمّن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها؛ ومثاله قوله تعالى:﴿قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾﴾[2]؛ فكلمة "ذلك" جاءت بدلًا من الآية السّابقة عليها مباشرة ﴿قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾[3]؛ فكان هذا الاستبدال عاملا علة الاتّساق النّصّيّ بين الآيات الكريمة.[4]

ثالثًا: الحذف (ellipsis)

شغل الحذف بالَ الكثيرين من الدّارسين والباحثين؛ وذلك لكونه يحثّهم على إمعان النّظر فيما قيل وفيما سيقال في النّصّ الواحد، فالحذف بهذه الصّورة يعمل كدافع للإثارة والغموض والتّفتيش عن المقصود والمراد في النّصّ، وليس من العبث كانت هذه الظّاهرة –ظاهرة الحذف– محلّ تدقيق في التّعاطي مع النّصوص إنتاجًا وتلقِيًا في اللغات الإنسانيّة عامّةً ولغتِنا العربيّة خاصّةً؛ فبواسطتها يُتغلَّبُ على التّكرار، ويتجلّى الإيجاز بكلّ وضوح ومن غير المَساس بالدّلالة والمعنى؛ وهذا ما يقرّه ابن جِنّيّ حين قال: "واعلم أنّ العرب إلى الإيجاز أَمْيَلُ وعن الإكثار أَبعَدُ؛ ألا ترى أنّها في حال إطالتها وتكريرها مُؤذِنَةٌ باستكراه تلك الحال ومَلالها"[5].

---

[1] ينظر: النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص112، وعفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص124.

[2] سورة الكهف، الآية: 64.

[3] سورة الكهف، الآية: 63.

[4] ينظر: النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص113، وعفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحوي**، ص124.

[5] ابن جِنّيّ، أبو الفتح عثمان الموصلي البغدادي: **الخصائص**، تحقيق: محمّد علي النّجّار، د.ط، القاهرة: دار الكتب المِصريّة المكتبة العلميّة، د.ت، ص83.

الحذف لغةً

جاء في لسان العرب: حذف: حذَفَ الشيءَ يَحْذِفُه حَذْفاً: قَطَعَه مِنْ طَرَفه، والحُذافةُ: مَا حُذِفَ مِنْ شَيْءٍ فَطُرِح، وحَذْفُ الشَّيْءِ إسْقاطُه، وَمِنْهُ حَذَفتُ مِنْ شَعري.[1]

يتّضح من لسان العرب أنّ الحذف هو القطع والطّرح والإسقاط.

الحذف اصطلاحًا

بيّن الجرجانيُّ مفهومَ الحذف؛ قائلًا: "هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ، عجيب الأمر، شبيه بالسِّحر؛ فإنّك ترى به تَرْكَ الذِّكرِ أفصح من الذّكر، والصّمت عن الإفادة أزيد في الإفادة، وتجدك أَنطَقَ ما تكون إذا لم تنطق، وَأَتَمَّ ما تكون بيانًا إذا لم تُبِنْ"[2]

ونرى (روبرت دي بوجراند) يسمّيه بالاكتفاء بالمعنى العدميّ (substitution by zero)؛ وهذه إشارة منه أنّ الحذف لا يؤدّي إلى أيّ خللٍ في النّصّ؛ إنّما يزيده ترابطًا واتّساقا، ويعرّفانه (هاليداي) ورقيّة حسن بأنّه "علاقة داخل النّصّ، وفي معظم الأمثلة يوجد المفترض في النّصّ السّابق؛ وهذا يعني أنّ الحذفَ عادةً علاقةٌ قبليّة"[3].

قام طاهر سليمان حمّودة بالرّبط بين النّظرة التّحويليّة وظاهرة الحذف حيث يرى "أنّ الطّريقة التي يقدّمها النحو التّحويليّ في تفسير ظاهرة الحذف شبيهة بما قدّمه النّحو العربيّ من فحص البِنيات السّطحيّة، وأنّ البحث عن المحذوف مبنيّ على التّقدير، وذلك يشبه إلى حدٍّ كبير التّقدير في النّحو العربيّ"[4]، وهو يُعدّ من أكثر عناصر الاتّساق النّحويّ شيوعًا؛ حيث يميل النّاطقون إلى

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (حذف).

[2] الجرجانيّ، عبد القاهر بن عبد الرّحمن: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، 121/1.

[3] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص21.

[4] حمودة، طاهر سليمان: **ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ**، د.ط، الإسكندريّة: الدّار الجامعيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1999م، ص13.

إسقاط بعض العناصر من الخطاب؛ اعتمادًا على فهم المخاطب تارة ووضوح السّياق تارة أخرى.[1]

أجازت العربيّة -كغيرها من اللغات- حذف أحد العناصر من التّركيب عند استخدامها، وذلك لا يتمّ إلّا إذا كان الباقي في بناء الجملة بعد الحذف مُغنِيا في الدّلالة كافيًا في أداء المعنى، وقد يحذف أحد العناصر؛ لأنّ هناك قرائن معنويّة أو مقاليّة تومئ إليه وتدلّ عليه، ويكون في حذفه معنى لا يوجد في ذكره[2]، فكان الحذف "ناتج عن أنّ المعنى المفهوم في كلّ موضع زائد على عناصر اللفظ المذكورة"[3]، وإذا كان الحذف يراعي القرائن المعنويّة والمقاليّة؛ فلا شكّ أنّ نحو النّصّ أكثر اعتمادًا على ذلك لأنّه يُدخل السّياق والمقام من أساسيّات الحذف، حيث تكون الجمل المحذوفة أساسًا للرّبط بين أجزاء النّصّ من خلال المحتوى الدّلاليّ ممّا جعل (روبرت دي بوجراند) يقول عن الحذف بأنّه: "استبعاد العبارات السّطحيّة لمحتواها المفهوميّ وأن يقوم في الذّهن أو يوسّع أو أن يعدّل بواسطة العبارات النّاقصة"[4]، وعلى هذا تكون البنية السّطحيّة لأيّ نصّ غير مكتملة غالبًا بالرّغم ممّا يبدو في تقدير المتلقّي.

ويشير محمد خطابي إلى أنّ ظاهرة الحذف توجد بكثرة في اللغة المنطوقة؛ لأنّ الكثير ممّا يحيل عليه الكلام موجودٌ في محيط المتكلّمين.[5]

شروط الحذف

بيّن صبحي الفقّي ثلاثة شروط للحذف؛ وهي:

إحاطة متلقّي النّصّ بمكوّنات السّياق اللغويّ والاجتماعي المصاحب له؛ ليتمكّن من تقدير العنصر المحذوف تقديرًا صائبًا، وأن يكون العنصر المحذوف من مادّة المذكور قَبلًا نفسها؛ ومن

---

[1] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص40.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص124.

[3] حمودة، طاهر سليمان: **ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ**، ص23.

[4] روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ص342.

[5] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص93.

ثَمَّ عدّه بعضُ النّصّيّين متداخلًا مع الإحالة القبليّة إلّا أنّ ذلك يكون بعنصر صفريّ، ووجود الدّليل على المحذوف.[1]

الحذف عند القدماء

اهتمّ القدماء بالحذف اهتماما كبيرا، فلا نجد بلاغيّا أو مفسّرا أو نحويّا إلّا وقد تعرّض لظاهرة الحذف في أكثر من موضع؛ فأوضحوا أنّ الحذف في الثّواني أولى لسبق ذكر ما يدلّ عليه، وأنّه لا بدّ من وجود الدّليل على المحذوف، كما أشاروا إلى تنوّع العناصر المحذوفة بين الصّوت والكلمة والجملة وأكثر من جملة داخل السّياق، ويسهب السّيوطيّ إسهابا كبيرا في تناوله للحذف، ويبيّن مفهومه وأسبابه وأنواعه بشكل واسع وكثير من الشّواهد القرآنيّة والشّعريّة.[2]

ومن المفيد أن يعرض الباحث شيئا من هذا التّعرّض؛ مقتصرًا ذلك على السّيوطيّ وتناوله لأسباب الحذف وأنواعه؛ وذلك على النّحو التّالي:

أسباب الحذف عند السّيوطيّ

بيّن السّيوطيُّ تسعة أسباب للحذف؛ وهي:

منها مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره، ومنها التنبيه على أن الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف وأن الاشتغال بذكره يفضي إلى تفويت المهم، وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، ومنها التفخيم والإعظام لما فيه من الإبهام، قال حازم في منهاج البلغاء: إنما يحسن الحذف لقوة الدلالة عليه أو يقصد به تعديد أشياء فيكون في تعدادها طول وسآمة؛ فيحذف ويكتفى بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفى بالحال عن ذكرها، ومنها التخفيف لكثرة دورانه في الكلام كما في حذف حرف النداء، ومنها شهرته حتى يكون ذكره وعدمه سواء؛ قال الزمخشري: وهو نوع من دلالة الحال التي لسانها أنطق من لسان المقال، ومنها

[1] الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق؛ دراسة تطبيقية على السور المكية**، 192/2.

[2] ينظر: السّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**189/3، والأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص91.

صيانته – أي لفظ الجلالة– عن ذكره تشريفا، ومنها صيانة اللسان عنه تحقيرا له، ومنها قصد العموم، ومنها قصد البيان بعد الإبهام.[1]

أنواع الحذف

يرى السّيوطيّ أنّ الحذف أربعة أنواع؛ وهي:

الاقتطاع: وهو حذف بعض حروف الكلمة.

الاكتفاء: وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط فيكتفى بأحدهما عن الآخر لنكتة، ويختص غالبا بالارتباط العطفيّ.

الاحتباك: وهو من ألطف الأنواع وأبدعها، وقلّ من تنبه له أو نبه عليه من أهل فن البلاغة، وهو نوع عزيز وهو أن يحذف من الأول ما أثبت نظيره في الثاني ومن الثاني ما أثبت نظيره في الأول.

الاختزال: هو ما ليس واحدا مما سبق وهو أقسام لأن المحذوف إما كلمة اسم أو فعل أو حرف أو أكثر.[2]

الحذف عند المحدثين

أنواع الحذف كما قسّمها هاليداي ورقيّة حسن

حصر هاليداي ورقيّة حسن الحذف في أنماط ثلاثة؛ هي: "الحذف الاسميّ، والفعليّ، والجُمَليّ"، مع الملاحظة أنّ الاهتمام الأكبر ينصبّ على العلاقات بين الجمل؛ حيث إنّ الحذف داخل الجملة خارج الاهتمام؛ لأنّه يدخل في بنية الجملة، أمّا الحذف بوصفه شكلا من أشكال العلاقة بين الجمل فهو سمة أساسيّة من السّمات النّصيّة (texture)، وهذه الأنماط الثّلاثة التي تتّصل بالبنية

[1] السّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، 3/190–193.

[2] المصدر نفسه 3/202–206.

الكلّيّة للنّصّ، وتدفع المخاطَب لاستدعاء النّصّ بأكمله ليقف على العنصر المحذوف في ظـــاهر النّصّ؛ في المقابل ذكرها القدماء في "حذف الصّوت، والحرف، والكلمة، والجملة، وأكثر مـــن جملة"[1].

وهذا ما أكّده أحمد عفيفي بقوله: "إنّ هناك تقسيمات أخرى للحذف تتطلّب لجهـــد أكبـــر لـــربط نموذج العالم النّقديريّ للنّصّ بعضه ببعض في الوقت الذي يقتطع من البِنية السّطحيّة بشـــدّة"[2]، والأنماط الثّلاثة عند المُحدَثين قد أَدرَجَها السّيوطيُّ في النّمط الرّابع وهو "الاختزال"، وهي التي سيلقي الباحثُ الضّوءَ عليها ويجعلها محلّ دراسته؛ وذلك على النّحو التّالي:

حذف العنصر الاسميّ (nominal ellipsis)

ويقصد به حذف اسم داخل المجموعة الاسميّة؛ حيث يقع حذف الاسم بعد العنصـــر الإشـــاريّ (deictic)، أو العدديّ (numerative)، أو النّعت (epithet)، والعنصر الإشاريّ تعبّر عنـــه الكلمات الآتية: كلّ، بعض، أي، كِلا، كِلتا؛ ومثاله: (الرّجال رجعوا منتصف الليل. الكـــلّ جـــاء متعبًا)، والعنصر العدديّ يعبَّر عنه من خلال العدد؛ كالكلمات التّالية: أوّل، تالٍ، ثـــانٍ، ثالـــث، ورابع.. إلخ، أو الكلمات الدّالة على الكمّ (كثير، قليل، والعديد من)، ومثالـــه: (هـــل لـــك فـــي شيكولاتة أخرى؟ لا؛ شكرًا؛ لقد كانت الثّالثة)، ووظيفة النّعت تملؤها الصّفات؛ من مثل صـــفات الألوان، وغيرها؛ ومثاله: (أنا أحبّ الشّاي الثّقيل. أعتقد أنّ الخفيف أفضل لك).[3]

ويجدر الإشارة أنّ النّصّيّين المحدَثين ركّزوا على المحذوف "الاسم" بغضّ النّظر عـــن موقعـــه الإعرابيّ؛ على حين عنيَ القدماء بالمواقع الإعرابيّة المختلفة للعنصر الاسميّ المحذوف، فذكروا أنّه يُحذف في حالة: الابتداء، والخبريّة، والإضافة، والحاليّة، والتّمييز، والنّعـــت، والمعطـــوف، والظّرف.. إلى غير ذلك من المواقع الإعرابيّة التي يشغلها الاسم.

---

[1] ينظر: الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق؛ دراسة تطبيقية على السور المكيـــة**، 215/1، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص41.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص126.

[3] ينظر: محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، القاهرة: مكتبة الآداب، ط2، 2009م، ص118، والنّجّـــار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص41.

ومثال على تعامل القدماء مع حذف الاسم حسب موقعه الإعرابيّ؛ حيث انتبهوا إلى حذف المفعول كثيرًا في سياق القصص القرآني، ويكون ذلك للعلم به تارة، أو لإثبات الفعل للفاعل دون الحاجة إلى المفعول تارة أخرى؛ ومنه قوله تعالى:﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ ۖ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا ۖ قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ ۖ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾ ﴾[1]؛ فقد حذف النّصّ المفعول "أغنامهم" في أربعة مواضع مشار إليها فيه، والحذف هنا أبلغ من الذّكر؛ لكون المفعول معلومًا في السّياق، ولعدم تكراره في البنية الكلّيّة؛ ومن ثَمَّ كان في حذفه وترك ذكره فائدة جليلة، وأنّ الغرض لا يصحّ إلّا على تركه.[2]

حذف العنصر الفعليّ (verbal ellipsis)

ويقصد به حذف فعل داخل المجموعة الفعليّة، وقد نصّ علماء العربيّة على حذف الفعل في مواضع عدّة: قياسية وأخرى سماعيّة؛ اعتمادًا على القرائن النّحويّة والسّياقيّة والعقليّة؛ فقسموها إلى قسمين:

الأوّل: حذف الفعل والفاعل؛ فيكون جملة، ومن ذلك قول العرب: "المرءُ مقتولٌ بما قَتل به؛ إن سيفًا فسيفٌ، وإن خنجرًا فخنجرٌ"؛ أي إن كان الذي قتل به سيفًا فالذي يُقتَل بسيفٌ، فكان واسمها وإن لم تكن مستقلّة؛ فإنّها تُعدّ اعتداد الجملة[3]، "ويكثر هذا النّمط من الحذف في أساليب الإغراء، والتّحذير، والنّداء، والاستثناء، والاختصاص، والمدح والذّمّ، والمعيّة، والأمثال، والاشتغال، والمصادر المنتصبة، والقَسَم، والأمر.. إلخ".[4]

---

[1] سورة القصص، الآيتان: 23-24.

[2] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص42، والجرجانيّ: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص150.

[3] ابن جنّيّ: **الخصائص**، 381/2.

[4] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص43.

الثّاني: حذف الفعل دون الفاعل؛ وذلك عند الفصل بينهما، ويكثر ذلك مع حروف الشّرط؛ ومنه قوله تعالى: ﴿إِنِ امْرُؤٌ هَلَكَ﴾[1]، فالعنصر المحذوف هو الفعل "هلك" بعد "إن"؛ فتكون البنيــة" إن هلك امرؤٌ هلكَ".[2]

الحذف الجمليّ (clausal ellipsis)

ذكر النّحاة مواضع يكثر فيها حذف الجملة –غير التي سبق ذكرها–، ومنها جملة جواب الشّرط دون أن يسبقها أو يكتنفها جملة تدلّ على المحذوف؛ وإنّما يُعلَم المحذوف بالقرينة العقليّة، وبمــا يلي مِن سياق اللفظ، ويكثر ذلك مع أحرف الشّرط؛ ومثاله قولــه تعــالى: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾﴾[3]، والمحذوف من بنية النّصّ "لهلكتم بما فعلتم".

كما ويكثر الحذف الجُمليّ في حالات حذف جواب القَسم، وخاصّة في القرآن الكريم إذا كــان الغرض مِن القسم تعظيمَ المقسم به، أو تكريمه، أو التّنبيه إلى موضع دلالة وعبــرة فيــه دون إرادة توكيد جملة تالية؛ كقوله تعــال: ﴿وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَلَيَالٍ عَشْرٍ ﴿٢﴾ وَالشَّفْعِ وَالْوَتْرِ ﴿٣﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسْرِ ﴿٤﴾﴾[4]؛ فجواب القسم محذوف تقديره "لأعذّبنّ هؤلاء" بدليل الآيات اللاحقة ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴿٦﴾﴾[5]، وهذا فيما يختصّ بحذف جملة واحدة[6]؛ أمّا فيما يختصّ بحذف أكثر من جملة؛ فنعرضه كالآتي:

حذف أكثر من جملة

يقع حذف أكثر من جملة بكثرة؛ وذلك لتعدّد الأغراض؛ كدخول الشّرط مع الاستفهام، وفي هذه الحالة تتعرّض للحذف إحدى جُملتَي الشّرط أو كلتيهما معًا؛ ومنه قول الشّاعر:

قالَتْ سُلَيمى: لَيتَ لي بَعلًا يَمُنّْ بِغَسلِ جِلدي وَيُنَسّيني الحَزَنْ

---

[1] سورة النّساء، جزء من الآية: 176.

[2] ابن جنّيّ: **الخصائص**، 382/2، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص43.

[3] سورة النّور، الآية: 10.

[4] سورة الفجر، الآية: 1–4.

[5] سورة الفجر، الآية: 6.

[6] ينظر: ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السّيّد، ط1، القــاهرة: دار السّــلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، 1424ه/2004م، 764/2، ومحمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّــة والتّطبيــق**، ص118.

وَحاجَةً ما إِنْ لَها عِندي ثَمَنْ مَيسورَةً قَضاؤُها مِنهُ وَمَنْ

قالت بناتُ العَمِّ: يا سلمى وإنْ كانَ فقيرًا مُعدِمًا؟ قالتْ: وإنْ[1] (بحر الرّجز)

يظهر لنا أن هذا النّصّ حُذفَ منه أكثر مِن جملة، فالتّركيب "وإن كان" يقدّر قبله همزة استفهام وجوابه محذوف، فيكون المُراد "أو إن كان فقيرًا مُعدِمًا رَضيتِ به؟"، كما حُذِفت جملتا الشّرط والجواب بعد "إن"؛ بدلالة ما سبق ذكره في الشّطر الأوّل، وما مِن شكٍّ أنّ هذه الشّواهد على استيعاب المعربين للدّلالة الكلّيّة للنّصّ؛ وذلك من خلال الوقوف على جزئيّاته.[2]

كذلك الأمر نراه بكثرة في القَصَص القُرآنيّ؛ وذلك للإيجاز والاقتصار، ويكتفي بحضور دلالة القرائن العقليّة والخالية واللفظيّة على المحذوف؛ ومثاله قوله تعالى: ﴿ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[3]، فقد حُذف أكثر من جملة بعد قوله تعالى: ﴿فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ﴾ والتّقدير "فأخذَ الكتاب، فألقاه إليهم، فرأته وقرأته، وقالت".[4]

النّوع الثّاني: الاتّساق النّصّيّ المعجميّ

تتكامل عناصر الاتّساق النّحوي وتتضافر مع عناصر الاتّساق المعجميّ في تماسك النّصّ وترابطه والتحامه، ويُعنى بالاتّساق المعجميّ العلاقة الجامعة بين كلمتين أو أكثر داخل المتتاليات النّصّيّة؛ وهي علاقة معجميّة تنقسم إلى أداتين اثنتين.

---

[1] ابن العجاج، رؤبة: **مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه**، تصحيح وترتيب: وِلِيَم بن الرد، برلين: طُبع بآلات درغولين، 1903م، جاءت هذه الأبيات في فصل الأشعار المنسوبة له، ص186.

[2] ينظر: ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 783/2، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص45.

[3] سورة النّمل، الآيتان: 28-29.

[4] ينظر: الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص93، وابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 784/2.

أدوات الاتّساق النّصّيّ المعجميّة

التّكرار (refetition)، والتّضام أو ما يُسمّى بالمصاحبة (collocation).

أوّلًا: التّكرار (refetition)

التّكرار لغة

ورد في لسان العرب "كرر: الكَرُّ: الرُّجُوعُ، والكَرُّ: مَصْدَرُ كَرَّ عَلَيْهِ يَكُرُّ كَرًّا وكُروراً وتَكْراراً: عَطَفَ. وكَرَّرَ الشَّيْءَ وكَرْكَره: أَعاده مَرَّةً بَعْدَ أُخرى. والكَرّةُ: المَرَّةُ، وَالْجَمْعُ الكَرَّات. وَيُقَالُ: كَرَّرْتُ عَلَيْهِ الْحَدِيثَ وكَرْكَرْتُه إِذا رَدَّدْتُهُ عَلَيْهِ. وكَرْكَرْتُه عَنْ كَذَا كَرْكَرةً إِذا رَدَدْتَه. والكَرُّ: الرُّجُوعُ عَلَى الشَّيْءِ، وَمِنْهُ التَّكْرارُ.[1]

يتّضح من عرض ابن منظور أنّ معنى التّكرار: العطف، والرّجوع، والإعادة.

التّكرار اصطلاحًا

عرّفه البلاغيّون القدماء، ومنهم ابنُ الأثير على أنّه "دلالة اللفظ على المعنى مردّدًا"[2].

ورآه السّجلمانيّ على أنّه "إعادة اللفظ الواحد بالعدد أو النّوع في القول مرّتين فصاعدًا"[3].

ويراه اللسانيّون المحدثون؛ ومنهم الخطابي على أنّه "شكل من أشكال الاتّساق المعجميّ يتطلّب إعادة نظر معجميّ، أو ورود مرادف له، أو شبه مرادف، أو عنصرًا مُطلقًا أو اسمًا عامًّا"[4].

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (كرر).

[2] ابن الأثير، ضياء الدّين نصر الله: **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، د.ط، القاهرة: دار نهضة مصر الفجالة، 30/3.

[3] السجلماني، أبي أحمد القاسم: **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، تحقيق: علال الغازي، د.ط، الرّباط: مكتبة المعارف، د.ت، ص476.

[4] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص24.

ويشير الأزهر الزّناد بأنّ الإحالة بالعودة تشتمل على نوع آخر من الإحالة يتمثّل في تكرار لفظ أو عدد من الألفاظ في بداية كلّ جملة من جُمَلِ النّصّ قصد التّأكيد وهو الإحالة التّكراريّة[1]، وهذا التّكرار في ظاهر النّصّ يصنع ترابطًا بين أجزاء النّصّ بشكل واضح[2].

أدرك القدماء أهمّيّة التّكرار في اتّساق النّصّ وتقوية معناه، حيث يبيّن الرّضي ذلك بقوله: "التّكرير ضمّ الشّيء إلى مثله من اللفظ مع كونه إيّاه في المعنى للتّأكيد والتّقرير"[3]؛ وذلك لكون التّكرير يعتمد على ترداد اللفظ أو إعادة ذكره بنفسه أو بمعناه؛ سواء كان هذا المعنى مصوغا في كلمة مفردة أم في جملة، ويتطرّق ابن القيّم إلى أنواع التّكرار وفوائده؛ فيقول: "التّكرار هو أن يأتي المتكلّم بلفظ ثمّ يعيده بعينه سواء كان اللفظ متّفقَ المعنى أو مختلفًا، أو يأتي بمعنى ثمّ يعيده، وهذا من شرط المعنى الأوّل"[4]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾[5]؛ حيث تكرّرت كلمة "تخشى" باتّفاق اللفظ والمعنى، وقول الشّاعر:

(البحر الطّويل)

سَريعٌ إِلــى اِبــنِ العَــمِّ يَلطِــمُ وَجهَــهُ وَلَيــسَ إِلى دَاعــي النَــدى بِــسَريعِ[6]

حيث تكرّر لفظ "سريع" في صدر البيت وعجزه؛ وهكذا يقوم اللفظ المعجميّ بوظيفة الرّبط بين أجزاء الآية، والرّبط بين شَطرَي البيت، ممّا يُجلّي وعي القدماء وإدراكهم لخاصّيّة التّكرار ودوره في اتّساق النّصّ وانسجامه.

وينبّهُ الجاحظُ على مراعاة حال السّامعين (وقياسًا عليهم القارئين) ويشير إلى وجوب إحاطة المتكلّم بحال المستمعين من حيث الفطنة والذّكاء، أو الجهل والغباء، وجملة القول في التّرداد أنّه

---

[1] فرج، حسام أحمد: **نظريّة علم النّصّ رؤية جديدة في بناء النّصّ النّثريّ**، ص19.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص106.

[3] الحسن، رضي الدّين محمّد، **شرح شافية ابن الحاجب**، ط 1، بيروت: دار الكتب العلميّة، د.ت، 15/1.

[4] الجرجانيّ: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص150.

[5] الأحزاب، الآية: 37. (جزء من الآية).

[6] دقّة، محمّد علي: **ديوان الأُقَيْشِر الأَسَدِيّ**، بيروت: دار صادر، ط1، 1997م، ص92.

ليس فيه حدٌّ ينتهي إليه، ولا يأتي على وصفه؛ إنّما ذلك على قدر المستمعين، ومن يحضره من العوام والخواصّ.[1]

أنواع التّكرار

تعرّض علماء النّصّ إلى أنواع التّكرار بترتيبات متعدّدة؛ كلّ حسب ميوله ومعرفته وترجيحاته، وتبنّى الباحث طريقة أحمد عفيفي[2] في العرض، والتّوضيح حسبما يُشار إليه في التّوثيقات؛ وذلك على النّحو التّالي:

الأوّل: التّكرار المحض (التّكرار الكُلّيّ)؛ وهو[3]: التّكرار مع وحدة المرجع: أي يكون المسمّى واحدًا، أو كما يقال: تكرار كلمة بعينها؛ ومثاله قوله تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنْ عِندِ اللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾﴾[4]؛ فتكرّرت كلمة "الويل" وقصد به دلالة واحدة (وحدة المرجع)، بالإضافة إلى التّكرار الموجود في "يكتبون الكتاب بأيديهم" و"كتبت أيديهم" وما يفيده من الرّبط، وهو ما عُرف عند النّصّيّين ب "تكرار لفظ أو صياغة".

التّكرار مع اختلاف المرجع: أي والمسمّى متعدّد، وهو تكرار اللفظ مع اختلاف المعنى، ويقسم إلى قسمين:

تكرار كلمات: ومثاله قولهم: "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل"؛ فقد تكرّرت لفظة "سائل" مع اختلاف معناها

تكرار جمل: ومثاله تكرار الآية ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ الموجودة في سورة الرّحمن إحدى وثلاثين مرّة؛ مع أنّ عدد آياتها لا يتجاوز ثمانيًا وسبعين آية، والتّكرار على هذا النّحو

---

[1] الجاحظ: **البيان والتّبيين**، 105/1.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص106-114.

[3] المصدر نفسه، ص107.

[4] سورة البقرة، الآية: 79.

لافت للنّظر في تمييز النّصّ إزاء نصوص أخرى؛ فهو يُفضي إلى تكامل بين قواعد الرّبط وقواعد النّظم، حيث توجد الجملة المكرّرة في مكان تؤدّي به مهمّتين تكون ختاما لكلام – كالتّعقيب–، وبداية لكلام يبتدأ به مضمون المعنى القادم، إضافة إلى أنّها تساعد على تكثيف الدّلالة وتلوين النّصّ بمعان ثانية.

الثّاني: التّكرار الجزئيّ: ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه؛ ولكن في أشكال وفئات مختلفة، بمعنى استخدام المكوّنات الأساسيّة للكلمة (الجذر الصّرفيّ) مع نقلها إلى فئة أخرى؛ مثل: (ينفصل–انفصال)، (يحكم– حكم– حكّام– حكومة)، ويطلق عليه التّكرار المعجميّ المركّب.

الثّالث: التّكرار بالمرادف: وهو تكرار المعنى واللفظ مختلف، وقد وقع الخلاف بين العلماء قديما وحديثا عن حقيقة وجوده وعدمها، –وهذا ليس محلّ طرحنا في هذا المضمار– وما يهمّنا هنا هو أثره في الاتّساق النّصّيّ وانسجامه[1]، واتّضح وعي النّصّيين لأهميّته في ترابط الجمل وتتابعها؛ فهي "تعبيرات استبدال سبقت صياغتها في النّظام قابلة للتّوسيع أحيانا"[2]، ويمكن أن يكون على نوعين[3]:

المرادف دلالة وجرسًا: وهو تكرار لكلمتين تحملان معنى واحدًا، ويشتركان في بعض الأصوات والميزان الصّرفيّ؛ مثل: يحجبه=يستره/ جميل=مليح.

المرادف دلالة لا غير: وهو تكرار لكلمتين تحملان معنى واحدًا دون الاشتراك في الميزان الصّرفيّ؛ مثل: الحزن=الهموم/ مذموم=محتقر/ السّيف=المهند.

---

[1] ينظر: عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص109، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص51.

[2] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص131.

[3] ينظر: عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص107، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص51.

ومن الجدير بالذّكر إلى أنّ الإسراف في الاعتماد على هذا النّوع من التّكرار قد يؤدّي إلى ركاكة الأسلوب وضعف الإخباريّة.

الرّابع: تكرار لفظ الجملة أو ما يسمّى بالتّكرار (الجراماتيكيّ)

وهو تكرار لنظم الجمل بكيفيّة واحدة؛ أي تكرار للطّريقة التي تُبنى بها الجملة مع اختلاف الوحدات المعجميّة التي تتألّف منها الجمل؛ إذ تُبنى بشكل متواز في الشّعر أساسا، وفي النّثر وفق هذا المفهوم "وإذا حاولنا الرّبط بين مفهوم التّكرار (الجراماتيكيّ) ومفهوم التّوازي؛ فإنّ تكرار نظم الجملة يعدّ نوعا من التّوازي في هذا المستوى"[1] لأنّ "التّوازي مركّبٌ ثنائيّ التّكوين، أحد طرفيه لا يُعرف إلّا مِن خلال الآخر، وهذا الآخر –بدوره– يرتبط مع الأوّل بعلاقة أقرب إلى التّشابه، نعني أنّها ليست علاقة تطابق كامل"[2]؛ ومثاله سخرية عبد العزيز البشريّ من البرلمانيّ إبراهيم الهلباوي: "قد امتثل حقًّا لحكم النّظام، فهو يرفع اصبعه يطلب الإذن كلّما أراد القعود أو القيام، وكلّما أراد السّكوت أو اكلام، وكلّما طلع أو نزل، وكلّما عطس أو سعل، وكلّما تحرّف أو تخطّى، وكلّما تثاءب أو تمطّى، وكلّما دلك أكارعه، أو فتل أصابعه.."[3]؛ ثنائيّات من الجمل يظهر فيها هذا التّرابط اللافت ممّا يزيد المتلقّي جذبا وتأويلًا وإحساسًا بمعنى التّرابط النّصّيّ.

وظائف التّكرار

للتّكرار وظائف عِدّة؛ أهمّها[4]:

- هو أحد العناصر التي يتحقّق بها الرّبط داخل النّصّ.

---

[1] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص112، نقلا عن مصطفى قطب: دراسة لغويّة لصور التّماسك اللغويّ، ص187.

[2] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ** ص112، نقلا عن يوري لوتمان: تحليل النّصّ الشّعريّ، بنية القصيدة، ص129.

[3] البشريّ، عبد العزيز: **في المرآة**، مصر: مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، 2012م، ص41.

[4] ينظر: ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 25/1، وعفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص124، والفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية**، 21/2.

- يأتي للتّأكيد على فكرة في ذهن منتج النّصّ، أو معنى يلحّ عليه لإظهاره، أو دلالة يحرص على إيصالها للمتلقّي.

- تكرار ألفاظ مكوّنة من أصوات معيّنة تساعد على رسم جو من الخشوع والخضوع، والسّكينة والهدوء.

- ومن وظائفه البلاغيّة التّقرير؛ حيث يحمل المخاطَب على الإقرار والاعتراف بأمرٍ قد استقرَّ عنده ثبوتُه أو نفيه، التّعظيم للمحكيّ عنه، والتّوبيخ أو الوعيد، والتّهديد والرّثاء..

- يحقّق نوعًا من التّرابط والتّلاحم بين العناصر الفنّيّة، وإدراك ما يحفل فيه من أفكار ودلالات، واستعماله بالقدر المناسب يؤدّي إلى حسن النّظم والاتّساق النّصّيّ.

- يخلق نوعا من العلاقة بين النّصّ والمتلقّي تقوم على المنافسة والتّحدّي والتّأويل التي تُعدّ شرطًا لبقاء الخِطابين المقروء والحالي.

- يساهم في القدرة الفعالة على الفهم؛ فالفهم يكون أسرع وأعمق حين استخدام التّكرار.

- تكمن أهمّيته في كون المترادفات متحقّقة في النّصّ فعلا، وهي التي أعيد تعيينها من خلال المتكرّرات المعنويّة، وهذا يعمد إليه منتج النّصّ لتأكيد فكرة ما إثباتها أو الحضّ عليها.

- ومن أغراض التّكرار في اللسانيّات النّصّيّة: يهدف إلى تدعيم الاتّساق النّصّيّ، ويعمل على تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكوّنة للنّصّ، ويعطي منتج النّصّ القدرة على خلق صورة لغويّة جديدة.

- ومن أغراض التكرار الجراماتيكيّ: ثنائيّات من الجمل يظهر فيها هذا التّرابط اللافت ما يزيد المتلقّي جذبا وتأويلًا وإحساسًا بمعنى التّرابط النّصّيّ.

ثانيًا: التّضام أو المصاحبة (collocation)

التّضام لغة

ضمم: الضَّمُّ: ضَمُّكَ الشيءَ إِلَى الشَّيْءِ، وَقِيلَ: قَبْضُ الشَّيْءِ إِلَى الشَّيْءِ، وضَمَّه إِلَيْهِ يَضُمُّه ضَمّاً فانضمَّ وتَضامَّ. تَقُولُ: ضَمَمْتُ هَذَا إِلَى هَذَا، فأَنا ضامٌّ وَهُوَ مَضْمُوم.. وتَضامَّ القومُ إِذَا انضَمَّ بعضُهم إِلَى بَعْضٍ.[1]

مفهوم التّضام

يُعد التّضام أو ما يسمّى بالمُصاحبة من وسائل الاتّساق النّصّيّ المعجميّ، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظّهور المشترك المتكرّر في سياقات متشابهة، مثل الكلمات (الحرب- العداء- الصِّراع- الجنرال) (نحلة- عسل) (باب- نافذة) و(ملك- سلطة)، وهذا ما يوضّحه خطابيّ بقوله "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوّة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[2]، وبمعنى آخر هي علاقة أفقيّة تجمع بين لفظين متجاورين أو متباعدين لوجود المناسبة بينهما، وهذه العلاقة يعتادها أبناء اللغة الواحدة؛ بحيث يمكن توقّع ورود كلمة محدّدة في النّصّ من خلال ذكر كلمة أخرى؛ كما يُقال: قطيع غنم، أو سرب طيور، ولا يقال العكس: قطيع طيور، أو سرب غنم. وتتميّز تلك الظّاهرة بعدم اشتراطها إلى مرجعيّة سابقة أو لاحقة كما كان الحال معروفا بالنّسبة لعناصر الاتّساق السّابق ذكرها.[3]

ويرى سليمان بوراس أنّ التّضام نوعان: معجميّ ونحويّ؛ فأمّا التّضام المعجميّ: فهو تضام يفرضه المعنى الذي يأخذه اللفظ معجميّا، وأحكام هذا النّوع من التّضام وجدت في كتب النّحو في أبواب متفرقة؛ ومنها اشتراط مشاركة المفعول المطلق لفعله في مادّة اشتقاقه، وأمّا

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (ضمم).

[2] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص25.

[3] ينظر: محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، ص118، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص40.

التّضام النّحويّ: فهو تلك العالقة التي تنشأ بين العنصرين (التّابع والمتبوع) داخل المنظومة النحوية.[1]

انتبَه القدماءُ إلى التّضام (المصاحبة اللغويّة) من أمثال "الجاحظ"؛ إذ نجده يشير إلى التّلازم بين كلمات بعينها على ألسنة العامّة، تخالف ما شاع استعماله في القرآن الكريم، فيقول:

"وقد يستخف الناس ألفاظا ويستعملونها؛ وغيرها أحق بذلك منها. ألا ترى أن الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوع إلا في موضع العقاب أو في موضع الفقر المدقع والعجز الظاهر. والناس لا يذكرون السغب ويذكرون الجوع في حال القدرة والسلامة. وكذلك ذكر المطر، لأنك لا تجد القرآن يلفظ به إلا في موضع الانتقام، والعامة وأكثر الخاصة لا يفصلون بين ذكر المطر وبين ذكر الغيث. ولفظ القرآن الذي عليه نزل أنه إذا ذكر الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبع سموات لم يقل الأرضين. ألا تراه لا يجمع الأرض أرضين، ولا السمع أسماعا. والجاري على أفواه العامة غير ذلك، لا يتفقدون من الألفاظ ما هو أحق بالذكر وأولى بالاستعمال... وفي القرآن معان لا تكاد تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والجوع والخوف، والجنة والنار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجن والإنس"[2].

يتّضح من نصّ الجاحظ أنّ التّضام (المصاحبة اللغويّة) كان معروفا لديهم؛ فهو يلتفت إلى الفرق بين الأسلوب القرآني وأسلوب النّاس في استعمال التّضام؛ حيث يقرن الأسلوب القرآنيّ بين "الجوع" وسياق الفقر المدقع؛ بينما العوام يقرنون بين الجوع وسياق القدرة والسّلامة، والدّافع لهم في ذلك هو الاستخفاف والتّساهل، ويلتفت أيضا إلى أنواع من التّضام عُرفت عند النّصّيّين؛ كمصاحبة التّضاد في (الجنّة/النّار– الرّغبة/الرّهبة)، ومصاحبة التّكامل بين (الصّلاة/الزّكاة –

[1] بوراس، خولة: **المعايير النّصّيّة وتطبيقها في قصيدة الذّبيح الصّاعد لمفدي زكريّا**، ص56. نقلا عن سليمان بوراس: القرائن النّحويّة اللفظيّة والاتّساق النّحويّ، رسالة دكتوراة، كلّيّة الآداب واللغات، جامعة الحاج لخضر، باتنة السّنة الجامعيّة، 1014/2013، ص21–22)

[2] الجاحظ: **البيان والتّبيين**، 20/1.

المهاجرين/الأنصار)، ومصاحبة التّعاكس بين (الجن/الإنس)، كما ويلتفت إلى التّرابط بين الألفاظ المتضامّة في سياق واحد؛ كتضام لفظة (النّكاح) واقترانه بسياق (التّزويج).[1]

أنواع التّضام

حاول النّصّيّون تصنيف علاقات المصاحبة على الرّغم من صعوبة ذلك؛ لشدّة التّداخل بينها؛ ويمكن تقسيمها على النّحو التالي:

الأوّل: الارتباط بموضوع معيّن: حيث يتمّ الرّبط بين العناصر المعجميّة، نتيجة الظّهور في سياقات متشابهة، وهو ما يطلق عليه محمّد خطابي علاقة التّلازم الذِّكريّ: (المرض– الطّبيب)، و(النّكتة– الضّحك).[2]

الثّاني: التّقابل أو التّضاد (contrast or particular topic)؛ وهو على ثلاثة دروب:

- التّضاد الحاد أو غير المتدرّج: كلّما كان حادًّا (غير متدرّج) كان أكثر قدرة على الرّبط النّصّيّ، وهو قريب من النّقيض عند المناطقة، ويتّفق مع قولهم أنّ النّقيضين لا يجتمعان ولا يرتفعان"، ومثّل له: "ميّت–حيّ/ متزوّج–عزب/ ذكر–أنثى، ولا يمكن وصف هذه المتضادّات بأوصاف مثل: جدًّا، قليلًا، إلى حدٍّ ما.
- التّضاد العكسيّ: مثل: فوق–تحت/ زوج–زوجة/ اشترى– باع.
- التّضاد الاتّجاهيّ: مثل: أعلى–أسفل/ يصل– يغادر/ يأتي–يذهب.

ويتمّ الرّبط في التّضاد من خلال توقّع القارئ للكلمة المقابلة؛ فالكاتب يساعد القرّاء على الإبحار داخل النّصّ من خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق التّماسك في النّصّ، وهذا غير محدود بأزواج الكلمات في جمل متاخمة، ولكنّه يحدث في سلاسل مترابطة طويلة قد تقع داخل حدود الجملة او خارج حدودها في جمل أخرى.[3]

---

[1] الجاحظ: **البيان والتّبيين**، ص57 بتصرّف.

[2] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص25.

[3] محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، ص109.

الثّالث: الاشتمال المشـــترك: وهو ما أطلق عليه أحمد عفيفي "التّنافر" وهو مرتبط بفكرة النّفـــي مثل التّضاد[1]؛ مثل كلمات (خروف، فرس، قط، كلب، أسد) وهذه تشتمل على خاصيّة (حيوان)، ومثل (كرسي- منضدة)، (يمشي- يقود)؛ حيث إنّ كلا العنصرين ينتميان إلى كلمة شاملة لهما، فالكلمتان (كرسي- منضدة) تشتمل عليهما كلمة (أثاث)، و (يمشي- يقود) كلاهما مشتمل فـــي الفعل (يذهب).

الرّابع: الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة منتظمة: ويمكن أن تكون مرتبطة بالرّتبة؛ مثل: رائد، مقدَّم، عقيد، عميد، لواء..

الخامس: الكلمات التي تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة: يمكن أن يكون مرتبطًا بالألوان؛ مثل: (أحمر، أصفر، أخضر، أسود)، وكذلك بالزّمن؛ مثل: فصول، شهور، أعوام.

السّادس: علاقة الجزء بالكُلّ: مثل علاقة اليد بالجسم، والعجلة بالسّيارة، والقمر بالكواكب.

السّابع: علاقة الجزء بالجزء (part to part): مثل: (فم- ذقن) و (أنف- عين).

كلّ هذه العلاقات بين الكلمات تخلق في النّصّ ما يُسمّى بالتّضام؛ فشعور المتكلّمين -كما يـــرى (جون لويز)- "يتّجه إلى اعتبار أحد المتقاربين في التّضاد ذي معنى إيجابيّ، والاخر ذا معنـــى سلبيّ"، ليس فقط المتكلّم؛ بل والمتلقّي أيضًا عند استقباله للنّصّ، ولهذا تَصـــنع هـــذه العلاقـــات تماسكًا نصيًّا بدلالتها المتناقضة"[2] وذلك على مبدأ "والضّدّ يظهر حُسنَه الضّدُ"[3].

---

[1] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص114.

[2] مختار، أحمد عمر: **علم الدّلالة**، ط5، القاهرة: عالم الكتب، 1998م، ص105.

[3] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص114.

المَبحَثُ الثّاني

الاتِّساقُ النَّصِّيُّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق رَضِيَ اللهُ عَنهُ النَّثرِيِّ (المَجالُ التَّطبيقِيُّ)

بعد أن تناول الباحثُ في المبحث الأوّل من هذا الفصل مفهوم الاتّساق النّصّيّ وأدواته النّحويّة والمُعجميّة تناولًا نظريًّا مفصّلًا؛ خصَّ هذا المبحث بالمجال التّطبيقيّ لتلك الأدوات؛ حيث استقرأ نصوص أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه النّثريّة، واستخرج منها نماذج اشتملت على أدوات الاتّساق؛ مراعيًا التّرتيب نفسه؛ وذلك على النّحو التّالي:

أدوات الاتّساق النّصّيّ النّحويّة والمعجميّة

النّوع الأوّل: أدوات الاتّساق النّصّيّ النّحويّة

أوّلًا: الإحالة

إحالة مقاميّة (exoophora): وهي إحالة على ما هو خارج النّصّ أو خارج اللغة، باعتبار أنّها إحالة عنصر لغويّ إحاليّ على عنصر إشاري غير لغويّ موجود في المقام الخارجيّ؛ كأن يحيل ضمير المتكلّم المفرد على ذات صاحبه المتكلّم، حيث يرتبط عنصر لغويّ إحاليّ بعنصر إشاريّ غير لغويّ هو ذات المتكلّم، ويمكن أن يشير عنصر لغويّ إلى المقام ذاته في تفاصيله أو مجملًا إذ يمثّل كائنا أو مرجعا موجودا مستقلًّا بنفسه، فهو يمكن أن يحيل عليه المتكلّم؛ ف "اللغة تحيل دائما على أشياء وموجودات خارج النّصّ، وتظهر ضرورة هذا النوع لكونه يجعل النّصّ متّسقا مع مقامه، وهو ما يحقّق له المقبوليّة (lacceptabilite)"[1].

وقد وردت في نصوص أبي بكر الصّدّيق العديد من الإحالات المقاميّة؛ منها:

"وتفكّروا فيمن كان قبلكم"[2]

"وأين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة في مواطن الحروب"[3]

---

[1] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص89.

[2] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[3] المصدر نفسه، والجزء والصّفحة نفسها.

"مَن يَكذِبْ يَفجُر، ومَن يفجر يهلَك".[1]

"لَا يَدَعُ قَوْمٌ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ إِلَّا ضَرَبَهُمْ اللَّهُ بِالذُّلِّ".[2]

"وزكّنا بالصّلاة عليه، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته، وأوردنا حوضه"[3]

يتضمّن المثالان الأوّل والثّاني إحالة مقاميّة باستخدام الاسمين الموصولين "مَن" و "الذي"، وكذلك الأمر في المثال الثّالث باستخدام أداة الشّرط "مَن"، والرّابع باستخدام الفاعل "قوم"؛ وهذه كلّها تحيل إلى غير مذكور في النّصوص المأخوذة منها؛ ولعل منتج النّصّ لم يفصح عنهم بجلاء لإثارة الفضول عند المتلقّي والتّساؤل والإثارة النّوعيّة.

أمّا في المثال الخامس؛ فحرف النّون الوارد أربع مرّات يحيل إلى ضمير المتكلّم "نحن"، والذي يعود على ذات منتج النّصّ الذي لم يُذكَر في النّصّ، والجمهور المستمع من غير تحديد المخلصين منهم دون المنافقين مثلا.

إحالة نصيّة (endophora): وهي إحالة داخل النّصّ أو داخل اللغة، حيث تحيل فيها بعض الوحدات اللغويّة على وحدات أخرى سابقة عنها أو لاحقة لها في النّصّ، وتظهر ضرورة هذا النّوع لكونه أهمّ وسائل الاتّساق الدّاخليّ للنّص.[4]

وتنقسم الإحالة النّصيّة إلى قسمين:

إحالة نصيّة قبليّة (anaphor): وهي إحالة على السّابق أو الإحالة بالعودة، وتعود على "مفسِّر" (antccedent) سبق التّلفّظ به، وفيها يجري تعويض لفظ المفسِّر الذي كان من المفروض أن يظهر حيث يرد المضمر.

---

[1] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 60/4.

[2] ابن هشام: **السّيرة النبويّة**، 661/2.

[3] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 60/4.

[4] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص118.

وقد وردت في نصوص أبي بكر الصّدّيق العديد من الإحالات النّصّيّة القبليّة؛ منها:

"ثقوا بقوله، وانتصحوا كتابَه.... فإنّه خلقكم لعبادته"[1]

نلاحظ في هذه العبارات أنّ "الهاء" تمثّل ضمير الغائب "هو"؛ والذي يحيل إحالة قبليّة على سابق به التّلفّظ؛ ألا وهو الله تبارك وتعالى؛ وذلك في قول الصّدّيق في بداية خطبته: "أوصيكم بتقوى الله".

إحالة نصّيّة بعديّة (cataphora): وهي إحالة على اللاحق، وتعود على عنصر إشاريّ مذكور بعدها في النّصّ ولاحق عليها؛ من ذلك ضمير الشّأن في العربيّة، أو غيره من الأساليب؛ حيث تحيل على نصّ لاحق عليهما.[2]

وورود الإحالة البعديّة في نصوص الصّدّيق كثيرة؛ ومنها:

"فإنّه مَن يتّق اللهَ يجعل له مخرجًا"

"فإنّ الله له المَنُّ، وهو وليّ الجزاء"[3].

"إنّما هما أخواك وأختاك"[4].

"يا أيّها النّاس، قفوا أوصيكم بعشر فاحفظوها عنّي: لا تخونوا ولا تُغلّوا، ولا تَغدروا ولا تمثّلوا، ولا تقتلوا طفلا صغيرًا ولا شيخًا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقِروا نخلًا ولا تحرقوه.."[5]

يتضمّن المثال الأوّل والثّاني والثّالث إحالة بعديّة باستخدام ضمير الشّأن "الهاء" في "إنّه"؛ والذي يمثّل ضمير الغائب "هو"؛ حيث يحيل إلى "مَن الشّرطيّة وفعلها وجوابها"، و "هو" المحيل لما بعده "وليّ الجزاء، و "هما" والمحيل لما بعده "أخواك وأختاك".

---

[1] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 61/4.

[2] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص119.

[3] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 384/3.

[4] ابن الأثير، عز الدّين علي بن أبي الكرم محمّد الشيباني الجزريّ (ت630ه): **الكامل في التّاريخ**، ط1، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمريّ، بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1417ه/1997م، 422/2.

[5] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 227/3.

ونلاحظ أنّ "الهاء" في كلمة "فاحفظوها" تمثّل ضمير الغائب "هي" والعائدة على "عشر"؛ وهــذه الهاء تحيل إحالة بعديّة لما سيقوم الصّدّيق قي تعداده وتفصيله للعشر خصال.

وهذه الأساليب تشكّل تماسكا وترابطا في النّصّ، وتجعل نفسيّة المتلقّي متأهّبة يَقظة منتظرة لكلّ ما سيقال.

إحالة بالضّمائر

تنقسم الضمائر إلى خمسة أقسام: الضمائر المنفصلة وهي نوعان، والضمائر المتصلة، وضمير الفصل، وضمير الشأن[1]؛ وهي عند علماء النّصّ لها دور كبير في تحقيق اتّساق النّصّ[2]،

ويقتصر الباحث هنا على الضمائر المنفصلة والضمائر المتّصلة؛ للتّمثيل على الإحالة بالضّمائر.

الإحالة بالضّمائر المتّصلة: وتأتي في نهاية الكلمة؛ وهي: (ي، ك) للمذكّر والمؤنّث، (ها، نــا، هما، هم، كم، كن، هن).

ورد في نصوص الصّدّيق الكثير من الإحالات بالضّمائر المتّصلة، منها:

"اللهمّ افتح لهم فتحا يسيرًا، وانصرهم نصرًا عزيزًا، واجعل لهم مِن لدنكَ سلطانًا نصيرًا"[3].

تتضمّن الثّلاثة أمثلة ضميرًا متّصلًا "هم" يدلّ على الغائب، وهذا الضمير يحمل إحالة قبليّة تعود إلى مُحال إليه سبق التّلفّظ به في النّصّ نفسه، وهو المفعول به "عبادك المسلمين"، والموجود في قول الصّدّيق: "اللهمّ فانصر عبادك المسلمين على عدوّك من المشركين".

أمّا الضمائر المنفصلة؛ فهي: أنا، أنت تذكيرا وتأنيثا، أنتما، أنتم، أنتن هو، هي، هما، هم، هن، إياي، إيّاه، إيّاها، إيّاهم، إيّاهنّ، إيّنا، إيّاك تذكيرا وتأنيثا، إيّاكما، إيّاكم، إيّاكنّ.

---

[1] دعكور، نديم حسين: **القواعد التّطبيقيّة في اللغة العربيّة**، ط2، لبنان: مؤسّسة بحسون للنّشر والتّوزيع، 1998م.

[2] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص18.

[3] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص13.

اشتملت نصوص الصّدّيق على الكثير من الإحالة البعديّة بواسطة الضّمائر المنفصلة؛ منها:

"جعلنا الله وإيّاكم من الشّاكرين"[1] (ضمير منفصل في محل نصب مفعول به)

"كفانا الله وإيّاكم مهمَّ أمور الدّنيا والآخرة، والسّلام عليكم ورحمة الله"[2]،

"وهم اليوم يقاتلون على الحِسبَة والنّيّة الحسنة"[3])

تضمّن المثالان الأوّل والثّاني إحالة باستخدام الضّمير المنفصل "إيّاكم"؛ حيث يحيل الأوّل إلى ما بعده: "من الشّاكرين"، والثّاني إلى: "مهمّ الدّنيا والآخرة"، وهذه الجمل تعود إلى مستهلّ النّصّ نفسه "من عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى خالد بن الوليد ومن معه من المهاجرين والنصار والتّابعين".

وفي المثال الثّالث تظهر الإحالة باستخدام الضّمير المنفصل "هم"؛ حيث يحيل إلى ما بعده: "اليوم يقاتلون على الحِسبَة والنّيّة الحسنة" وهذه الجمل تعود إلى أشراف النّاس "إنّك تخرج في أشراف النّاس، وبيوتات العرب، وصُلحاء المسلمين، وفرسان الجاهليّة" الواقعة في مستهل النّصّ.

ممّا يدلّل على دور الضّمائر المنفصلة المهمّ والفاعل في اتساق النّصّ كبنية كلّيّة مترابطة وموحّدة.

إحالة بأسماء الإشارة

أسماء الإشارة هي الوسيلة الثّانية من وسائل الإحالة، ولها دور كبير في ترابط وتناسق أجزاء النّص؛ فهي "مفهوم لسانيّ يجمع العناصر اللغويّة التي تحيل مباشرة على المقام من حيث وجود الذّات المتكلّمة أو الزّمان أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه"[4]؛ منها: هذا، هذه، هذان، هاتان، هؤلاء، ثَمَّ، ثمّة، هنا، هنا، هناك، هنالك.

---

[1] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 152/1.

[2] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص54.

[3] المصدر نفسه، ص16.

[4] الشّاوش، محمّد: **أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة؛ تأسيس نحو النّصّ**، ص126.

ورد في نصوص الصدّيق الكثير من الإحالات بواسطة أسماء الإشارة؛ منها:

يكثر اسم الإشارة "هذا" في نصوص الصدّيق؛ حيث نراه يستخدمه في مستهلّ مكاتباته ومعاهداته.

"هذه الآية فيكم"[1].

"وهذا كتابي إليك آمرك ألّا تبرحَ العراق حتّى يخرج منه خالد بن الوليد"[2].

"هذا ما يعهد به أبو بكر بن أبي قحافة خليفة محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدّنيا"[3].

"وليس عندنا من فيء المسلمين إلّا هذا العبدُ وهذا البعير وهذه القطيفة"[4].

تضمّنت هذه الأمثلة إحالة باستخدام أسماء الإشارة؛ ففي المثال الأوّل كان باستخدام اسم الإشارة "هذه"، والذي يحيل مباشرة إلى "الآية فيكم"، وتعود على الآية التي استشهد بها الصدّيق سابقًا في النّصّ نفسه ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾﴾[5].

وفي المثال الثّاني باستخدام اسم الإشارة "هذا"؛ والذي يحيل مباشرة إلى "كتابي"؛ الذي سيفصّل عنه الحديث لخالد بن الوليد لاحقًا.

وفي المثال الثّالث كان باستخدام اسم الإشارة "هذا"؛ والذي يحيل مباشرة إلى "ما يعهد به أبو بكر بن أبي قحافة خليفة محمّد رسول الله صلى الله عليه وسلم عند آخر عهده بالدّنيا"؛ وهو عهده إلى عمر بن الخطّاب لتولية الخلافة.

---

[1] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص71.

[2] المصدر نفسه، ص63.

[3] المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (المتوفّى 285ه): **الكامل في اللغة والأدب**، ط3، القاهرة: دار الفكر العربيّ، 1417ه/1997م، 6/1.

[4] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 422/2.

[5] سورة التّوبة، الآية: 41.

وفي المثال الأخير تضمّن أسماء الإشارة "هذا، هذا، هذه" تدلّ على حاضر عندهم قريب منهم وجميعها تحمل إحالة بعديّة تدلّل مباشر على المستثنى من اسم ليس؛ وذلك لبيان شدّة الزهد والتّقوى عند الصدّيق.

اتّضح أن أسماء الإشارة المذكورة جميعها تحيل مباشرة على المقام الخاصّ بكلّ حَدَثٍ وحدث؛ وهي هنا إحالة بعديّة، وهي وما جاء بعدها من تفصيل إلى ما سبقها؛ ما يدلّل على أهمّيّتها في ترابط الفقرات بعضها ببعض، ودورها في اتّساق النّصّ معنىً ومبنىً.

إحالة بالأسماء الموصولة

الأسماء الموصولة هي الوسيلة الثّالثة من وسائل الإحالة، ولوجودها أهمّيّة كبرى في تحقيق حسن التّعبير، وترابط النّص وانسجامه.

وحدّدها ابن جنّيّ في قوله: الأسماء الموصولة "الَّذِي وَالَّتِي وتثنيتهما اللَّذَان واللتان وَفِي الْجَرّ وَالنّصب اللَّذين واللتين وَجمع الَّذِي الَّذين بِالْيَاءِ فِي كل حَال والألى وَجمع الَّتِي اللَّاتِي واللائي واللاء وَجمع اللَّاتِي اللواتي، وَمن وَمَا وَأي وَالْألف وَاللَّام فِي معنى الَّذِي وَالَّتِي وتثنيتهما وجمعهما، وَاعْلَم أَن هَذِه الْأَسْمَاء لَا تتمّ مَعَانِيهَا إِلَّا بصلات توضحها وتخصصها ولَا تكون صلَاتهَا إِلَّا الْجمل أَو الظروف ولَا بُد فِي الصِّلَة من ضمير يعود إِلَى الْمَوْصُول، ولَا يجوز تَقْدِيم الصِّلَة ولَا شَيْء مِنْهَا على الْمَوْصُول، ولَا يجوز الْفَصْل بَين الصِّلَة والموصول بالأجنبي، ولَا تكون الصِّلَة إِلَّا جملَة خبرية تحْتَمل الصدْق وَالْكذب"[1]

وردت في نصوص الصدّيق كثير من الأسماء الموصولة؛ ومنها:

"روي عن عبد الرّحمن بن عوف أنّه دخل على أبي بكر في –رضي الله عنهم– في مرضه الذي توفّي فيه فأصابه مفيقًا"[2].

[1] ابن جنّي: **اللُّمَع في العربيّة**، ص188.

[2] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 267/4.

"فوالله الذي لا إله إلّا هو؛ لا أقصر دونهم.

"فخرج عمر بأمر اسامة، فأتى أبا بكر فأخبَره بما قال أسامة"[1].

"أمّا بعد: فإنّ أحبَّ مَن أدخلتم في أموركم إِلَيَّ مَن لم يرتد، ومَن كان ممّن لم يرتدّ"[2].

تضمّنت الأمثلة الواردة أسماء موصولةً تحيل إلى ما بعدها صِلة؛ ففي المثالين الأوّل والثّاني كان باستخدام الاسم الموصول "الذي"؛ حيث يحيل الأوّل مباشرةً إلى جملة صلة الموصول "توفّي فيه"، وذلك خلال حواره مع عبد الرّحمن بن عوف، وفي الثّاني إلى "لا إله إلّا هو"، وكان هذا القسم ضروريًّا خلال الجدل حول محاربة المرتدّين.

وفي المثال الثّالث كان باستخدام "ما"؛ والذي يحيل مباشرة إلى "مقاله أسامة"، وذلك خلال الجدل حول تأمير أسامة.

وفي المثال الأخير كان باستخدام "مَن"؛ والذي يحيل مباشرة إلى "أدخلتم في أموركم إِلَيَّ مَن لم يرتد" وما عُطِف عليها؛ وذلك في فترة محاربة المرتدّين الشّديدة.

اتّضح للباحث أنّ النّصوص التي يكثر فيها الإحالة بالأسماء الموصولة هي من الأسلوبين: الحواريّ، والجدليّ، التي تتطلّب الفطنة واليقظة للمقام والحال، والذّكاء والحكمة في الأخذ والرّد، والصّرامة والحزم في المواقف والقرارات.

يتجلّى اتّساق النّصّ من خلال الإحالة بواسطة الأسماء الموصولة لكونها أنّها لا يكتمل معناها إلّا بصلة الموصول؛ وهي الجملة التي بعدها، فإذا انعدم هذا ولم نأت بصلة الموصول؛ فلا يكون الكلام مستقيمًا.

---

[1] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 226/3.

[2] المصدر نفسه، 249/3.

إحالة ببعض العناصر المعجميّة الأخرى

هناك بعض العناصر المعجميّة تلعب دورًا مهمًّا في الإحالة ؛ مثل: نفس، عين، بضع، بعض، أحد، فهذه الكلمات لا تملك دلالة مستقلّة؛ بل تعود على عنصر أو عناصر مذكورة في أجزاء أخرى من الخطاب.[1]

وردت بعض العناصر المعجميّة في نصوص الصّدّيق رضي الله عنه؛ منها على سبيل المثال:

"إنّ محمّدًا –عليه الصّلاة والسّلام– لبث بضع عشرة سنة في قومه يدعوهم إلى عبادة الرّحمن.. "فجاء الجواب من بعضهم: فإنّا نقول إذن مِنّا أمير ومنكم أمير... لقد رضيت لكم أحدَ هذين الرّجلين؛ فبايعوا أيّهما شئتم"[2].

تضمّن هذا النّص –وهو جزء من النّصّ الحواري والجدلي الطّويل الواقع في سقيفة بني ساعدة– ثلاثة عناصر معجميّة تحيل إلى ما بعدها من، ففي الأوّل كان باستخدام العنصر "بضع"؛ والذي يحيل إلى ما بعده من عدد: "عشر سنة" العائد إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم.

وفي الثّاني استخدم العنصر "بعض"؛ والذي يحيل إلى الضمير المتّصل به "هم" العائد إلى الأنصار.

وفي الأخير استخدم العنصر "أحدَ"؛ والذي يحيل إلى ما تبعه وهو "هذين الرّجلين" العائد إلى عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة عامر بن الجرّاح.

يتّضح الاتّساق من خلال الإحالة بواسطة هذه العناصر المعجميّة، العلاقة الوثيقة بينها وبين ما تلاها من خطاب، وعلاقتها بِمُستَهل النّصّ وبنيته الكلّيّة، وأثرها الكبير في توضيح الفكرة دقّة متناهية.

---

[1] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص77.

[2] ينظر: ابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3، والطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 203/3.

إحالة بأدوات المقارنة بواسطة أسماء التّفضيل

أدوات المقارنة بواسطة أسماء التّفضيل هي أحد عناصر الإحالة في النّصوص؛ وذلك لكونها تقوم بدور المقارنة بين جهتين، يُراد تفضيل أحدهما على الآخر.

يتكوّن اسم التفضيل من أربعة أحرف، ويبدأ بـــ (أ – – –)، وعلى وزن (أَفْعَل) ونأتي به من الفعل الماض الجذر الثلاثي؛ مثل:

فضل: أَفْضَل. صغُر: أصغر. كبر: أكْبَر.

وقد وردت في نصوص الصّدّيق كثير من أدوات المقارنة بواسطة أسماء التّفضيل؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

"أيّها النّاس! نحن المهاجرين أوّلَ النّاس إسلامًا، وأكرمَهم إحسانًا، وأوسطَهم دارًا، وأحسنَهم وجوهًا، وأكثرَهم ولادة في العرب، وأمسّهم رَحِمًا برسول الله صلى الله عليه وسلم"[1].

".. ويحبّون الجهادَ في سبيل الله أشدَّ من حبّهم أبكار النّساء"[2].

تضمّن النّصّ الأوّل خمسة أمثلة لأسماء التّفضيل، والتي جاءت لتقارن بين صورتين؛ وهي: "أكرم" في الإحسان، و"أوسط" في الدّار؛ أي عدولًا وخيارًا، و"أحسن" وجهًا؛ أي بشاشة وطلّة وترحيبًا بالنّاس، و"أكثر" في الأولاد عزوة وجاها، و"أمسّ" رحمًا؛ أي أقرب في النّسب، والتي خدمت الصّدّيق في بيان مكانة العرب المهاجرين، وأحقّيّتهم في الإمارة.

وفي النّصّ الثّاني استخدم اسم التّفضيل "أشدَّ"، للمقارنة بين حبّ المجاهدين للجهاد وبين حبّهم لأبكار النّساء؛ للدّلالة على أنّهم يقدّمون الجهاد على ملذّات الحياة كلّها.

---

[1] ينظر: ابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3، والطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 203/3.

[2] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص30.

فهذه الأمثلة ترتبط بما بعدها ارتباطًا لا يمكن فكّه، وتوضّح الاتّساق بين جزئيّات النّصّ وفقراته وربط آخره بأوّله، وبيان جمال صورة حضور المُفَضَّل.

إحالة بأدوات المقارنة بواسطة التّشبيه

أدوات المقارنة بواسطة التّشبيه هي أحد عناصر الإحالة في النّصوص؛ وذلك لكونها تتناول طرفين اثنين وتشبّه أحدهما بالآخر، ويُراد بذلك إمّا الحض على التّشبّه بمقام المشبّه به وحاله وقوله وفعله؛ أو بتركه.[1]

من أدوات التّشبيه: كما، ونظير، ومثال، والكاف، وبمقدار، وهكذا.[2]

وردت في نصوص الصّدّيق كثير من أدوات المقارنة بواسطة التّشبيه؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

"فعليك بتقوى الله؛ فإنّه يرى من باطنك مِثْلَ الذي يرى من ظاهرك"[3].

"قال أبو بكر لشُرَحْبيل ابن حسنة: يا شرحبيل؛ ألم تسمع وصيّتي ليزيد بن أبي سفيان؟ قال: بلى. قال: فإنّي أوصيك بمثلها، وأوصيك بخصال أغفلت ذكرهنّ ليزيد.."[4].

"فوربّك لا يجعل الله المسلمين كالكافرين، ولا من يشهد أنْ لا إله إلّا الله كمن يعبدُ معه آلهة أخرى"[5].

تضمّن المثالان الأوّلان أداة التّشبيه "مثل"؛ فالأوّل يحيل إلى ما تلاه "الذي يرى من ظاهرك"، وهذا تشبيه مفصّل استخدمه الصّدّيق ليبيّن ليزيد بن أبي سفيان انّ الله تعالى لا تخفى عليه

---

[1] راجع: خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص18، بتصرّف.

[2] ينظر: حمداوي، جمل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ص68، وسرحان، حسين: **قاموس الأدوات النّحويّة**، ط2، المنصورة: مكتبة الإيمان، 1425ه/2004م، ومحيي الدّين، عبد الحميد محمد: **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، 182/2.

[3] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 404/2.

[4] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص15.

[5] المصدر نفسه، ص30.

خافية؛ فانتبه، وكذا الحال في الثّاني، فإنّه يخاطب شرحبيل بن حسنة عن وصيّته لسفيان ويوصيه ب "مثلها"؛ فالهاء تعود لوصيّته لسفيان رضي الله عنهم أجمعين.

وتضمّن المثال الأخير أداة التّشبيه "الكاف" مرّتين في جملتين؛ الواحدة معطوفة على الأخرى، وهو تشبيه مفصّل أيضًا.

ويتّضح الاتّساق النّصّي من خلال استخدام الصّدّيق المقارنة عن طريق التّشبيه، كما ويتّضح كذلك من خلال الإحالة إلى نصٍّ كامل خارج عن هذا النّصّ، وبهذا يرى الباحث أن الاتّساق حاضر وموجود بين نصوص الصّدّيق بعضها ببعض.

إحالة بحروف العطف

حروف العطف هي أحد عناصر الإحالة في النّصوص؛ وذلك لكونها تعطف شيئًا على آخر، ويُراد بذلك توحيد الفعل أو القول أو أيّ أمر آخر؛ وهي: الواو، والفاء، وثُمّ، ولكن، وبل، ولا، وحتّى.

ورد في نصوص الصّدّيق الكثير من استخدامات العطف؛ ومنها على سبيل المثال لا الحصر:

"أمّا بعد: فإذا جاءك كتابي هذا فدع العراق وخلّف فيه أهله الذين قَدِمتَ عليهم وهم فيه، وامضِ متخفّفًا في أهل القوّة مِن أصحابك الذين قَدِموا العراق معك من اليمامة، وصحبوك من الطّريق، وقدموا عليك من الحجاز، حتّى تأتي الشّام، فتلقى أبا عبيدة بن الجرّاح، ومَن معه من المسلمين، فإذا التقيتم فأنت أمير الجماعة، والسّلام عليكم"[1].

"ابسُط يدك فلأُبايعك"[2].

"والله لأن يُقَدّم أحدكم فتُضرب عنُقُه في غير حدٍّ خير له من أن يخوض في غَمرة الدّنيا"[3].

---

[1] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص65.

[2] ابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3.

[3] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 267/4.

"قد انتهت بهم آجالهم، فوردوا على ما قدموا فحلّوا عليه وأقاموا للشّقوة والسّعادة فيما بعد الموت"[1].

تضمّن النّصّ الأول أربعة أحرف عطف؛ وكلّها باستخدام "الواو"؛ الأوّل منها محيل إلى ما بعدها؛ وهو الفعل "امضِ" ومعطوف على أمرٍ، والثّاني محيل إحالة بعديّة إلى "صحبوك"، والثّالث إلى "قَدِموا"، والرّابع إلى الاسم الموصول "مَن"؛ وهذه جميعها تحيل إحالة قبليّة إلى "أهل القوّة من أصحابك"؛ أي أصحاب خالد بن الوليد.

وتضمّن المثال الثّاني أداة العطف "الفاء"؛ وهي للتّعقيب، وتحيل إلى ما بعدها وهو "أبايعك" والثّالث جاءت "الفاء" للسببيّة، وتحيل إلى "تُضرَب".

وتضمّن المثال الأخير "الفاء" مرتّين و "الواو" مرّتين؛ لبيان المصير الشّديد للطّغاة والجبّارين.

هذه الإحالات بوساطة أدوات العطف بمجملها تحيل إلى بدايات النّصوص سواء لأشخاص أو معان؛ وبهذا يتّضح أنّ الإحالة باستخدام أدوات العطف لها دور كبير جدًّا في اتّساق النّصّ وترابطه داخليّا ومقاميًّا.

ثانيًا: الاستبدال

أنواع الاستبدال ثلاثة:

استبدال اسميّ: ويتمّ باستخدام عناصر لغويّة اسميّة؛ مثل: آخر، وأخرى، وآخرون، وواحد، وواحدة، ونفس، والضّمير.. إلخ.[2]

استبدال فعليّ: وفيه يحلّ فعل محلّ فعل آخر داخل النّصّ متقدّم عليه، ويكون هذا الفعل من مادّة "فعل" بصيغها المختلفة.[3]

---

[1] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[2] ينظر: النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص111، وحمداوي، جميل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ص73.

[3] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص124.

استبدال قوليّ: أو الاستبدال العباريّ: وفيه يتمّ إحلال عنصر لغويّ محلّ عبارة داخل النّصّ بشرط أن يتضمّن العنصر المستبدل به محتوى العبارة المستبدل منها.[1]

ورد في نصوص الصّديّق العديد من الاستبدال؛ منها على سبيل المثال لا الحصر:

"فإن استطعتم ألّا يمضي هذا الأجل إلّا وأنتم في عمل صالح فافعلوا"[2].

اسميّ: "لا يُقبَل من أحدٍ شيئًا اعطاه إلّا الإسلام"[3].

"واجعل النّوبةَ الأولى أطول من الأخيرة، فإنّها أيسرها لقربها من النّهار"[4].

"وكان الله قد بيّن له ذلك ولأهل الإسلام في الكتاب الذي أنزل"[5]

تضمّن المثال الأوّل استبدالًا فعليًّا؛ حيث تمّ استبدل الفعل "فافعلوا" بالكلامَ السّابق له مباشرة والذي يعني: استطيعوا ألّا يمضي هذا الأجل إلّا وأنتم في عمل صالح.

وتضمّن المثال الثّاني استبدالًا اسميًّا؛ حيث تمّ استُبدال كلمة "أَحد" بكلمة "عدوّهم"

وتضمّن المثال الثّالث استبدل الضّمير المتّصل "الهاء" الدّالة على ضمير الغائب "هي" بالكلمة "الأخيرة".

وفي المثال الرّابع تضمّن استبدالًا قوليًّا؛ حيث جاءت فكلمة" ذلك" بدلًا من الجملة السّابقة عليها مباشرة: "ثمّ تَوَفّى اللهُ رسولَه صلى الله عليه وسلم وقد نفذ لأمر الله ونصح لأمّته وقضى الذي عليه"

---

[1] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص124.

[2] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[3] المصدر نفسه، 251/3.

[4] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 404/2.

[5] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 250/3.

ويتّضح اتّساق النّصّ بقيام الاستبدال بمهمّة عظيمة جليلة؛ وهي دقّة التّعبير عن المعنى، وعدم الإسراف في استخدام اللغة، وعدم تكرار الكلمات والجمل نفسها؛ ما يسهم في إدراك المعنى مستمرًّا ومتواصلًا في ذهن المتلقّي.

ثالثًا: الحذف

حذف العنصر الاسميّ: ويقصد به حذف اسم داخل المجموعة الاسميّة؛ حيث يقع حذف الاسم بعد العنصر الإشاريّ (كلّ، بعض، أي، كِلا، كِلتا)، أو العدديّ (تالٍ، أوّل، ثانٍ، ثالث، ورابع، أو الكلمات الدّالة على الكمّ: كثير، قليل، والعديد من)، أو النّعت (وتملؤها الصّفات؛ كصفات الألوان وغيرها).

حذف العنصر الفعليّ: ويقصد به حذف فعل داخل المجموعة الفعليّة؛ منها: حذف الفعل والفاعل؛ فيكون جملة: ويكثر هذا النّمط من الحذف في أساليب: الإغراء، التّحذير، النّداء، الاستثناء، الاختصاص، المدح والذّمّ، المعيّة، الأمثال، الاشتغال، المصادر المنتصبة، القَسَم، الأمر.. إلخ، وحذف الفعل دون الفاعل: وذلك عند الفصل بينهما، ويكثر ذلك مع حروف الشّرط".[1]

الحذف الجمليّ: ذكر النّحاة مواضع يكثر فيها حذف الجملة –غير التي سبق ذكرها–، ومنها:

جملة جواب الشّرط دون أن يسبقها أو يكتنفها جملة تدلّ على المحذوف؛ وإنّما يُعلَم المحذوف بالقرينة العقليّة، وبما يلي مِن سياق اللفظ، وحذف جواب القَسم[2].

حذف أكثر من جملة: يقع حذف أكثر من جملة بكثرة؛ وذلك لتعدّد الأغراض؛ كدخول الشّرط مع الاستفهام، وفي هذه الحالة تتعرّض لحذف إحدى جُملتَي الشّرط أو كلتيهما معًا.[3]

---

[1] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص43.

[2] ينظر: ابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 764/2، ومحمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، ص118.

[3] الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، ص93، وابن هشام: **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، 784/2.

ورد في نصوص الصّدّيق –حسب اطّلاع الباحث– القليل من الحذف؛ وربّما يعود ذلك إلى أهمّية بيان كلّ شاردة وواردة، والتّدقيق على الجزئيّات؛ فمهمّته كخليفة يتطلّب منه ألّا يغفل شيئًا وأن يحرص على إيصال ما أراد إيصاله بكلّ وضوح، ومن غير أيّ ضبابية، وألّا يُفهَم قوله على غير المراد؛ وخاصّة وقد تغيّر الحال وارتدّ النّاس.

"ورأيتم الدّنيا مقبلة، ولن تتُقبِلَ –وهي مقبلة– حتّى تتّخذوا ستورَ الحرير ونضائد الدّيباج... يريد أن يكونَ له الأمر –من دونه–"[1].

واجعل النّوبةَ الأولى أطول من الأخيرة، فإنّها أيسرها لقربها من النّهار"[2].

"فمن استجاب له وأقرّ وكفَّ وعمل صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه؛ ومن أبى أمَرت أن يقاتله على ذلك"[3].

"ووددت أنّي يوم سّقيفة بني ساعدة قد رميتُ الأمرَ في عنق أحد الرّجلين، فكان أحدهما أميرًا وكنتُ له وزيرًا"[4].

"فخرج عمرُ إلى النّاس فقالوا له: ما صنعتَ؟ فقال: امضوا؛ ثكلَتْكم أمّهاتُكم! ما لقيتُ في سببكم من خليفة رسول الله"[5].

"فإيّاكم أن تكونوا أمثالهم"[6].

تضمّن المثال الأوّل العبارة "وهي مقبلة" بعد عبارة "ولن تُقبِل"، وحذف عبارة "مِن دونه" في نهاية الجملة.

وتضمّن المثال الثّاني حذف الكلمة "النوبة، واستكفى بعبارة "الأخيرة"

---

[1] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 267/4.

[2] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 404/2.

[3] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 250/3.

[4] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 267/4.

[5] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 226/3.

[6] المصدر نفسه، 224/3.

وتضمّن المثال الثّالث الحذف بعد "وَمَن أَبى" ثلاث جمل متتالية سبقتها.

وتضمّن المثال الرّابع حذف "عمر بن الخطّاب وأبي عبيدة بن الجرّاح" اللذين ظهرت أسماؤهما في نصّ "في سقيفة بني ساعدة".

وتضمّن المثال الخامس حذف حوار الصّدّيق –الوارد في النّصّ نفسه– مع عمر بن الخطّاب كلّه؛ ومنه: "قالت الأنصار: فإن أبى إلّا أن نمضي فأبلغه عنّا، واطلب إليه أن يولّيَ أمرنا رجلًا أقدمَ سنًّا من أسامة"

وفي المثال السّادس تمّ حذف ما كان قد سبق مباشرة "فإنّ قومًا نسوا آجالهم، وجعلوا أعمالهم لغيرهم"

يتّضح اتّساق النّصّ باستخدام الصّدّيق للحذف –مع ندرته–؛ وذلك لأنّه يدرك تمامًا أنّ الحذف يقوم بمهمّة تقاصر الزّمان، فالاشتغال بذكر ما حُذف يفضي إلى تفويت المُهمّ وهذه هي فائدة باب التحذير والإغراء، كما وأنّه رغب في تعظيم وتبجيل الرّجلين (عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة عامر بن الجرّاح)؛ فيحسن الحذف لقوة الدلالة عليه، وأراد أن يحفظ المتلقّي من الملل والسّآمة، ورغب في التّخفيف وعدم دوران الكلام

النّوع الثّاني: الاتّساق النّصّيّ المعجميّ

أدوات الاتساق النّصّيّ المعجميّة

أوّلًا: التّكرار

هو أحد العناصر التي يتحقّق بها الرّبط داخل النّصّ والاتّساق.

التّكرار المحض (التّكرار الكُلّيّ)

وهو نوعان[1]: التّكرار مع وحدة المرجع: أي يكون المسمّى واحدًا، أو كما يقال: تكرار كلمة بعينها، والتّكرار مع اختلاف المرجع: أي والمسمّى متعدّد، وهو تكرار اللفظ مع اختلاف

[1] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص131.

المعنى، ويقسم إلى قسمين: تكرار كلمات: ومثاله قولهم: "سائل اللئيم يرجع ودمعه سائل"؛ فقد تكرّرت لفظة "سائل" مع اختلاف معناها، تكرار جمل.

التّكرار الجزئيّ

ويقصد به تكرار عنصر سبق استخدامه؛ ولكن في أشكال وفئات مختلفة، بمعنى استخدام المكوّنات الأساسيّة للكلمة (الجذر الصّرفيّ).

التّكرار بالمرادف: وهو تكرار المعنى واللفظ مختلف، فهي "تعبيرات استبدال سبقت صياغتها في النّظام قابلة للتّوسيع أحيانا"[1]، ويمكن أن يكون على نوعين[2]: المرادف دلالة وجرسًا: وهو تكرار لكلمتين تحملان معنى واحدًا، ويشتركان في بعض الأصوات والميزان الصّرفيّ؛ مثل: يحجبه=يستره، والمرادف دلالة لا غير: وهو تكرار لكلمتين تحملان معنى واحدًا دون الاشتراك في الميزان الصّرفيّ؛ مثل: الحزن=الهموم.

تكرار لفظ الجملة أو ما يسمّى بالتّكرار (الجراماتيكيّ):

وهو تكرار لنظم الجمل بكيفيّة واحدة؛ أي تكرار للطّريقة التي تُبنى بها الجملة مع اختلاف الوحدات المعجميّة التي تتألّف منها الجمل.[3]

ورد في نصوص الصّدّيق كثير من التّكرار؛ ومنها على وجه التّمثيل لا الحصر:

التّكرار الكلّيّ: "الجِدّ الجِدّ، والوحا الوحا، والنّجاء النّجاء"[4].

وفي نصّ آخر: ".. فأنفسكم أنفسكم والمستعان الله"[5].

---

[1] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص131.

[2] ينظر: عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص107، والنّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص51.

[3] البشريّ، عبد العزيز: **في المرآة**، مصر: مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، 2012م، ص41.

[4] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[5] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 60/4.

تكرار جزئيّ: "وإن استطعتم ألّا يمضي هذا الأجل إلّا وأنتم في عمل صالح فافعلوا.. فسابقوا في مَهَل آجالكم من قبل أن تُسلِمَكُم آجالُكُم إلى انقطاع الأعمال.. فإنّ قومًا نسوا آجالهم.. فإنّ وراءكم طالبًا حثيثًا، أجلًا مَرُّهُ سريعٌ"[1].

تكرار جزئيّ: إنّ أشقى النّاس يوم القيامة الملوك.. مَن إذا مَلَكَ زّهّده الله فيما بيده.. وسترون بعدي مُلكًا، ومَلِكًا عنودًا"[2].

"وأستهدي اللهَ بالهُدى.. مَن يَهدِ اللهُ فهو المُهتدي.. لعلّكم تهتدون"[3].

تكرار بالمرادف دلالة لا غير (من غير ترادف الجرس): "فلا تَنِ، ولا تَفتَر"[4]

التّكرار الجراماتيكي أو تكرار لفظ الجملة: "هديتنا وكنّا ضُلّالًا، وكثّرتنا وكنّا قليلًا، وجمعتنا وكنّا أشتاتًا، وقوّيتنا وكنّا ضعافا"[5].

"يا أبا عبيدة، اعملْ صالحًا، وعِش مجاهدًا، وتوفَّ شهيدًا؛ يعطك اللهُ كتابَكَ بيمينك"[6].

أما تكرار جملة بعينها في النّصّ نفسه؛ فلم يجد الباحثُ هذا النّوع من التّكرار في نصوص الصّدّيقَ والبالغة السّتّين نصًّا ما بين الطّوي لمنها والقصير.

تضمّن المثالان الأوّلان والثّاني تكرارًا كلّيًّا؛ فالأوّل تكرار كلمة "الجِدّ" وكلمة "الوحا"، والثّاني تكرار كلمة "أنفسكم"

وتضمنت الأمثلة: الثّالث والرّابع والخامس تكرارًا جزئيًّا ؛ فالثّالث استخدم تكرار كلمات مأخوذة من عنصر سبق استخدامه؛ ولكن في أشكال وفئات مختلفة، وهو الجذر أجل"؛ والكلمات هي" الأجل، آجالكم، آجالهم أجلًا"، والرّابع من خلال الجذر "ملك؛ والكلمات هي "الملوك، مَلَكَ، مُلكًا،

---

[1] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[2] الجاحظ: **البان والتّبيين**، 21/2.

[3] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 60/4.

[4] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 29/4.

[5] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص13

[6] المصدر نفسه، ص18.

مَلِكًا"، والخامس من خلال الجذر "هدى"؛ والكلمات هي "أستهدي، بالهُدى، يَهدِ، المُهتدي، تهتدون"

وتضمّن المثال السّادس تكرارًا بالمرادف دلالة لا غير؛ أي من غير ترادف الجرس، وهي الكلمات "لا تَنِ، ولا تَفتَرْ".

وتضمّن المثال الأخير تكرارا (جراماتيكيًّا)؛ أي بمعنى تكرار جملة ببناءٍ نحويٍّ موحَّدٍ.

يتّضح الاتّساق النّصّيّ في نصوص الصّدّيق باستخدامه للتّكرار؛ وذلك للتّأكيد على أفكار في ذهنه، ومعانٍ تُلِحّ عليه، ودلالة حرص على إيصالها لجمهور المتلقّين للمسارعة في عمل الخيرات والتّسابق على أدائها، وتعظيم ما أراد تعظيمه، والعمل على تحقيق العلاقة المتبادلة بين العناصر المكوّنة للنّصّ، وزاد المتلقّي جذبًا وتأويلًا وإحساسًا بمعنى التّرابط النّصّيّ.

ثانيًا: التّضام أو المصاحبة اللغويّة (collocation)

يُعد التّضام أو ما يسمّى بالمُصاحبة اللغويّة من وسائل الاتّساق النّصّيّ المعجميّ، حيث يرتبط عنصر بعنصر آخر من خلال الظّهور المشترك المتكرّر في سياقات متشابهة، وهذا ما يوضّحه خطابيّ بقوله "توارد زوج من الكلمات بالفعل أو القوّة نظرًا لارتباطها بحكم هذه العلاقة أو تلك"[1].

أنواع التّضام

ورد في نصوص الصّدّيق كثير من التّضام أو المصاحبة اللغويّة؛ يعرض الباحث منها حسب النّوع؛ وذلك على النحو التّالي:

الأوّل: الارتباط بموضوع معيّن؛ حيث يتمّ الرّبط بين العناصر المعجميّة، نتيجة الظّهور في سياقات متشابهة، وهو ما يطلق عليه محمّد خطابي علاقة التّلازم الذّكريّ: (المرض– الطّبيب)، و(النّكتة– الضّحك).[2]

---

[1] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص25.

[2] المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

"إنّ الله قرن وعده بوعيده ليكون العبد راغبًا راهبًا"[1]

يظهر الرّبط والاتّساق من خلال علاقة التّلازم بين "وعد" و "راغبًا "، كذلك بين "وعيد" و "راهبًا"

"إنّ الله اصطفى محمّدًا –صلى الله عليه وسلم– على العالمين وعصمه من الآفات"

الرّبط والاتساق من خلال علاقة التّلازم بين "اصطفى" و "عصمه"

الثّاني: التّقابل: التّضاد: وهو على ثلاثة دروب: التّضاد الحاد أو غير المتدرّج، والتّضاد العكسيّ، والتّضاد الاتّجاهيّ، ويتمّ الرّبط في التّضاد من خلال توقّع القارئ للكلمة المقابلة؛ فالكاتب يساعد القرّاء على الإبحار داخل النّصّ من خلال سلاسل الكلمات المترابطة التي تخلق التّماسك في النّصّ.[2]

التّضاد الحادّ:

"واغفر لنا والمؤمنين والمؤمنات.. الأحياء منهم والأموات"[3]

"كانوا يقاتلون إذ ذاك على الحميَّة؛ وهم اليوم يقاتلون على الحِسبة والنّيّة الحَسَنة"[4].

"إلى مَن بلغه كتابي هذا مِن عامّة وخاصّة، أقام على إسلامه أو رجع عنه"[5].

"فعليك بتقوى الله؛ فإنّه يرى مّن باطنِك مثلَ الذي يرى مِن ظاهرك"[6].

"وأن تخلطوا الرّهبة بالرّغبة"[7].

---

[1] القيروانيّ، إبراهيم بن عليّ (ت453ه): **زهر الآداب وثمر الألباب**، د.ط، بيروت: دار الجيل، د.ت. 71/1.

[2] محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، ص109.

[3] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[4] الواقدي: **فتوح الشّام**، ص16.

[5] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 29/4.

[6] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 404/2.

[7] ابن عبد ربّه: **العِقد الفريد**، 61/4.

"اتّق الله في السرّ والعلانية"[1].

التّضاد العكسيّ

"ألم ترَ يا عمر أنّما ثقلتْ موازين مَن ثقلت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الحقّ وثقْله عليهم.. ألم ترَ يا عمر أنّما خفّت موازين مَن خفّت موازينه يوم القيامة باتّباعهم الباطل وخفّته عليهم"[2].

ثقلتْ/ خفّت

الحقّ/ الباطل.

الثّالث: كلمات تنتمي إلى مجموعة غير منتظمة:

"وسلَفٌ قدّمتموه من أيّام فانية لأخرى باقية لحين فقركم وحاجتكم.. تفكروا فيمن قبلكم؛ أين كانوا أمس؟! وأين هم اليوم؟!.. قد تضعضع بهم الدّهر"[3].

الرّابع: كلمات تنتمي إلى مجموعة منتظمة:

"ووددت أنّي يوم سقيفة بني ساعدة قد رميت الأمر في عنق أحد الرّجلين؛ فكان أحدهما أميرًا وكنتُ له وزيرًا"[4].

الخامس: التّقابل؛ الاشتمال المشترك: وهو ما أطلق عليه أحمد عفيفي "التّنافر" وهو مرتبط بفكرة النّفي مثل التّضاد[5].

"أما إنّا منذ وُلّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا"[6].

---

[1] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 250/3.

[2] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 25/2.

[3] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[4] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 267/4.

[5] عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، ص114.

[6] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 422/2.

فالكلمتان "دينارًا" و "درهمًا" تشتملان على خاصّيّة النّقود.

"لو منعوني عقالًا كانوا يؤدّونه لرسول الله –صلى الله عليه وسلم– لقاتلتهم عليه.. والله لأجاهدنّهم ما استمسك السّيف في يدي، وإن منعوني عقالًا"[1].

فالكلمات "قاتلتهم" و "أجاهدهم" "السّيف" تشتمل على خاصّيّة الحرب.

"فما آمن به من قومه إلّا رجال قليل، وما كانوا يقدرون على أن يمنعوا رسول الله، ولا أن يعزّوا دينه، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم ضيما عُموا به"[2].

العبارات "فما آمَن" و "وما كانوا يقدرون" و "ولا أن يمنعوا" و "ولا أن يدفعوا"؛ كلّها تشترك في خاصّيّة الخذلان.

يتّضح الاتّساق النّصّيّ في نصوص الصّدّيق من خلال استخدامه كلّ العلاقات بين الكلمات التي خلقت في النّصّ ما يُسمّى ب "التّضام"؛ فهذا الأسلوب أتاح له في إقناع المتلقّين، ووضعهم في حالة من التّهيّؤ الدّائم، وشحذ الحضور الذّهني ويقظة القلب، والبحث دائمًا عن التّوفيق بين المتضادّات والجمع الذّكي بين الأطراف المختلفة.

هذا الأسلوب "التّضام" يساعد على بناء النّص بناءً مُحكَمًا، ويربط أجزاءه بعضها ببعض، ويرقّي من تعلُّق المتلقّي بالنّصّ، ويريح نفسه ويشعره بشيء من الهدوء والسّكينة والاطمئنان لكلّ ما يخطّط منتج النّصّ إيصاله له.

---

[1] ابن قتيبة: **الإمامة والسّياسة**، 17/1.

[2] الطبري: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 203/3.

الفَصلُ الثّالِثُ

الانسِجامُ النَّصِّيُّ في أَدَبِ أَبي بَكرٍ الصِّدّيق –رَضِيَ اللّٰهُ عَنهُ– النَّثرِيِّ

المَبحَثُ الأَوَّلُ

الانسِجامُ النَّصِّيُّ (المَجالُ النّظَرِيُّ)

الانسجام (coherence)

الانسجام النّصّيّ هو أحد المعايير الدّيبوجراندية المهمّة في تحقيق تماسك النّصّ على مستوى بنيته العميقة، والذي يتضافر مع معيار الاتّساق النّصّيّ في طبع أيّ نصّ معالج بصفة النّصّيّة، أي بعبارة أخرى تحقيق التّماسك الكلّيّ للنّصّ على المستوى السّطحيّ (اللغويّ) وعلى المستوى العميق (الدّلاليّ)، وهذا كلّه لا يتأتّى إلّا بتوافر أدوات الانسجام النّصّيّ المختلفة؛ كالسّياق والتّأويل المحلّيّ، والمعرفة الخلفيّة، والتّناصّ..إلخ[1].

الانسجام لغةً

ورد في لسان العرب: سجم: سَجَمَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ والسحابةُ الْمَاءَ تَسْجِمُه وتَسْجُمُه سَجْماً وسُجُوماً وسَجَماناً: وَهُوَ قَطَران الدَّمْعِ وسَيَلانه، قَلِيلًا كَانَ أَو كَثِيرًا، وكذلك الساجِمُ مِنَ الْمَطَرِ، وَالْعَرَبُ تَقُولُ دَمْعٌ ساجِمٌ. وَدَمْعٌ مَسْجوم: سَجَمَتْه الْعَيْنُ سَجْماً.. وانْسَجَمَ الماءُ وَالدَّمْعُ، فَهُوَ مُنْسَجِمٌ إِذا انْسَجَمَ أَي انْصَبَّ.[2]

وفي مقاييس اللغة: (سَجَمَ) السِّينُ وَالْجِيمُ وَالْمِيمُ أَصْلٌ وَاحِدٌ، وَهُوَ صَبُّ الشَّيْءِ مِنَ الْمَاءِ، وَالدَّمْعِ. يُقَالُ سَجَمَتِ الْعَيْنُ دَمْعَهَا. وَعَيْنٌ سَجُومٌ، وَدَمْعٌ مَسْجُومٌ. وَيُقَالُ أَرْضٌ مَسْجُومَةٌ: مَمْطُورَةٌ.[3]

يتبيّن ممّا ورد في اللسان أن معنى الانسجام يدور حول القَطَران والسّيلان والانصباب والتّتالي والانتظام والدّوام، ممّا يظهر التّماسك بين ذرّات الماء والتّرابط فيما بين جزئيّاته؛ وكأنّه جريان واحد ومُنساب وغير منقطع، ممّا يجعل هذه المعاني تقابل المعنى الاصطلاحيّ له؛ إذ إنّ توالي

---

[1] قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، مجلّة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائريّ، عدد8، الجزائر: جامعة محمّد خيضر، 2012م، ص61.

[2] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (سجم).

[3] ابن فارس: **معجم مقاييس اللغة**، تحقيق: عبد السّلام محمّد هارون، مادّة (سجم).

قطرات الدّمع يؤدّي إلى تجمّع أفكار النّصّ، وانصباب المطر يقابل انصباب المعاني؛ وبالتّالي تؤدّي إلى وحدته دلاليًّا.

وفي المعنى المعجميّ الغربيّ يرجع المفهوم (coherence) في الإنجليزيّة أو (kohaerenz) في الألمانيّة إلى الأصل اللاتينيّ (cohaerentia)، وهو مستعار من علم الكيمياء.[1]

الانسجام اصطلاحًا

ورد عند القدماء أكثر من مصطلح للتّعبير عن ظاهرة الانسجام أو ما يتّصل به؛ نحو: الامتزاج، والاتّصال، والالتئام، والتّلاحم، والائتلاف، والاقتران، والارتباط، والملاءمة، والمناسبة، والتّناسب، وغيرها.. ومنهم البلاغيّون كأبي عثمان الجاحظ وأبي هلال العسكريّ، ومنهم المفسّرون كالسّيوطيّ والزّركشيّ، ومنهم اللغويّون كسيبويه والمبرّد.[2]

صحيح أنّهم لم يصطلحوا على فكرة الانسجام (الحبك)؛ لكنّها كانت واضحة في أذهانهم وضوحا متميّزا؛ فها "عبد القاهر الجرجانيّ" نجده يعبّر عنها بقوله: "واعلم أنّ مثل واضع الكلام مثل من يأخذ قطعا من الذّهب او الفضّة فيذيب بعضها في بعض حتّى تصير قطعة واحدة"؛ فبنية النّصّ في تصوّره تصل إلى مرحلة "الصّهر" الذي هو أعلى درجات "التّشكّل"[3].

تناول النّصّيّون المحدثون معان عِدّة اصطلاحيّة للانسجام؛ منها: الحبك والتّماسك الدّلاليّ والتّنسيق، فنجد محمّد مفتاح يعرّفه ب "العلاقات المعنويّة والمنطقيّة بين الجمل؛ حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها"[4].

ورأى محمّد خطابي أنّ "الانسجام أعمّ من الاتّساق وأعمق، بحيث يتطلّب بناء الانسجام من المتلقّي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفيّة التي تنظّم النّصّ وتولّده.[5]

---

[1] عبد، محمّد: **حبك النّصّ منظورات من التّراث العربيّ**، مجلّة الدّراسات اللغويّة، مركز الملك فيصل، مجلّد3، عدد3، رجب-رمضان 1422ه/اكتوبر-ديسمبر 2001م،ص129.

[2] النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، ص67-77 بتصرّف.

[3] الجرجانيّ: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، ص214.

[4] مفتاح، محمّد: **ديناميّة النّصّ؛ تنظير وإنجاز**، ص151.

[5] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص5.

وأشار (فان دايك) إلى أن الانسجام أحد العناصر الرّئيسة في دراسة العلاقة بين النّصّ والسّياق، وعبّر عنه ب "السّياق الدّلاليّ"؛ لكونه لا يمسّ الجانب السّطحيّ للغة؛ بل بسعيه نحو فهم الخطاب من خلال الاعتماد على المرجعيّة، كما ويفترض (لاينز) نوعًا من الانسجام أسماه "الانسجام الدّلاليّ"؛ ويقصدر به أن تكون المكوّنات الدّلاليّة والعناصر المعجميّة في النّصّ مولّدة ضمن توافق نحويّ معيّن[1]، فهو "ما تنطوي عليه تشكيلة المفاهيم والعلاقات من تواصل ووثاقة صلة متبادلين"[2]، وهو "الطريقة التي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النّصّ"[3]

ويرى (دومينيك) أنّ "الانسجام ليس ثاويا في النّصّ؛ بل إنّ المتلفّظ المشارك هو الذي يتولّى بناءه، ولكي يكون النّصّ منسجما؛ يجب ربطه بقصد شامل، أي إلى غاية إنشائيّة محايثة (مُحالة) لنوع خطابها، وهذا ما يسمح للمتلفّظ المشارك بتبنّي سلوك مطابق تجاهها.. إنّ الحكم الذي يقضي بأنّ النّصّ منسجم أو غير منسجم قد يتغيّر وفق الأفراد ووفق معرفتهم بالسّياق والحجّة التي يخوّلونها للمتلفّظ"[4].

وهو عند (كلاوس برنكر) "المفهوم النّواة في تعريف النّصّ، وهو يقع في مركز علم لغة النّصّ الموجّه إلى النّظام اللغويّ، ويحدّه (سوفنسكي) بقوله: "يقضى للجمل والمنطوقات بأنّها محبوكة إذا اتّصلت بعض المعلومات فيها ببعض في إطار نصّيّ أو موقف اتّصاليّ؛ اتّصالًا لا يشعر معه المستمعون أو القرّاء بثغرات أو انقطاعات في المعلومات، ويحدّه (ليفاندوفسكي) بقوله: "ليس الحبك محض خاصّة من خواصّ النّصّ؛ ولكنّه أيضا حصيلة اعتبارات معرفيّة (بنائيّة) عند المستمعين أو القرّاء، الحبك حصيلة تفعيل دلاليّ ينهض على ترابط معنويّ بين التّصوّرات والمعارف؛ من حيث هي مركّب من المفاهيم وما بينها من علاقات، على معنى أنّها شبكة دلاليّة

---

[1] العمّوش، خلود: **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق**، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، 1429ه/2008م، ص20. بتصرّف.

[2] أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل محمد: **مدخل إلى علم لغة النّصّ، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفجانج تريسلر**، ص120.

[3] عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب، تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ص48.

[4] دومينيك مانغونو: **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمّد يحياتن، ط1، لبنان: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، 1428ه/2008م، ص18.

مختزنة لا يتناولها النّصّ غاليا على مستوى الشّكل، فالمستمع أو القارئ هو الذي يصمّم الحبك الضّروريّ أو يُنشئه"[1].

واختار الباحث مصطلح الانسجام لاشتهاره وشيوعه وسلاسة أصواته المتناغمة.

دور المتلقّي في انسجام النّصّ

ظهر الاهتمام بدور المتلقّي في انسجام النّص في العصر الحديث إثر نظريّة "جماليّة التّلقّي"؛ والتي نشأت منذ السّتّينيّات (1967) بألمانيا الغربيّة على يد كلّ من (هانس روبير ياوس، وولف جانج)؛ والتي ترى بأنّ النّصّ لم يعد مجرّد موضوع يقتصر على مبدع النّص ومنتجه؛ وإنّما أصبح عبارة عن علاقة تفاعليّة بين النّصّ والقارئ الذي يمثّل المنتج الثّاني له والذي يكسبه الحركيّة والتّجديد.[2]

يتبيّن من هذا العرض أنّ "المتلقّي أصبح ركنا أساسيّا في الخطاب/النّصّ؛ إذ أصبح شريكًا للمؤلّف في تشكيل المعنى، وهو شريك لأنّ النّصّ لم يُكتب إلّا من أجله، وعلى هذا النّحو لا تتمثّل حقيقة العمل الأدبيّ إلّا من خلال تداخل القارئ مع النّصّ؛ بل إنّ المبدع يخلق عملًا ينتزع فيه الكلمات من عالم المحسوسات مجسّمة في نسيج عالم خيالي.. محكم الرّبط والبناء، ومهيّأ لأن يستكمل على نحو خاصّ لدى كلّ قارئ"[3].

ما بين الاتّساق والانسجام

يمكن التّمييز بين الاتّساق والانسجام؛ فالأوّل يرتبط بالرّوابط اللغويّة التّركيبيّة الظّاهرة؛ مثل: الضّمائر، وأسماء الإشارة، وحروف العطف، والأسماء الموصولة، والتّكرار،.. في حين يستند الانسجام إلى مجموعة من العمليّات الضّمنيّة الخفيّة التي تسعف المتلقّي في قراءة النّصّ وبناء

---

[1] عبد، محمّد: **حبك النّصّ منظورات من التّراث العربيّ**، عدد3، ص128-129.

[2] أوشار، علي آيت: **السّياق والنّصّ الشّعريّ من البنية إلى القراءة**، ط1، الدّار البيضاء: دار الثّقافة، 1421ه/2000م، ص101.

[3] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص112.

انسجامه؛ مثل: التّغريض، والمشابهة، والأطر، و (السّيناريوهات)، والمدوّنات، والتّأويل، والخطاطات، والمعرفة الخلفيّة.[1]

من هنا فالانسجام مفهوم عام؛ بينما الاتّساق مفهوم خاصّ، ويترتّب على هذه المقارنة "أنّ الانسجام أعمّ من الاتّساق، كما أنّه يغدو أعمق منه بحيث يتطلّب بناء الانسجام من المتلقّي صرف الاهتمام جهة العلاقات الخفيّة التي تنظّم النّصّ وتولّده، أي بمعنى تجاوز رصد المتحقّق فعلا (أو غير المتحقّق) أي الاتّساق، إلى الكامن (الانسجام)؛ ومن ثمّ –وتأسيسا على هذا التّمايز– تصبح بعض المفاهيم مثل موضوع الخطاب والبنية الكلّيّة والمعرفة الخلفيّة بمختلف مفاهيمها حشوًا إن أردنا توظيفها في مستوى اتّساق النّصّ/الخطاب، والعكس صحيح؛ أي إنّ الوسائل التي يتجلّى بها اتّساق النّصّ عاجزة عن مقاربة (بناء) موضوع الخطاب والبنية الكلّيّة... لمعطى لغويّ"[2]

أهمّيّة الانسجام

يُعتبَر الانسجام أحد العناصر المهمّة في النّص، يضمن له استمراريّته، ويساهم في بيان قيمته الجماليّة والأدبيّة؛ ممّا يمكّن المتلقّي من التّفاعل مع النّصّ؛ فيدفعه إلى تحليله وتفسيره وتأويله، وهو يفتح نافذةَ الحوارِ المتجدّد مع النّصّ والتّساؤل الدّائم حول: ما الموضوع؟ ومن الفاعل؟ ومتى وقع؟ وأين حدث؟ ولِمَ؟..؛ والتي يتحقّق بها التّواصل وتبلغ الرّسالة مرادها.[3]

ويدفع المتلقّيَ لمحاولة كشف المستور والخبايا والغامض والمُبهم، وسبر أغوار أسراره.

ويعطي أهميّةً كبيرة لعناصر النّصّ (المُرسل والمتلقّي والرّسالة)، ومناقشة العوامل الأدبيّة الاجتماعيّة والنّفسيّة والتّاريخيّة المؤثّرة والفاعلة في النّصّ.[4]

---

[1] ينظر: حمادي، صمود: **التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس**، ص76، ودومينيك مانغونو: **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ص18.

[2] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص6.

[3] مفتاح، محمّد: **ديناميّة النّصّ؛ تنظير وإنجاز**، ص52.

[4] بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ص75.

وله الدّور الكبير في تحديد المعاني المفترضة والوصول إلى الدّلالات اللازمة؛ ما يحقق الفهم الصّحيح بالاطّلاع على معنى المعنى أو ما وراء المعنى.

والانسجام هو مُعطى نصّيّ؛ فإذا حصل وانعدم الانسجام؛ فإنّ القارئ المتمكّن يقوم بإعادته إلى النّصّ من خلال صرف الاهتمام تجاه العلاقات الخفيّة التي تنظّمه.[1]

من هنا تتجلّى أهمّيّة الانسجام في بناء النّصّ وتحقيقه؛ إلّا أنّ السؤال الذي يتمحور حوله المطلوب هو كيفيّة الانسجام، وبمعنى آخر ما هي أدواته التي تعمل على تحقّقه؟

مظاهر الانسجام النّصّيّ

اعتنى النّصّيّون عناية قصوى بالانسجام، ووقفوا على آليّات عدّة ومظاهر تَبَعًا لمشاربهم المختلفة ومعارفهم المتنوعة وترجيحاتهم المتباينة تؤدّي إلى انسجام النّصّ؛ ولعلّ الباحث يقف على أهمّها؛ وهي: "السّياق، والتّأويل المحلّيّ، والتّغريض، والبِنية الكلّيّة، والتّناص، والمعرفة الخلفيّة"[2]؛ وذلك على النّحو التّالي:

المظهر الأوّل: السّياق (context)

السّياق لغةً

سوق: السَّوق مَعْرُوفٌ.. وَيُقَالُ لَهُ السِّياق أَيْضًا، وأَصله سِواق، فَقُلِبَتِ الْوَاوُ يَاءً لِكَسْرَةِ السِّينِ، وَهُمَا مَصْدَرَانِ مِنْ ساقَ يَسُوق.. ساقَ الإِبلَ وغيرَها يَسُوقها سَوْقاً وسِياقاً، وهو سائقٌ وسَوَّاق، شدِّد لِلْمُبَالَغَةِ.. وسَوَّاق الإِبل يَقْدُمُها. وَقَدِ انْساقَت وتَساوَقَت الإِبلُ تَساوُقاً إِذَا تَتَابَعَتْ، وكَذَلِكَ تقاوَدَت فهي مُتَقاوِدة ومُتَساوِقة. والمُساوَقة: المُتابعة كَأَنَّ بعضَها يَسُوقُ بَعْضًا. وساقَ إِلَيْهَا الصَّداق والمَهرَ سِياقاً وأَساقَه. وساقَ فلانٌ مِنِ امْرَأَتِهِ أَيْ أَعْطَاهَا مَهْرَهَا. والسِّياق: الْمَهْرُ. والسِّياق: نَزْعُ الرُّوحِ.[3]

---

[1] ينظر: خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص6.

[2] قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، ص61.

[3] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (سوق).

يتّضح ممّا ورد في اللسان أنّ السّياق يأتي على معان عدّة؛ وهي: التّتابع، والتّقاود، والإعطـــاء، والنّزع.

وهو عند الغرب لفظ يتكوّن من "(con) تعني مشاركة؛ أي وجود أشياء مشتركة في توضـــيح النّصّ، وهي فكرة تتضمّن أمورًا أخرى تحيط بالنّصّ والبيئة المحيطة التي يمكن وصفها بأنّهـــا الجسر بين النّصّ والحال"[1].

مفهوم السّياق

تعدّ معرفة السّياق الذي يظهر فيه النّصّ حاسمة في تأويل المتلقّي، فهو يحصر مجال التّأويلات الممكنة، ويدعم التّأويل المقصود، ويشمل المتكلّم/الكاتب، والمستمع/القارئ، والزّمان والمكان.

السّياق هو "الانزلاق من المستوى التّحليليّ إلى مستوى آخر يتعلّق بظروف إنتاج الخطاب"[2]

فإنتاج النّصّ يتم في إطار مجموعة من الظّروف المحيطة به، ويتطلّب تحليلُه وتفسيره معرفـــةَ الجوانب الواقعة فيه لحظة إنتاجه، ولا يتحقّق الفهم الحقيقيّ لرموزه وإشاراته إلّا بتقصّي السّياق الذي ورد فيه؛ ليتسنّى للمتلقّي التّحليل والتّأويل وفكّ الرّموز.

وهذا مل تطرّق إليه الجاحظ في قوله: "لكلّ مقام مقال"؛ وهو مناسبة الكلام والقـــول لمقتضـــى الحال القائم، مفسّرًا ذلك بقول: " أن أكون ما دمت في المعاني التي هي عبارتها، والعادة فيهـــا، أن ألفظَ بالشّيء العتيد (وهو الحاضر والمهيّأ) الموجود، وأَدَعَ التكلّفَ لما عسى ألّا يســـلس ولا يسهل إلّا بعد الرّياضة الطويلة".[3]

---

[1] جون لاينز: **اللغة والمعنى والسّياق**، ترجمة: عبّاس صادق الوهّاب، ط1، بغداد– العراق: وزارة الثّقافة والإعـــلام، دار الشّؤون الثّقافيّة العامّة، 1987م، ص255.

[2] الإبراهيميّ، خولة طالب: **مبادئ في اللسانيّات**، د.ط، الجزائر: دار القصبة، 2000م، ص106.

[3] ينظر: الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني: **الحيوان**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط2، ج1، بيروت: دار الجيل، 1996م، ص174.

وأكّد براون وبول إلى أنّ محلّل الخطاب ينبغي أن يأخذ بعين الاعتبار السّياقَ الذي يظهر فيه الخطاب.[1]

انتقد (فيرث) الدّارسين الذين أغرقوا في الاهتمام باللغة بوصفها شكلا مجرّدًا أو هي اقصاء المعنى منها ضمانا للموضوعيّة، وآخذهم على إهمالهم في الاستعمال الفعليّ للغّة في إطار المجتمع وما يمكن أن يفرضه البُعد الاجتماعيّ الجماعيّ من الضّوابط والقيود على مستعملي تلك اللغة.. ولمّا كان المعنى هو ما يهدف المتكلّم إلى إيصاله إلى أفراد المجتمع الآخرين فإنّه ينبغي التّوجّه إلى تحديد الضّوابط التي تحكم الاستعمالات والسّياقات التي تحدّد معانيَ الكلمات.[2]

اهتمّ (هاليداي) ورقيّة حسن بالسّياق اهتماما بالغا؛ وذلك من خلال كتابهما "اللغة والسّياق والنّصّ" مؤكّدان فيه تلاحم وترابط هذه العناصر الثّلاثة بعضها ببعض؛ ويتّضح ذلك من خلال قولهما: "توجد أشياء مشاركة في توضيح النّصّ؛ وهي فكرة تتضمّن أمورا أخرى تحيط بالنّصّ كالبيئة المحيطة"[3].

عوامل السّياق

يركّز محمّد الشّاوش على ضرورة الوقوف على عوالم السّياق؛ وهي قسمان:

الأوّل ذاتيّ؛ كمعتقدات الكاتب، ومقاصده، واهتماماته، وأهدافه، ورغباته؛ كلّها تدخل كعنصر ذاتيّ لتحديد السّياق.

والثّاني موضوعيّ؛ فيتمثّل في الوقائع الخارجيّة التي تمّ فيها القول؛ كالظّروف الزّمانيّة والمكانيّة.. ثمّ عنصر المعرفة المشتركة بين المتخاطبين.[4]

---

[1] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، 52/1.

[2] الشّاوش، محمّد: **أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة؛ تأسيس نحو النّصّ**، ط1، ج1، تونس: المؤسّسة العربيّة للتّوزيع، 1421ه/2001م، ص68.

[3] الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق؛ دراسة تطبيقية على السور المكية**، 108/1.

[4] الشّاوش، محمّد: **أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة؛ تأسيس نحو النّصّ**، 68/1.

مقوّمات السّياق

قدّم النّصيّون اقتراحات متعدّدة لمقوّمات السّياق؛ وكلّ حسب دراساته وتوجّهاته وقناعاته، ويورد الباحث اقتراح (هايمس)؛ وذلك على النّحو التّالي:

المرسل: وهو منشئ القول متكلّما أم كاتبا.

المتلقّي: وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقّى القول.

الحضور: وهم مستمعون آخرون حاضرون عند نشأة القول؛ يساهم حضورهم في تخصـــيص الحدث.

الموضوع: وهو مدار الحدث الكلامي.

المقام: وهو زمان حدث التّواصل ومكانه، وكذلك العلاقات الفيزيائيّة بين المتفاعلين بالنّظر إلى الإشارات والإيماءات وتعبيرات الوجه.

القناة: وهي كيفيّة وقوع التّواصل بين المشاركين في الحدث الكلاميّ مشافهة أو كتابة أو إشارة.

النّظام: وهو اللغة أو اللهجة، أو الأسلوب اللغويّ المستعمل.

شكل الرّسالة: أي المقصود منها؛ كأن يكون محادثة أو جدالًا أو موعظة أو خرافـــة أو رســـالة غراميّة.

المفتاح: ويتضمّن التّقويم؛ أي هل كانت الرّسالة حسنة جيّدة، أو مثيرة للعواطف.

الغرض: أي القصد من حدث التّخاطب الي ينقلب نتيجة للحدث التّواصليّ.

ويجدر الإشارة بأنّ حضور هذه الخصائص ككلّ واحد ليس ضروريّا في جميع عمليّات التّواصل؛ ولكن بقدر ما يعرف المحلّل أكثر ما يمكن من خصائص السّياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادرا على التّنبّؤ بما يحتمل أو يقال.[1]

أنواع السّياق

أورد أحمد مختار تقسيم "آمر" (k.ammer) لأنواع السّياق؛ وهي أربعة تقسيمات[2]:

السّياق اللغويّ: فيمكن التّمثيل له بكلمة "حسن"؛ التي وقعت في سياقات لغويّة متنوّعة؛ فإذا وردت في سياق لغويّ مع كلمة "رجل" فتعني النّاحية الأخلاقيّة، وإذا وردت وصفا لطبيب فتعني النّاحية المهنيّة، وإذا وردت وصفا لمقادير فتعني الصّفاء والنّقاء.

السّياق العاطفيّ: يحدّد درجة القوّة والضّعف في الانفعال؛ ما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا؛ فكلمة "يكره" غير كلمة "يبغض" رغم اشتراكهما في أصل المعنى.

سياق الموقف: يعني الموقف الخارجيّ الذي يمكن أن تقع فيه الكلمة، مثل استعمال كلمة "يرحم" في مقام تشميت العاطس "يرحمك الله" –البدء بالفعل– ؛ وفي مقام التّرحّم بعد الموت "الله يرحمه" –البدء بالاسم–؛ فالأولى تعني طلب الرّحمة في الدّنيا، وفي الثّانية طلب الرّحمة في الآخرة؛ وقد دلّ على هذا سياق الموقف إلى جانب السّياق اللغويّ المتمثّل في التّقديم والتّأخير.

السّياق الثّقافيّ: يقتضي تحديد السّياق الثّقافيّ أو الاجتماعيّ الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة؛ فكلمة "عقيلته" تعدّ في العربيّة المعاصرة علامة على الطّبقة الاجتماعيّة المتميّزة بالنّسبة لكلمة "زوجته" مثلا.

ويرى الباحث ضرورة بيان وجود سياقات أخرى يمكن التّطرّق إليها؛ كالسّياق الدّيني، والتّاريخي، والسّياسيّ، وغيرها الكثير.

---

[1] ينظر: خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص53، والشّاوش، محمّد: **أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة؛ تأسيس نحو النّصّ**، 161/1.

[2] مختار، أحمد عمر: **علم الدّلالة**، ص72–73.

المظهر الثّاني: التّأويل

التّأويل لغةً

تنوّعت معاني التّأويل في المعجم العربيّ؛ أوردها ابن منظور في معجمه؛ وذلك على النّحو التّالي:

أول: أَوَّلَ الكلامَ وتَأَوَّلَهُ: دَبَّره وقدَّره، وأَوَّلَهُ وتَأَوَّلَهُ: فَسَّره. وَالْمُرَادُ بالتَّأْوِيل نَقْلُ ظَاهِرِ اللَّفْظِ عَنْ وَضْعِهِ الأَصلي إِلى مَا يَحتاج إِلى دَلِيلٍ لَوْلَاهُ مَا تُرِك ظاهرُ اللَّفْظِ. التَّهْذِيبُ: وأَما التَّأْوِيل فَهُوَ تَفْعِيلٌ مِنْ أَوَّلَ يُؤَوِّلُ تَأْوِيلًا وثُلاثِيُّه آلَ يَؤُولُ أَي رَجَعَ وَعَادَ. وَسُئِلَ أَبو الْعَبَّاسِ أَحمد بْنُ يَحْيَى عَنِ التَّأْوِيل فَقَالَ: التَّأْوِيل وَالْمَعْنَى وَالتَّفْسِيرُ وَاحِدٌ.[1]

يتّضح ممّا ورد آنفا أن هناك من عدَّ التّأويل والمعنى والتّفسير واحدًا؛ وهناك من زاد على ذلك فاعتبره التّدبّر والتّقدير، والرّجوع، والعودة، والنّقل؛ ولا يجوز النّقل من الوضعيّة الأصليّة إلّا بدليل.

وفي المعني الغربيّ نجده في اللغة الفرنسيّة سنة (1888م) يعود للأصل اليونانيّ (هارمينوتيكيوس)؛ وهو يختصّ بعلم تأويل الأمّهات من النّصوص سواء كانت الدّينيّة أم الفلسفيّة، وقد دأبت عليه المدارس النّقديّة المتعاقبة، وحاول النّقد الحديث في الغرب توظيفه ضمن اتّجاه عام يهدف إلى تجاوز ثنائيّة الشّكل والمضمون، ويرى بعض الباحثين أنّ التّأويل في حقيقته ليس له علاقة بالنّصّ الأدبيّ؛ وإنّما هو من المصطلحات التي اقترن ظهورها بالفلسفة.[2]

مفهوم التّأويل

ارتبط مفهوم التّأويل ارتباطا وثيقا بالتّصوّر الذي كوّنه الباحثون عن الدّلالة وشروط وجودها وأشكال تحقّقها؛ إذ إنّ المعطيات الأوّليّة في المجال اللسانيّ على الأقلّ تشير إلى أنّ الكلمة لا

---

[1] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (أول).

[2] قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، عدد8، ص68، نقلا عن عبد الغني بارة: إشكاليّة تأصيل الحداثة في الخطاب النّقديّ المعاصر، د.ط، الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 2005م، ص338.

يمكن أن تقف عند حدّ من حدود التّعيين المحايد لمرجع موضوعيّ مستقلّ، فبإضافة إلى حالة التّعيين هاته تشتمل الكلمة على مجموعة من السّياقات المحتملة القابلة للتّعيين مع أبسط تنشيط لذاكرتها.[1]

فالكلمة الواحدة أو الجملة ممكن أن تحمل معانيَ عدّة ؛ وهذا تعاطٍ مع تعدّد السّياقات التي ترد فيها؛ بمعنى أن الكلمة أو الجملة تحمل –ابتداءً– دلالة معيّنة؛ فإذا أخرجت من موضعها اللغويّ ووضعت في سياق آخر تغيّرت دلالتها تباعا، وبذلك يتطلّب تأويلًا آخر يتناسب ومحلّها، وهذا ما وضّحه محمّد خطابي.[2]

وهذا ما وضّحه أيضًا الجرجانيّ حين ميّز بين "المعنى" و "معنى المعنى"؛ حيث أنّ "الكلام على ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده.. ؛ وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ودرب هذا الأمر على "الكناية، والاستعارة، والتّمثيل"[3].

ويبيّن محمّد خطابي الفرق بين وظيفة التّأويل بصورته العامّة وبين وظيفة التّأويل المحلّيّ؛ فمبدأ التّأويل المحلّيّ عنده "تقييدٌ للطاقة التّأويليّة لدى المتلقّي باعتماده على خصائص السّياق، كما أنّه مبدأ متعلّق أيضًا بكيفيّة تحديد الفترة الزّمنيّة في تأويل مؤشّر زمنيّ مثل (الآن) أو المظاهر الملائمة لشخص محال إليه بالاسم "محمّد" مثلًا"[4].

يتّضح من هذه الرؤية أنّ وظيفة التّأويل المحلّي تقييد البعد التّأويليّ للنّصّ؛ اعتمادا على خصائص السّياق التي تعمل على حصر القراءات أو التّأويلات الممكنة للنّصّ، واستبعادا للتّأويلات التّعسّفيّة.[5]

---

[1] قطّوس، بسّام: **المدخل إلى مناهج النّقد المعاصر**، ط1، الإسكندريّة: دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، 2006م، ص201.

[2] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص56.

[3] الجرجانيّ: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، 262/1.

[4] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص56.

[5] قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، عدد8، ص69.

من هنا يأتي دور المتلقّي المحلّل الذي يبذل جهدا للوصول إلى مفـــاهيم ومعطيـــات ومقاصـــد وغايات وقِيم من النّصّ المقصود تناوله، ويبقى لكلّ متلقٍ تأويله الخاصّ به لكشـــف المســـتور والغامض والمكنون في بواطن العبارات.

المظهر الثّالث: التّغريض (the matisatio)

يُعدّ التّغريض عنصرًا من عناصر انسجام النّصّ، ويعتمد على استناد المتلقي لتيمة الـــنص (أي الموضوع أو الفكرة الرّئيسة للنّصّ) من أجل تكوين تأويلٍ معين؛ ولو كان تأويلًا أوّليًّا، والتيمـــة هي بداية قول ما؛ فقد تكون العنوان أو جملة البداية، ولها تأثير على تأويل المتلقي، فإذا تغيَّـــر مثلًا عنوان نصٍّ أو خطابٍ ما؛ فقد يتغيَّر تأويلُ المتلقي له تكيُّفًا مع العنوان الجديد ليـــتمّ بنـــاء انسجام النّصّ وتحقيق اتّساقه، فالتّيمة تتحكّم في التّأويل وقراءة النّصّ.[1]

يعرّفه (براون ويول) بأنّه "نقطة بداية قول ما"[2].

ويحدّد (كرايمس) التّغريض بمفهوم أعمّ؛ وهو "كلّ قول، كلّ جملة، كلّ حلقة، وكلّ خطاب منظّم حول عنصر خاصّ يُتّخَذ كنقطة بداية، ومنه التّعريفات والمفاهيم السّابقة عدّت العنوان أو الجملة الأولى من النّصّ أهمّ الأدوات المستعملة للتّغريض، لكونه المنطلق المهمّ جدًّا في تأســـيس كـــلّ شيء.[3]

ويوضّح محمّد خطابي العلاقة الوثيقة بين التّغريض وبين الخطاب وعنوانه أو نقطة بدايتـــه؛ إذ يقول: "وفي اعتقادنا أنّ مفهوميّ التّغريض والبناء يتعلّقان بالارتباط الوثيق بين ما يـــدور فـــي الخطاب وأجزائه وبين عنوان الخطاب أو نقطة بدايته، مع اختلاف فيما يعتبر نقطة بداية حسب تنوّع الخطابات، وإن شئنا التّوضيح قلنا: أنّ في الخطاب مركز جذب يؤسّسه منطلقـــه وتحـــول حوله بقيّة أجزاء.. وينبغي أن نميّز بين التّغريض كواقع وبين التّغريض كأجزاء خطابيّ يطوّر

---

[1] ينظر: بوسدر، بوطاهر: **المعايير النّصيّة؛ الاتّساق والانســـجام**، مقـــال، شـــبكة الألوكـــة، 2017/12/23م، ص118، وحمداوي، جميل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ص89.

[2] براون ويول: **تحليل الخطاب**، ص126.

[3] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص26.

وينمي به عنصر معيّن في الخطاب، وقد يكون هذا العنصر اسم شخص، أو قضيّة، أو حادثة"[1]؛ كما وإنّ "العنوان هو نصّ موازٍ (para texte) يمثّل النّصّ في أهمّ وأقصر مضامينه، ويرتبطان مع بعضهما بعضًا ارتباطًا عاموديًّا.[2]

العنوان: عنصر مهمّ في سيمولوجيا النّصّ؛ ففيه تتجلّى مجموعة من الدّلالات المركزيّة للنّصّ الأدبيّ والمُركَّزة فيه، إذ يثير لدى المتلقّي توقّعات قويّة حول ما يمكن أن يتضمنه النّصّ، وهو اللبِنَة الأولى للدّخول إلى عالم النّصّ واقتحامه، والرّسالة الإفهاميّة للمتلقّي[3]؛ ولذا عدّه (براون ويول) بأنّه أقوى وسيلة من وسائل التّغريض، لاحتوائه على رمزيّة مشفّرة بنظام علامي دالّ على عالم من الإحالات، فهو إجراء في هدف النّصّ وغرضه[4]

أمّا الجملة الأولى فهي تمثّل مَعلمًا يقوم عليه اللاحق منها ويعود، فهي تؤثّر في تأويل ما يأتي من النّصّ/الخطاب الذي كانت نقطة بدايته.[5]

اهتمّ القدماء بالجملة الأولى في تحليل النّصوص وعلاقة ما يليها بها اهتمامًا كبيرا، فنجد "الرّازي" (ت328ه) قد ركّز على أهمّية سورة الفاتحة بالنّسبة لما يليها من السّور القرآنيّة؛ حيث يقول: "هذه السّورة مسمّاة بأمّ القرآن، فوجب كونها كالأصل والمعدن، وأن يكون غيرها كالجداول المتشعّبة منه.."[6].

طرائق تغريض العنونة؛ هي[7]:

- تكرير اسم الشّخص وتبئيره.

---

[1] المصدر نفسه، ص59.

[2] شيخة، محمّد الأمين: **عتبات الولوج إلى أساليب النّصّ الشّعريّ الحديث**، مجلّة كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، الجزائر: جامعة محمّد خيضر، العددان 3،2، ص17.

[3] ينظر: قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، عدد8، ص70.

[4] براون ويول: **تحليل الخطاب**، ص126.

[5] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص67.

[6] الرّازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): **مفاتيح الغيب**، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420ه، 227/1.

[7] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص59.

- استعمال الضّمائر المرجعيّة المحيلة عليه.
- تكرير جزء من اسمه.
- استعمال ظرف زمان يخدم خاصّيّة من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنيّة.

ومن هنا يتّضح أنّ التّغريض يحقّق انسجام النّصّ على المستوى الدّلاليّ والموضوعاتيّ.

المظهر الرّابع: البنية الكلّيّة أو موضوع الخطاب (topic of discourse)

"يُعدّ موضوع الخطاب البنية الدّلاليّة التي بواسطتها يوصف انسجام الخطاب/النّصّ، وبالتّالي يعتبر أداة إجرائيّة حدسيّة بها تقارب البنية الكلّيّة له"[1]؛ فمن أوّل ما يقوم به المتلقّي هو استجلاء بنية النّصّ الكلّيّة؛ سواء كانت دلاليّة أم معجميّة أم تركيبيّة أو تداوليّة؛ فمن خلال رصد البنية الكلّيّة يتحكّم القارئ في دلالات النّصّ وموضوعه.[2]

لكلّ خطاب بنية كلّيّة ترتبط بها أجزاء الخطاب، وإنّ القارئ يصل إلى هذه البنية الكلّيّة عبر عمليّات متنوّعة تشترك كلّها في سمة الاختزال، على أنّ البنية الكلّيّة ليست مُعطىً حتّى وإن كانت هناك بنيات متنوّعة أو مؤشّرات على وجود هذه البنية؛ وإنّما هي مفهوم مجرّد (حدسيّ) به تتجلّى كلّيّة الخطاب ووحدته.. تعدّ البنية الكلّيّة افتراضًا يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضّحه وتجعله مقبولا كمفهوم.[3]

مِنَ النّصّيّين مَن اعتبرهما مصطلحين مترادفين؛ ك (فان دايك)، ويتّضح ذلك من خلال قوله: "موضوعات الخطاب تورد المعلوماتِ (السّيمانطقيّة) وتنظّمها وترتّبها تراكيبٌ متواليةٌ ككلّ شامل"[4]، بمعنى أنّ عمليّة بحث واستكشاف البنية الكلّيّة في الموضوع يتمّ عن طريق إعادة تنظيم محتويات النّصّ/الخطاب.

---

[1] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص42.

[2] بوسدر، بوطاهر: **المعايير النّصّيّة؛ الاتّساق والانسجام**، ص84.

[3] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص46.

[4] فان دايك: **النّصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداوليّ**، ترجمة: عبد القادر قنيني، د.ط، افريقيا الشّرق، 2000م، ص154.

كما ونجد محمّد خطابي أظهر ذلك بوضوح وأيّده في قوله: "لا نلمس الفروق بين هذين المفهومين، ونعني "موضوع الخطاب" و "البنية الكلّيّة""[1].

ومنهم فرّق بينهما؛ فنجد خليل بن ياسر البطاشي بين موضوع الخطاب والبنية الكلّيّة؛ وذلك من خلال العمليّات التي تصل إلى كلّ منهما؛ ويتّضح ذلك في قوله: " فالبنية الكلّيّة يتوصّل إليها عن طريق عمليّات أساسها الحذف والاختزال؛ إذ يتمّ فيها حذف الموضوعات الثّانويّة، ودمج أخرى في عموميّات؛ أمّا عمليّات موضوع الخطاب فيستخلص من خلال مسح الجمل التي تخصّ هذا الموضوع في النّصّ موضوع الدّراسة"[2].

تطرّق القدماء إلى هذا العنصر بصورة واضحة؛ فنجدهم قد اعتبروا القرآن الكريم كالكلمة الواحدة، له موضوع رئيس؛ وهو العبادة والتّوحيد، وموضوعات متفرّعة تخدمه؛ وما جاءت الآليّات والأساليب المختلفة في انتظام النّصّ/الخطاب إلّا لتصبّ في الكشف عن الموضوع الأوّل المقصود (العبادة والتّوحيد).

نظر المفسّر السّيوطي إلى القرآن الكريم نظر كلّيّة؛ حيث وظّف جملة من المبادئ والعلاقات للدّلالة على الاتّحاد والتّرابط المضمونيّ للسّور، وعلى وجود مقصد رئيس للنّصّ/الخطاب تتمحور حوله تلك الأجزاء المكوّنة لهذا المقصد؛ فعند استخدامه مبدأ "الإجمال والتّفصيل" نجده يوحي بأنّ السّور الشّارحة تحمل مواضيع السّور السّابقة نفسها، والحال نفسه عند استخدام مبدأ "فواصل الآيات" التي ضمّنت لها، فإنّ هذه الفواصل مهما بدت بعيدة الموضوع في الظّاهر فإنّها في بنيتها العميقة تدعّمها وتقوّيها، وبيّنه أيضا عند حديثه عن مبدأ "اعتلاق فواتح السّور بخواتم السّور التي قبلها" حيث نتأكّد انّها تحمل المعاني نفسها، وتصبّ في البنية الدّلاليّة نفسها؛ فافتتاح سورة الحديد بالتّسبيح في قوله تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾[3]، واختتام

---

[1] بوسدر، بوطاهر: **المعايير النّصّيّة: الاتّساق والانسجام**، ص46.

[2] البطاشي، خليل بن ياسر: **التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللسانيّ للخطاب**، د.ط، عمّان: دار جرير للنّشر والتّوزيع، 1430ه/2009م، ص225.

[3] سورة الحديد، الآية1.

سورة الواقعة بالأمر به في قوله تعالى: ﴿فَسَبِّحۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلۡعَظِيمِ ٩٦﴾[1]، وسورة الحديد تأتي بعد سورة الواقعة حسب ترتيب سور القرآن الكريم، وحديثه عن مبدأ "تناسب آي القرآن وارتباطها بعضها ببعض" يدلّ بوضوح على أنّ للسّور معنى كُلّيًّا تشكَّلَ من جرّاء الارتباط والتّماسك الموجود بين الآيات.[2].

ومن الجدير بالذّكر أنّ من أهمّ وظائف موضوع الخطاب أنّه "ينظّم ويصنّف الإخبار الدّلاليّ للمتتاليات ككلّ شامل[3].

المظهر الخامس: التّناص

يعد التّناصّ من أهمّ العناصر التي تؤدّي إلى انسجام النّصّ، فهو يستدعي بقوّة ووضوح الآثار من القرآن الكريم، والحديث النّبويّ، والتّاريخ، والسّياسة، والحِكَم، والأدب، والدّين..

التّناصّ لغةً

ورد في لسان العرب: يَنُصُّهم: أَي يستخرجُ رأْيهم ويُظْهِرُه.[4]

وورد في المعجم الوسيط: ناصّ غريمه: استقصى عليه وناقشه. انتصّ الشّيء: ارتفع واستوى واستقام، وتناصّ القوم: ازدحموا.[5]

يتّضح من هذين التّعريفين أن التّناص هو الارتفاع والاستقصاء والازدحام والاستقامة والاستخراج والإظهار.

---

[1] سورة الواقعة، الآية96.

[2] ينظر: السّيوطيّ: **الإتقان في علوم القرآن**، 435/2، والفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق: دراسة تطبيقية على السور المكية**،129/1، والعبد، محمّد: **النّصّ والخطاب والاتّصال**، د.ط، القاهرة: الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، 2014م، ص159.

[3] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص41.

[4] ابن منظور: **لسان العرب**، مادّة (نصص).

[5] مجمع اللغة العربية: **المعجم الوسيط**، مادّة (نصص).

مفهوم التّناصّ

تناول النّصّيون تعريفات كثيرة للتّناصّ، تعكس المنطلقات والتّوجّهات المختلفة والمتنوّعة لديهم، يوردها الباحث على النّحو التّالي:

التّناصّ عند القدماء

ورد مفهوم مصطلح "التّناصّ" عند القدماء بمسمّى "السّرقات الأدبيّة.. ويرى الجاحظ أنّ الدّافع إلى السّرقات الأدبيّة يعود إلى إعجاب المتأخّرين بالمتقدّمين"[1]، ولعلّ المقصود ب "السّرقات الأدبيّة" هو "أن يعمد لاحق فيأخذ من شعر الشّاعر السّابق بيتًا شعريّا، أو شطر بيت، أو صورة فنّيّة، أو حتّى معنى ما.. كما وعُرف بتسميات أخرى تقاربه في الحقل البلاغيّ؛ كالتّضمين والتّلميح والإشارة والقياس، وفي الحقل النّقديّ؛ كالمناقضات والسّرقات والمعارضات؛ ولّها تقترب قليلًا أو كثيرًا منه"[2].

التّناصّ عند الغربيّين

ويرى (روبرت دي بوجراند) أنّ "التّناصّ يتضمّن العلاقات بين نصّ ونصوص أخرى مرتبطة به وقعت في حدود تجربة سابقة سواء بواسطة أم بغير واسطة"[3].

ويعرّفه (فيليب سولرس) بأنّه "كلّ نصّ يقع في مفترق طرق نصوص عِدّة؛ فيكون في آن واحد إعادة قراءة لها، وتحديدًا وتكثيفا ونقلا وتعميقا"[4].

ويراه (جيرار جينيت) على أنّه "التّعالي النّصّيّ أو التّداخل النّصّيّ"[5].

---

[1] مرتاض، عبد الملك: **نظريّة النّصّ الأدبيّ**، ص274.

[2] عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب؛ تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ص109. بتصرّف.

[3] روبرت دي بوجراند: **النّصّ والخطاب والإجراء**، ص104.

[4] السّدّ، نور الدّين: **الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دراسة في النّقد العربيّ الحديث**، ص2.

[5] جيرار جينيت: **مدخل لجامع النّصّ**، ترجمة: عبد الرّحمان أيّوب، د.ط، الدّار البيضاء– المغرب: دار بوقال، 1986م، ص90.

ويرى (رولان بارت) إنّ كلّ نصٍّ ليس إلّا نسيجًا جديدًا من استشهادات سابقة"[1].

التّناصّ عند العرب المحدثين

لم تختلف حال رؤية العرب المُحدثين عن رؤية الغربيّين له.

يعرّفه محمّد مفتاح بقوله: "التّناصّ يتجسّد في دخول نصّ ما في العلاقة مع نصـــوص أخـــرى بكيفيّات مختلفة، ممّا أطلق عليه التّعالق النّصّيّ"[2].

ويعرّفه محمّد الأخضر على أنّه الوجود اللغويّ سواء كان نسبيًّا أم كاملًا أو ناقصًا لنصٍّ لآخر، وربّما كانت أوضح صور التّداخل الاستشهاد بالنّصّ الآخر داخل قوسين في النّصّ الحاضـــر.. وأنّه لا يوجد نصّ يخلو من حضور أجزاء أو المقاطع من نصوص أخرى، وأبرز أشكال هـــذا الحضورِ الاقتباساتُ والأقوال التي عادةً ما يستشهد بها الكاتب"[3].

وذهب سعيد يقطين إلى أنّ "نظريّة التّفاعل النّصّيّ ترتبط ارتباطًا وثيقا بنظريّة الأجناس، أي أنّ أيّ نصّ كيفما كان نوعه هو نتاج مركّب موجود سلفًا، وهو تحليل لهذا المركّب"[4].

يتّضح من التّعريفات السّابقة أنّ التّناصّ هو تفاعل وتراكم وتداخل بين النّصّ الحالي ونصوص أخرى سابقة ومتزامنة معه، ووجود لغويّ نسبيّ؛ فهو ليس كائنًا مستقلًّا عن بقيّـــة النّصـــوص؛ وإنّما هو نسيج جديد لنصوص غائبة ويحمل ذاكرة ما، ويعطي دورًا كبيرا للمتلقّي في استنطاق النّصّ وتأويله واكتشاف مواطن التّشبه الواردة فيه.

أشكال التّناصّ

قسّم النّصّيّون التّناصّ إلى نوعين: التّناصّ المباشر، والتّناص وغير المباشر؛ فالتّناصّ المباشـــر هو اجتزاء قطعة من النّصّ أو من النّصوص السّابقة، ووضعها في النّصّ الجديد بعد توطئة لها

---

[1] نوفل، يسري: **المعايير النّصّيّة في السّور القرآنيّة؛ دراسة تطبيقيّة مقارنة**، ص171.

[2] مفتاح، محمّد: **ديناميّة النّصّ؛ تنظير وإنجاز**، ص76.

[3] المصدر نفسه، ص28.

[4] يقطين، سعيد: **انفتاح النّصّ الرّوائيّ النّصّ والسّياق**، ص31.

مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتّصاليّ الجديد وموضوع النّصّ، وهو الشّكل البسيط الذي تحقّق بنقل التّعبير كما هو؛ أمّا التّناصّ غير المباشر فهو الذي يستنبط من النّصّ استنباطًا، ويرجع إلى تناصّ الأفكار أو المقروء الثّقافيّ أو الذّاكرة التّاريخيّة التي تستحضر تناصّها بروحها أو بمعناها لا بحرفيّتها أو لغتها، وتفهم من تلميحات النّصّ وإيماءاته وشفراته وترميزاته.[1]

المظهر السّادس: المعرفة الخلفيّة

يُعدّ مبدأ المعرفة الخلفيّة آليّة مهمّة في انسجام النّصّ؛ وهذا اعتمادا على ثقافة المتلقّي وعالَمه المعرفيّ وخبراته التّجريبيّة ورؤيته لما يدور حوله وللعالَم، وقدرته على التّصوّر الذّهنيّ لمكنونات النّصّ وما يحتويه من ملابسات.

فهي تراكم المعارف والتّجارب في الذّاكرة، وسحبها من جديد أثناء التّفاعل مع نصوص جديدة، فالقارئ عندما يواجه نصًّا ما لا بدّ أن يستحضر جمع المعلومات والأخبار المتراكمة حول ذلك الموضوع الذي يشير إليه النّصّ، فلا يمكن له أن يدخل إلى أعماق النّصّ وهو خاوي الوفاض؛ لذا ينبغي له أن يتسلّح بذاكرة مليئة بالمعارف والمعلومات قصد توظيفها أثناء تقبّل نصّ ما، ومن هنا تحضر المعرفة الخلفيّة في شكل مفاهيم، وخطاطات، ومدوّنات، وسيناريوهات، ومعارف، وموارد، ومكتسبات؛ تساهم كلّها في انسجام النّصّ واتّساقه.[2]

ويعتبره (فان دايك) شرطًا معرفيّا لمعرفة مدى انسجام النّصّ، حيث يبيّن: "أنّ توقّعاتنا حول البنيات الدّلاليّة تحدّدها معرفتنا حول بني العوالم عموما، والحالات الخاصّة للأمور أو مجرى الأحداث"[3]؛ ممّا يعني أنّ المتلقّي موهوب وقادر على الاحتفاظ بالعناصر الأساسيّة للنّصوص حين معالجتها وتحليلها، وهذه المعرفة والعناصر الأساسيّة تكون منظّمة في الذّهن غير

---

[1] ينظر: أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل محمد: **مدخل إلى علم لغة النّصّ؛ تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفجانج تريسلر**، ص60-261، ومحمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، ص79.

[2] حمادي، صمود: **التّفكير البلاغي عند العرب؛ أسسه وتطوّره إلى القرن السّادس**، ص90.

[3] فان دايك: **النّصّ والسّياق استقصاء البح في الخطاب الدّلالي والتّداوليّ**، ص99.

عشوائيّة؛ إذ إنّ "تمثيلات المعرفة هذه تتّسم بأنّها منظّمة بطريقة ثابتة كوحدة تامّة من المعرفة الجاهزة في الذّاكرة.. وهذا التّنظيم في التّخزين يسمح للقارئ باختيار ما هو مناسب حين الحاجة إليه"[1].

تساهم المعرفيّة الخلفيّة بإدراك المتلقّي للاطّرادات الحاصلة عن طريق التّعميم، وتمكّنه من اكتشاف الثّوابت والمتغيّرات؛ ليتوصّل إلى تحديد الخصائص النّوعيّة للنّصّ، وبتكسير العلاقة المتوتّرة بين القارئ والنّصّ؛ بالتّالي تجعله يشعر بإمكان الفهم والتّأويل؛ إذ إنّ استثمار المتلقّي لخلفيّة المعرفيّة بغية مواجهة النّصّ يتمّ عبر مراحل متلاحقة في الذّهن، وتمكّنه من القدرة على التّوقّع؛ باعتماده على السّابق من المعطيات، لكونها ركيزة تأويل النّصّ مِن قِبَله.[2]

إذن فالمتلقّي حين يتناول أيّ نصّ أو أيّ خطابٍ معيّن فهو يمتلك بحوزته الكَمَّ الهائل من الإدراكات والمعارف والمفاهيم والدّراسات السّابقة التي يعتمد عليها وتمكّنه من تحليل النّصّ/الخطاب وِفْقَ نظام خاصّ في ذهنه يرتكز عليّه، فهو يعاود أدراجه كلّ حين لهذه المعرفة الدّائرة في فلكه ليختار وبنظام مرتّب ما يتناسب ويتماشى ويتلاءم مع النّصّ الواقع بين يديه؛ ليختم تحليله وتأويله للنّصّ وهو في تمام الإدراك له والفهم لمعناه ومقصده ودلالته.

---

[1] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص62.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص56، ومفتاح، محمّد: **تحليل الخطاب الشّعري استراتيجيّة التّناص**، ص123، والسّدّ، نور الدّين: **الأسلوبيّة وتحليل الخطاب؛ دراسة في النّقد العربيّ الحديث**، ص2. بتصرّف.

المَبحَثُ الثّاني

الانسِجامُ النَّصَّيُّ في أَدَبِ أَبي بضكرٍ الصِّدّيق -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ- النَّثرِيِّ (المَجالُ التَّطبيقِيُّ)

بعد أن تناول الباحثُ في المبحث الأوّل من هذا الفصل مفهوم الانسجام النّصّيّ ومظاهره تناولًا نظريًّا مفصّلًا؛ خصَّ هذا المبحث بالمجال التّطبيقيّ لتلك المظاهر؛ حيث استقرأ نصوص أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه النّثريّة، واستخرج منها نماذج اشتملت على مظاهر الانسجام، وتفصيل مقوّمات السّياق حسبما اقترحه (هايمس)؛ مراعيًا التّرتيب نفسه؛ وذلك على النّحو التّالي:

الانسجام (coherence)

الانسجام النّصّيّ هو أحد المعايير (الدّيبوجراندية) المهمّة -التي أشرنا إليها سابقا- في تحقيق تماسك النّصّ على مستوى بنيته العميقة، والذي يتضافر مع معيار الاتّساق النّصّيّ في طبع أيّ نصّ معالج بصفة النّصّيّة، وبعبارة أخرى تحقيق التّماسك الكلّيّ للنّصّ على المستوى السّطحيّ (اللغويّ) وعلى المستوى العميق (الدّلاليّ).

وهو "العلاقات المعنويّة والمنطقيّة بين الجمل؛ حيث لا تكون هناك روابط ظاهرة بينها"[1]، وهو "الطريقة التي يتمّ بها ربط الأفكار داخل النّصّ"[2].

مظاهر الانسجام النّصّيّ

يقوم الباحث في هذه الجزئيّة بتطبيق مظاهر الانسجام النّصّيّة (السّياق، والتّأويل المحلّيّ، والتّغريض، والبِنية الكلّيّة، والتّناص) على أدب أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه النّثريّ على النّحو التّالي.

---

[1] مفتاح، محمّد: **ديناميّة النّصّ؛ تنظير وإنجاز**، ص151.

[2] عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب، تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ص48.

المظهر الأوّل: السّياق

يتم إنتاج النّصّ في إطار مجموعة من الظّروف المحيطة به، ويتطلّب تحليلُه وتفسيره معرفةَ الجوانب الواقعة فيه لحظة إنتاجه، ولا يتحقّق الفهم الحقيقيّ لرموزه وإشاراته إلّا بتقصّي السّياق الذي ورد فيه؛ ليتسنّى للمتلقّي التّحليل والتّأويل وفكّ الرّموز؛ فالسّياق هو "الانزلاق من المستوى التّحليليّ إلى مستوى آخر يتعلّق بظروف إنتاج الخطاب"[1]؛ ويجدر الإشارة بأنّ حضور هذه الخصائص جميعها ليس ضروريّا في عمليّات التّواصل جميعها؛ ولكن بقدر ما يعرف المحلّل أكثر ما يمكن من خصائص السّياق بقدر ما يحتمل أن يكون قادرًا على التّنبّؤ بما يحتمل أو يقال.[2]

ويطبّق الباحث مقوّمات السّياق على أدب أبي بكر الصّدّيق رضي الله عنه النّثريّ؛ حسبما اقترحها هايمس (المرسل، والمتلقّي، الموضوع أو مدار الحدث الكلامي، والنّظام، وشكل الرّسالة، والمفتاح، والغرض)، ومتعاطيًا مع طرح محمّد الشّاوش (العامل الذّاتيّ، والعامل الموضوعيّ)؛ وذلك على النّحو التّالي:

الأوّل: المرسل

المرسل الذي وقع عليه اختيار الباحث في رسالته هذه وصاحب النّصوص ومحلّ البحث والدّراسة هو "أبو بكر عبد الله بن أبي قحافة"، ومن غير المتاح الوقوف على كلّ شاردة وواردة لكلّ ما يحيط به سواء في حياته أو ترجمته أو في نصوصه؛ لهذا سيقف الباحث على نقاط يراها مهمّة وناجعة لبيان الانسجام النّصّيّ فيها؛ وذلك حسب ما جاء في كتب التّراجم.

فهو الملقّب ب "الصّدّيق" و "العتيق"، والمولود بمكّة بعد الفيل بسنتين وستّة أشهر والنّاشئ بها، والعامل في التّجارة، وصاحب المال الوفير والثروة التّامّة والإحسان والتّفضيل، وأحد رؤساء النّاس وأهل مشورتهم، والقريب منهم، والسّهل معهم، والمحبّب إليهم، ويأتونه لغير واحدٍ من

---

[1] الإبراهيميّ، خولة طالب: **مبادئ في اللسانيّات**، ص106.

[2] ينظر: خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص53، والشّاوش، محمّد: **أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة؛ تأسيس نحو النّصّ**، 161/1.

الأمر لعلمه وحسن مجالسته، ويسدّ حاجاتهم، وتُساق إليه الأشناق (الدّيات)، وله من الصّفات الحميدة الكثيرة سواء في الجاهليّة أو في الإسلام، ووُلِّيَ خلافة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبويع في سقيفة بني ساعدة يوم الإثنين يوم وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم لاثنتي عشرة خلت من شهر ربيع الأوّل سنة إحدى عشرة من مهاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو ابن واحدة وستين، وبويع بيعة العامّة على المنبر في الغد يوم الثّلاثاء، إلى أن مات ليلة الثّلاثاء أو ليلة الأربعاء لثمان بقين من جمادى الآخرة سنة ثلاث عشرة، فكانت خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشرة –أو تسعة– أيام.[1]

يتّضح انسجام العامل الذّاتي في النّصوص من خلال عبارات استخدمها الصّدّيق والتي تؤكّد على هويّة صاحبها بجلاء؛ فهو يذهب إلى سقيفة بني ساعدة والحال في المدينة المنوّرة صعبة، والنّفوس باهتة، والعقول حائرة، والقلوب تكاد تتفتّك من خَبَر وفاة الرّسول –صلى الله عليه وسلّم– بكلّ ثبات ووقار وحضور، وغير طامع في الخلافة؛ وبعد الحوار الطّويل هناك يقول بكلّ وضوح:

"لقد رضيت لكم أحدَ هذين الرّجلين، فبايعوا أيّهما شئتم"[2]؛ وهما عمر بن الخطّاب وأبو عبيدة عامر بن الجرّاح.

ولم تَخْفَ على أحد أحقّيّته بالخلافة؛ فها هم يردّون عليه مباشرة:

"بل نبايعك أنتَ؛ فأنتَ سيّدنا وخيرُنا وأحبُنا إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم"[3]؛ فلو لم يكن جديرًا بها وأهلًا لها لَما بايعوه.

تبرز شخصيّة المرسل المتواضعة في أكثر من نصّ؛ حيث ورد قوله:

---

[1] ينظر: ابن خلّكان: **وفيَات الأعيان وانباء أبناء الزّمان**، 64/3، وابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 126/3، وابن عساكر: **تاريخ مدينة دمشق**، 323/30، والبلاذريّ: **أنساب الأشراف**، 20/10، والعسقلانيّ: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، 485/4.

[2] ابن قتيبة: **الإمامة والسّياسة**، 17/1.

[3] المصدر نفسه، الجزء نفسه، والصّفحة نفسها.

"قد ولّيت عليكم ولست بخيركم"[1].

وفي نصّ آخر: "إنّما انا مثلكم"[2].

وبهذا يحافظ على سلامة العلاقة بينه وبين الرّعيّة التي يفقهُ حالَها ويعرف قِيَمها الأخلاقيّة.

يظهر تبنّيه مبدأ الشّورى وعدم إكراههم على رأيه أو فرضه عليهم، ويطلب منه التّقويم إذا أخطأ، والإعانة إذ أصاب؛ وذلك من خلال استخدامه أسلوب الشّرط؛ حيث يقول:

"إن أحسنتُ فأعينوني؛ وإن أسأت فقوّموني.. أطيعوني ما أطعتُ اللهَ ورسولَه؛ فإذا عصيت اللهَ ورسولَه فلا طاعة لي عليكم"[3].

وبهذا تكتمل صورة العمل الجماعيّ للنّهوض بهم نحو مستقبل مزهر.

يتبيّن من خلال الاطّلاع على نصوصه أنّه شجاع مِقدام صاحب عزيمة وإصرار؛ ويتجّلى ذلك حين عزّم على مناهضة المرتدّين، ومحاولة إقناعهم وحتى مقاتلتهم إذا تعنّتوا، فهو يستهلّ كتابه ببيان نهج الرّسول صلّى الله عليه وسلّم، ويؤكّد أنّه مستمرّ على نهج نبيّه، ويستخدم أسلوب التّرغيب والتّرهيب في خطابه؛ حيث يقول:

" فإنّ الله تعالى أرسل محمّدا صلى الله عليه وسلم بالحقّ مِن عنده إلى خلقه بشيرًا ونذيرًا، وداعيا إلى الله وسراجا منيرًا؛ لينذر من كان حيًّا ويحقّ القول على الكافرين، فهدى الله بالحقّ من أجاب إليه، وضرب رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم بإذنه مَن أدبرَ عنه؛ حتّى صار إلى الإسلام طوعًا أو كرهًا"[4].

---

[1] ابن هشام: **السّيرة النّبويّة**، 242/4.

[2] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[3] ابن هشام: **السّيرة النّبويّة**، 242/4.

[4] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 250/3.

ويختم كتابه بقوله: "وإنّي بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتّابعين بإحسان، وأمرته ألّا يقاتل أحدًا ولا يقتله حتّى يدعوه إلى داعية الله؛ فمن استجاب له وأقرّ وكفَّ وعمِلَ صالحًا قَبِلَ منه وأعانه عليه؛ ومن أبى أمرتُ أن يقاتله على ذلك"[1]

من هنا يمكننا القول إنّ المرسِل كان أساسًا فاعلا في انسجام نصوصه واستخدامها لتوضيح أفكاره ومبادئه، وبيان غاياته ومقاصده، ولَفْتِ الانتباه إلى رغباته، وطريقة قيامه في مهمّته الملقاة عليه، وإدراكه الكامل لحاجيّات المجتمع، ويقظته لكلّ شاردة وواردة، وفطنته في تشخيص القضايا ومعالجتها، وحرصه على التّناغم فيما بينه وبين البيئة الخاصّة والعامّة.

فهو يخاطبهم بما يفهمون ويفقهون، ويرسل إليهم رسائل واضحة غير مبطّنة بأسلوبه السّلس لما يحتاجونه، ويطلب منهم مهمّات لينجزوها بكلّ أريحيّة وإخلاص.

كما ويتّضح التّلاؤم بين ما قاله المترجمون عنه وبين القيم والمفاهيم والصّفات الخُلُقيّة التي ازدان بها في نصوصه؛ وبهذا يكتمل الانسجام النّصّي الخاص بالمرسل؛ جامعًا العامل الذّاتيّ والآخر الموضوعيّ.

الثّاني: المتلقّي

كلّ من استمع خطبة للصدّيق أو وصيّة، أو وصلته مكاتبة، أو عُقِدَ معه عهدًا، أو وقع معه جدالًا أو حوارًا، وكلّ من وصله النّصّ مكتوبًا أو مقروءًا.

تكشّف للباحث (المتلقّي) أنّ نصوص الصدّيق منسجمة؛ فهي تراعي الطّبقات المختلف في المجتمع، وجمعت وبشكل دائم بين التّرغيب والتّرهيب، حتّى الرّسائل التي تتطلّب الحزم والشّدّة في القول تراها تجمع بين اللينة والخشونة، وتراها تبدأ بالسلام والحمدلة وتنتهي والدّعاء والسّلام.

[1] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 250/3.

وكما ولاحظ حرص الصّدّيق على دوام العلاقة بينه وبين الجمهور وأنّه لا يختلف عنهم بشـــيء سوى أنّه موكَّلُ بمهمّة الإمارة، ولا بدّ له من متابعة الأحداث، وتقصّـــي الحقـــائق، والاهتمـــام بالرّعيّة، وإحقاق الحق، فجاءت نصوصه تستخدم أسلوب التّأكيد لبيان هذا الحرص:

"الجِدّ الجِدّ، الوحا الوحا، والنّجاء النّجاء، فإنّ وراءكم طالبًا حثيثًا؛ أجلًا مَرُّه سريع"[1]

لاحظ الباحث كثيرًا ما يرد أسلوب الشّرط في نصوص الصّدّيق؛ ومثاله:

"فإنّه ليس فيما دون الصّدق من الحديث خيرٌ؛ مَن يَكذِب يفجُر، ومن يفجُر يهلَك"[2]

وهذا الأسلوب يجعل النّفوس متأهّبة يقظة دائمة الحضور والتّرقّب من كلّ حدث قد يتفـــاجؤون به.

ويتّضح له الانسجام النّصّيّ؛ وذلك من خلال محاول نصوص الصّدّيق الموازنة بين نشاط الليل والنّهار وتنظيم الأوقات، وبناء سلّم أولويّات صحيح ومتين، وبينَ الخـــوف والرّجـــاء، والـــدّنيا والآخرة، والجنّة والنّار؛ فتراه يقول:

"يا عمر إنّ لله حقًّا بالليل لا يقبله في النّهار، وحقًّا في النّهار لا يقبله بالليل، وإنّه لا يقبل نافلـــة حتّى تؤدّى الفريضة.. ألم ترَ يا عمر أنّما نزلت آية الرّخاء مع آية الشّدّة، وآية الشّدّة مـــع آيـــة الرّخاء؛ ليكون المؤمن راغبًا راهبًا"[3].

الثّالث: الموضوع أو مدار الحدث الكلامي

تُجلّي نصوص الصّدّيق أنّها تحمل موضوعات شاملة؛ تشمل جميع ما يندرج تحت بناء شخصيّة مستقلّة، يدها نظيفة، ومتّبعة هديَ القرآن والسّنّة المطهّرة، ومجتمع سليم واعٍ لما يدور حولـــه، ومتعاون في خدمة الغاية العليا للأمّة، ومتآصر في المساندة بصورة عامّة، وتركّز بشكل صريح

---

[1] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[2] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 60/4.

[3] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 25/2.

وواضح على الموضوع السّاسيّ داخليًّا وخارجيًّا للحفاظ على تكوين دولة ناضجة تحمي حماها وتحقّ الحقّ وتهيّئ الاستقرار والهدوء والأمن والأمان.

فنراه يقول لابنته عائشة –وهي زوج المصطفى صلّى الله عليه وسلّم– "إنّا منذ وُلّينا أمر المسلمين لم نأكل لهم دينارًا ولا درهمًا؛ ولكنّا قد أكلنا من حريش طعامهم، ولبسنا من خشن ثيابهم.. فإذا متّ فابعثي بالجميع إلى عمر"[1]

ونراه يتشاور مع أهل الرّأي عن تولية من يخلفه؛ فيدعو عبد الرّحمن بن عوف وعثمان بن عفّان؛ ويأخذ رأيهما، ويقول لهما وكلّ على حِدَة: "أخبرني عن عمر"[2].

وفي أشدّ اللحظات؛ نراه يقول للأنصار: "وأنتم يا معشر الأنصار، من لا يُنكر فضلهم في الدّين، ولا سابقتهم العظيمة في الإسلام، رضيكم الله أنصارًا لدينه ورسوله، وجعل إليكم هجرته، وفيكم جلّة أزواجه وأصحابه، فليس بعد المهاجرين الأوّلين عندنا بمنزلتكم، فنحن الأمراء وأنتم الوزراء، لا تُفتانون بمشورة، ولا تُقضى دونكم الأمور"[3]

نجد تناول الموضوعات تناولًا منسجمًا حتّى مع أهل الذّمّة والعهود؛ فنراه يُطَمئِن أهلَ نجران بجوار ويحتضنهم ويدخلهم محلّ الأمان والسّكينة والحفظ والحماية، وممارسة ما يدينون ويتعبّدون بلا معارضة أو مضايقة، وتعاطيًا مع سياق الموقف؛ حيث يقول:

"بسم الله الرحمن الرّحيم، هذا كتابي لنجران وحاشيتها جوار الله وذمة محمد النبي رسول الله صلى الله عليه وسلم على أموالهم وأنفسهم وأرضهم وملتهم وغائبهم وشاهدهم وعشيرتهم وبيعهم وكل ما تحت أيديهم من قليل أو كثير، لا يغير أسقف من أسيقفيته ولا راهب من رهبانيته ولا كاهن من كهنته وليس عليه ذنبه. ولا دم جاهلية ولا يخسرون ولا يعسرون ولا يطأ أرضهم جيش"[4].

---

[1] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 422/2.

[2] المصدر نفسه، 25/2.

[3] ابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3.

[4] أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (182ه): **الخَراج**، تحقيق: محمّد عبد الحفيظ، ط1، عمّان: دار كنوز المعرفة، 1430ه/2009م، ص160.

وبهذا يتمّ توافق انسجام موضوعات النّصّ وجميع فرقاء الدّولة الواحدة وبناء مجتمع منسجم؛ تجمعهم قيَم التّعايش الأخذ والعطاء والحياة الكريمة.

الرّابع: النّظام

اشتملت نصوص الصّدّيق على تشكيلة متنوّعة من الأساليب اللغويّة، والتي بدورها ستخدم الهدف الذي يقصده ويرغب في تحقيقه، ونجد مستواها لا هو بالصّعب غير المفهوم ولا هو بالسّهل المبتذل، بمعنى آخر لا يتطلّب لقارئها العودة إلى المعاجم العربيّة لفكّ كلماتها وفهمها؛ وبهذا تصل الجمهور المخاطَب بمختلف مستوياتهم العقليّة والوجدانيّة؛ فهو يخاطب عامّة النّاس وخاصّتهم وحتّى خاصّة الخاصّة؛ وكلٌّ يفهم ما يُلقى له من مفاهيم ومعطيات وقضايا.

فنراه حين يريد عدم المساس بحقوق النّاس وحرّيتهم وما يملكون، ولا مجال للتّهاون بها؛ إذن نراه يحذّر البعثات باستخدام أسلوب النّهي؛ ومثاله في وصيّته لبعثة أسامة:

"لا تُغِلّوا، ولا تغدروا، ولا تقتلوا طفلا ولا صغيرًا، ولا شيخا كبيرًا ولا امرأة، ولا تعقروا نخلًا ولا تحرّقوا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة، ولا تذبحوا شاة ولا بقرة ولا بعيرًا إلّا لمأكلة"[1]

ونراه حين يريد أن يحرص المجتمع على التيقّظ ليوم الآخرة يجمع بين المتضادّات؛ حيث يقول:

"أوصيكم بتقوى الله.. وان تخلطوا الرّغبة بالرّهبة، وتجمعوا الإلحاف بالمسألة.. ثمّ اعلموا عباد الله أنّكم تغدون وتروحون في أجل قد غيّب عنكم علمه.."[2]

الخامس: شكل الرّسالة أو الإطار العام لرّسالة

أي المقصود منها؛ كأن يكون محادثة أو جدالًا أو موعظة أو خرافة أو رسالة غراميّة.

تنوّعت نصوص الصّدّيق إلى أنواع عدّة: فنرى منها الخُطَب، والوصايا، والمواعظ، والمكاتبات، والمعاهدات، والحِكَم، والتّوقيعات، والجدل، والحوار، وتشكّلت بنظام يكاد يكون متشابهًا إلى حدٍّ

[1] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 227/3.

[2] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 61/4.

كبير؛ حيث نراه يستهلّ الخطابة منها بالحمدلة، ويضع المضمون مستهلًّا ومستشهدًا بالآيات الكريمة، والأحاديث النّبويّة وما فقهه من الدين وأملى عليه العقل والمنطق، وينهيها إمّا بدعاء أو سلام أو توجيه، ونجد الطّويل منها والقصير؛ كخطبته في فضل الإسلام على النّاس:

"الحمد لله، أحمده وأستعينه، وأستغفره وأومن به، واتوكّل عليه.. اللهمّ أعِنّا على طاعتك، وانصرنا على عدوّك"[1]

وكذلك وصاياه باستثناء الاستهلال؛ حيث كان يستهلّ بها بالبسملة أحيانًا وبعبارة النّداء "أيّها النّاس، أوصيكم" أحيانًا أخرى؛ ومثاله وصيّته لعمرو بن العاص:

"يا عمرو، إنّك ذو رأي وتجربة بالأمور، وتبصرة بالحرب"[2]

ووصيّته ليزيد بن أبي سفيان:

"يا يزيد، إنّي أوصيك بتقوى الله وطاعته.. أحسنَ اللهُ لكَ الصّحابةَ وعلينا الخلافةَ"[3].

ومثال على المكاتبات، كتابه إلى القبائل المرتدّة حيث يبتدئ كتابه بالسملة، ويبيّن وظيفته في الدّولة وينتهي بالتّرغيب إذا تجاوبوا والتّرهيب إذا أصرّوا على ردّتهم؛ فيقول:

" بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، مِنْ أَبِي بَكْرٍ خَلِيفَةِ رَسُولِ الله –صَلّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ– إِلى مَنْ بَلَغَهُ كِتابي هذا مِن عامَّةٍ وَخاصّةٍ.. فَإِذَا أَذّنَ الْمُسْلِمُونَ فَأَذّنُوا كُفُّوا عَنْهُمْ، وَإِنْ لَمْ يُؤَذِّنُوا عَاجلُوهُمْ، وَإِنْ أَذّنُوا اسْأَلُوهُمْ مَا عَلَيْهِمْ، فَإِنْ أَبَوْا عَاجِلُوهُمْ، وَإِنْ أَقَرُّوا قُبِلَ مِنْهُمْ، وَحَمَلَهُمْ عَلَى مَا يَنْبَغِي لَهُمْ"[4].

---

[1] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 60/4.

[2] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص47.

[3] المصدر السّابق، ص11.

[4] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 250/3.

ومثال على الحِكَم، والتي لا تتجاوز السّطر الواحد، وردت عند النّويريّ[1]؛ فيقول: "خير الخصلتين لك أبغضهما إليك"، و " صنائع المعروف تَقى مصارع السوء".

السّادس: المفتاح

ويتضمّن التّقويم؛ أي هل كانت الرّسالة حسنة جيّدة، أو مثيرة للشّفقة.

يرى الباحث وبعد اطّلاعه على نصوص الصّدّيق أنّها نصوص منسجمة حَسَنة وجيّدة، متفاوتة في الأساليب والموضوعات ومتنوّعة المضامين؛ وإن غلب عليها التّوجّه السّياسيّ؛ فهي منسجمة في ترتيب جُمَل كلّ نصّ ونصّ، والفقرات مرتبطة ببعضها البعض حتّى يتشكّل مجموع النّص بثوبه النّهائيّ بصورته جميلة.

منسجمة في إحاطتها للموضوع المطلوب عرضه، معزّزة بالبراهين القرآنيّة والنّبويّة، راقية في تقبّل الرّأي الآخر ومناقشته، والرّدّ عليه، ومحاولة إقناع المخالف ما يبيّن حضور السّياق اللغويّ؛ وخير شاهد على كلّ ما تقدّم نصّ الجدل والحوار[2] بخصوص تولية أمير للمؤمنين في سقيفة بني ساعدة؛ نقتطف منه ما يخدم المطلوب:

يستهلّ الصّدّيق –مع تناغم السّياق العاطفيّ– حواره بندائه الخفيف اللطيف والقريب من النّفوس: "أيّها النّاس" مبيّنًا الواقع الجديد وهو انتقال الرّسول –صلّى الله عليه وسلّم– إلى الرّفيق الأعلى، وهذا حقّ وقدر على الجميع، والمعبود الوحيد هو الحيّ الذي لا يموت "ألا من كان يعبد محمّدًا؛ فإنّ محمّدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإنّ اللهَ حيٌّ لا يموت"، ويستشهد بالآية الكريمة ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3]، والآية ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ ۚ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا ۗ وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[4].

---

[1] النّويريّ، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب (ت733ه): **نهاية الأرب في فنون الأدب**، ط1، القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميّة، 1423ه، 5/3.

[2] ابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3.

[3] سورة الزّمر، الآية: 30.

[4] سورة آل عمران، الآية: 144.

ويمتدح الأنصار "يا معشر الأنصار، إنّ لكم سابقة في الدّين، وفضيلة في الإســـلام.."، فيقـــول بعض الحاضرين مقرًّ قول الصّدّيق، وداعمًا لمبايعته: "وُفِّقتَ في الرّأي، وأصبتَ في القول، ولن نعدوَ ما رأيتَ نولّيكَ هذا الأمر، فإنّكَ فينا مَقْنَع، ولصالح المؤمنين رضا".

ويأخذ الحوار مداخل الجدال ويشتدّ الحال والمقام، يقول رجل من الأنصار: "فإنّ نقول إذن: مِنّا أمير ومنكم أمير، ولن نرضى بدون هذا الأمر أبدًا".. إلى أن هبّ أبو بكر بكلّ ثقة ويقين يبـــيّن مكارم المهاجرين ميزاتهم وخصائصهم عن باقي النّاس، وقربهم من المصطفى صلّى اله عليـــه وسلّم، ويستشهد بالآية الكريمة المبتدِئة بالمهاجرين الأوّلين ومثنّيـــة بالأنصـــار ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ﴾[1] حرصًا منه على لمّ الشّتات والخلاف وتقريب وجهات النّظر، ويستمر الجدال إلى أن يقول: "منّا الأمير، ومنكم الوزير"، وبعد تقديمه لعمر بن الخطّاب وأبي عبيدة عامر بن الجرّاح ليبايعوا أحدهم يستقرّ الأمر على مبايعته هو.

فهذا التّسلسل في التّشخيص، والعرض، والحوار، والأخذ والرّد، والمعارضة والموافقة، والجدال الخفيف منه والشّديد، والرّأي الصّارم، والموقف الواضح، وحلّ القضيّة يدلّل دلالة واضحة على حضور السّياق الثّقافي وعلى انسجام النّص وترابطه.

السّابع: الغرض

أي القصد من حدث التّخاطب الذي ينقلب نتيجة للحدث التّواصليّ.

نلاحظ من خلال دراسة نصوص الصّدّيق وجود غرض عامّ تتناوله النّصوص جميعها، وهـــو صلاح الدّنيا والنّجاة في الآخرة؛ لهذا لا يخلو نصّ من عبارات تشير إلى الاتّبـــاع والطّاعـــة، الخوف والرّجاء، والرّضا، والقناعة، والصّدق، والأمانة، والتآصر، والتّعاضد، والمسارعة فـــي الخيرات، وعمل الصّالحات، وأغراض خاصّة يحملها كلّ نصّ بحالته المستقلّة، وكيفما يتطلّـــب الحال والمقام؛ ما يحقّق انسجام النّص وتكامله، وانسجام النّصوص مجتمعةً لغرض أعلى.

[1] سورة التّوبة، الآية: 100.

فنرى الصدّيق يكثر من الأسلوب الإنشائيّ لبيان حقائق ووقائع لا مراء فيها ولا تكذيب؛ حيث يقول[1]: "الصّدق أمانة، والكذب خيانة"، و "الجِد الجِد، الوحا الوحا، والنّجاء النّجاء" و "اعتبروا بالآباء والأبناء والإخوان"، و "أين الملوك الذين أثاروا الأرض وعمروها؛ قد بعدوا ونُسِيَ ذِكْرُهم"، و "إيّاكم والفخر؛ وما فخر من خُلِقَ من تراب وإلى التّراب يعود!"، و "اللهمّ زكّنا بالصّلاة عليه –عليه الصّلاة والسّلام–، وألحقنا به، واحشرنا في زمرته"، و"سوف تمرّون بأقوام قد فرغوا أنفسهم في الصّوامع فدَعُوهم وما فرغوا أنفسهم له"، وغيرها الكثير التي تبيّن الغرض العام للنّصوص كلّها وهو تقوى الله وصلاح الدّنيا والنّجاة في الآخرة.

أمّا الغرض الخاص لكلّ نصّ ونصّ؛ فهو موجود فيه، ويدور الحديث عنه بتسخير كلّ ما أمكن لتحقيقه؛ حيث نجد الصّدّيق يدعو عبد الرّحمن بن عوف وعثمان بن عفّان ويجري معهما حوارًا –كلّ على حدة– ليأخذ مشورتهم ورأيهم في استخلاف عمر بن الخطّاب، وقرّر في نهاية الأمر أن يعهد إلى عمر بن الخطّاب بالخلافة، ومع هذا فهو يستوضح رأي النّاس في قراره هذا؛ حيث يقول لهم: "أترضون بمن استخلفت عليكم؟ فإنّي ما استخلفتُ عليكم ذا قرابة، وإنّي قد استخلفتُ عليكم عمر فاسمعوا له وأطيعوا، فإنّي والله ما ألَوْتُ من جهد الرّأي. فقالوا: سمعنا وأطعنا"[2]

وبهذا يتجلّى الانسجام النّصّيّ في كلّ بحالته المستقلّة، وانسجام النّصوص كلّها في الغرض العام.

المظهر الثّاني: التّأويل

الكلمة لا يمكن أن تقف عند حدّ من حدود التّعيين المحايد لمرجع موضوعيّ مستقلّ، فبالإضافة إلى حالة التّعيين هاته تشتمل الكلمة على مجموعة من السّياقات المحتملة القابلة للتّعيين مع أبسط تنشيط لذاكرتها.[3]

---

[1] ينظر: ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 25/2، وابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3، وابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 60/4، وابن قتيبة: **الإمامة والسّياسة**، 17/1، وابن هشام: **السّيرة النّبويّة**، 242/4، والطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3، والواقديّ: **فتوح الشّام**، ص47.

[2] ابن الأثير: **الكامل في التّاريخ**، 25/2.

[3] قطّوس، بسّام: **المدخل إلى مناهج النّقد المعاصر**، ص201.

فالكلمة الواحدة أو الجملة ممكن أن تحمل معانٍ عِدّة ؛ وهذا تعاطٍ مع تعدّد السّياقات التي ترد فيها؛ بمعنى أن الكلمة أو الجملة تحمل –أصالةً– دلالة معيّنة؛ فإذا أخرجت من موضعها اللغويّ ووضعت في سياق آخر تغيّرت دلالتها تباعا، وبذلك يتطلّب تأويلًا آخر يتناسب ومحلّها، وهذا ما وضّحه محمّد خطابي.[1]

وميّز الجرجانيّ بين "المعنى" و "معنى المعنى"؛ حيث إنّ "الكلام على ضربين:

ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده.. وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، ولكن يدلّك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ودرب هذا الأمر على: الكناية، والاستعارة، والتّمثيل"[2]، والتّمثيل نوع من أنواع التّشبيه.

أخذَ عنصر التّأويل مساحةً واسعة في نصوص الصّدّيق؛ فنكاد لا نقرأ نصًّا إلّا واشتمل على عناصره أو واحدٍ منها؛ فراه يستخدم من الأساليب البلاغيّة ما يخدم هدفه وغايته ومقصده، ممّا يجعل نصوصه منسجمة مترابطة؛ ومنها على سبيل التّمثيل لا الحصر: التّشبيه، والاستعارة؛ ومنها:

"إنّما انا مثلكم"[3].

"الضّعيف فيكم عندي قويّ حتّى أُريح عليه حقّه إن شاء الله.. والقويّ فيكم عندي ضعيف حتّى آخذ الحقّ منه إن شاء الله"[4]

"ليوم الظلمة"[5].

---

[1] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص56.

[2] الجرجانيّ: **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، 262/1.

[3] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[4] ابن هشام: **السّيرة النّبويّة**، 242/4.

[5] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 61/4.

"أُشرِبَ قلبه الإشفاق"[1].

"تضعضع بهم الدّهر"[2].

"نحن أنصار الله"[3]. "

فكلّكم وَرِمَ من ذلك أنفُه"[4]

استخدم الصّدّيق في المثال الأوّل التشبيه المُجمل، ولم يبيّن وجه الشّبه؛ لأنّه أراد أن يرسل للمتلقّين رسالة مفادها أنّه لا يختلف عنهم بشيء؛ ذلك لبيان شدّة تواضعه وقربه منهم وانسجامه معهم؛ يأكل مأكلهم، ويلبس ملبسهم، ومعيشته كمعيشتهم، وقد يصيب ويخطئ كأيّ واحدٍ ومنهم لأنّه غير معصوم؛ ليحثّهم –وفي النّصّ نفسه– على "فإن استقمت فأعينوني، وإن زغتُ فقوّموني"

واستخدم في المثال الثّاني التّشبيه البليغ بصورة المبتدأ والخبر؛ ليبيّن صورة معنويّة مفادها أنّه لن يتهاون عن إغاثة الضّعيف إذا ظُلِمَن وكبح جماح القويّ إذا ظَلَم؛ ليتحقّق انسجام المجتمع ويكون متوازناً ومتآلفا ويحترم كلٌّ حقوقَ الآخرين وحرّيّاته.

واستخدم في المثال الثّالث التّشبيه البليغ بصورة المضاف والمضاف إليه؛ لبيان الحذر من يوم الحساب والعقاب والعتاب، وبيان شدّة تعلّق النّتائج على أسبابها؛ ليدفع المتلقّين لتجنّب المعاصي والأخطاء والصّفا الخُلقيّة غير الحميدة؛

واستخدم في المثال الثّالث الاستعارة المكنيّة، حيث أراد أن يبيّن للمتلقّي أن الجبّارين الذين كان لهم ذكر القتال والغلبة ومواطن الحروب حالهم الآن حال المريض في الضّعف والهزل والوَهَن.

---

[1] الجاحظ: **البيان والتّبيين**، 21/2.

[2] الطّبريّ: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، 224/3.

[3] ابن سعد: **الطّبقات الكبرى**، 181/3.

[4] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 264/4.

واستخدم في المثال الرّابع الاستعارة المكنيّة؛ حيث أراد بذلك أن يوضّح للمتلقين حـــال المَلِـــك الجشِع الذي لا همّ له سوى جمع الثّرَوات، والطّمع؛ فمصيره أنّ الخوف والذلّ والمهانة والرّعب يدخل قلبه بدرجة كبيرة؛ عقابًا له؛ فلا تغترّوا به وبأمثاله، ولا تجعلوه قدوة لكم، ولا تنســجموا معه ومع حاشيته وزينته.

عبارة المثال الخامس وردت في نصّ من نصوص الصّدّيق، استخدمها الأنصار خلال حوارهم معه ومع المرافقين له من المهاجرين، وهي أسلوب الكناية؛ حيث أرادوا أن يبيّنوا للمهـــاجرين أنّهم هم من استقبلهم وآواهم وتقاسم معهم البيوت والأواني والأموال؛ فهم بهذا يكونوا قد نصروا دينَ الله تعالى ورسوله الشّريف –صلّى الله عليه وسلّم–؛ وفي المحصّلة النّهائيّة فهـــم "أنصـــار الله"، ويستحقّون الإمارة؛ وبهذا يتجلّى انسجام النّص في الحوار الدائر وقولهم مع حقيقة أفعالهم، وانسجام المجتمع في سياسة الشّؤون الدّاخليّة والخارجيّة.

واستخدم في المثال السّادس كناية الموصوف وهو شيء مادّيّ؛ حيث أراد أن يبيّن عدم راحتـــه لموقفهم من عهده لعمر بن الخطّاب حين عرضه عليه؛ فامتعضوا واستنكروا وعارضوا وأبدوا تحفّظهم عليه طمعا بالإمارة والاستئثار بها لنفسهم دون عمر؛ فورم الأنف كناية عن كلّ ما سبق من بيان حالهم، وكأنّ –فعلا– قد ورمت أنوفهم وتغيّر لونها وتبدّلت هيئتها، وهذا انسجام لافت للنّظر بين بيان الحال والمقام والدّقّة في الوصف والتّصوير.

وبهذا الانسجام التّأويلي يتمّ انسجام النّصّ بعضه مع بعض وانسجام النّصوص مع بعضها ومع المُتَلَقّين، وانسجام المُرسِل مع نصوصه ومتلقّيه.

المظهر الثّالث: التّغريض

يُعدّ التّغريض عنصرًا من عناصر انسجام النّصّ، ويعتمد على استناد المتلقي لموضوع الـــنّصّ الرّئيس من أجل تكوين تأويلٍ معين؛ ولو كان تأويلًا أوليًّا، والموضوع الرّئيس هو بداية قول ما؛ فقد تكون العنوان أو جملة البداية، وله تأثير على تأويل المتلقي، فإذا تغيَّر مثلًا عنوان نـــصٍّ أو

خطابٍ ما؛ فقد يتغيَّر تأويلُ المتلقي له تكيُّفًا مع العنوان الجديد ليتمّ بناء انسجام النّصّ وتحقيق اتّساقه، فالموضوع الرّئيس يتحكّم في التّأويل وقراءة النّصّ.[1]

العنوان

تتجلّى فيه مجموعة من الدّلالات المركزيّة للنّصّ الأدبيّ والمُركَّزة فيه، إذ يثير لدى المتلقّي توقّعات قويّة لما يتضمنه النّصّ، وهو الدّرجة الأولى للدّخول إلى عالم النّصّ واقتحامه، والرّسالة الإفهاميّة للمتلقّي.[2]

يجدر الإشارة أنّ نصوص الصّدّيق التي تناولها الباحث لم يَعَنوِنها صاحبها، وبعد دراسة النّصوص من مراجعها ومصادرها القديمة تبيّن فعلًا انّها من غير عناوين؛ وهذا يشير إلى أنّ النّصوص المعنونة قد عنونها الدّارسون المُحدَثون في مؤلّفاتهم؛ فلا حاجة للتّطرّق للعناوين في هذا الفصل التّطبيقيّ.

يؤكّد نهج الصّدّيق في استغنائه عن عنونة النّصوص على ضرورة وجوة "جملة أولى" للنّصّ، وليس بالضّرورة أن تكون هذه الجملة في بداية النّصّ؛ لأنّ نصوصه تبدأ إمّا بالبسملة، أو الحمدلة، أو النّداء.

الجملة الأولى

أمّا الجملة الأولى فهي تمثّل مَعلمًا يقوم عليه اللاحق منها ويعود، فهي تؤثّر في تأويل ما يأتي من النّصّ/الخطاب الذي كانت نقطة بدايته.[3]

---

[1] ينظر: بوسدر، بوطاهر: **المعايير النّصّيّة: الاتّساق والانسجام**، ص181، وحمداوي، جميل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ص89.

[2] قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، عدد8، ص70.

[3] الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ؛ بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ص67.

طرائق تغريض العنونة أو الجملة الأولى

الطّرائق التي يتمّ بها تغريض العنونة أو الجملة الأولى؛ هي[1]: تكرير اسم الشّخص وتبئيره، واستعمال الضّمائر المرجعيّة المحيلة عليه، وتكرير جزء من اسمه، واستعمال ظرف زمان يخدم خاصّيّة من خصائصه أو تحديد دور من أدواره في فترة زمنيّة.

وتطبيقا على أدب الصّدّيق؛ اختار الباحث نصّ "عهد الصّدّيق لأهل نجران".

استهلّ الصّدّيق نصّه بالبسملة، ثم شرع في "هذا كتاب عبد الله أبي بكر خليفة رسول الله –صلّى الله عليه وسلّم– لأهل نجران"، ثمّ وأخذ بالتّفصيل.

يتّضح أنّ هذه جملة هي الجملة الأولى التي ستدور حولها الرّسالة، ومسخّرًا كلّ ما يراه مناسبًا لخدمتها واكتمال صورتها؛ وذلك للأسباب التّالية:

استعمال الضّمائر المرجعيّة المحيلة عليها؛ حيث قال بعدها مباشرة: أجارهم بجوار الله وذمّة محمّد –صلّى الله عليه وسلّم–، على أنفسهم، وأرضهم، وثلتهم، واموالهم، وحاشيتهم، وعبادتهم، وغائبهم، وشاهدهم، وأساقفهم، ورهبانهم، وبِيَعهم، وكلّ ما تحت أيديهم.. ولا يحشرون، ولا يعشرون.. ووفّي لهم.. وعليهم النّصح، والإخلاص فيما عليهم من الحقّ"

يظهر لنا أنّ الصّدّيق استخدم الضّمير الدّال على الغائب "هم" سِتَّ عَشرةَ مرّةً، ومرّتين لضمير الجمع في الأفعال الخمسة "و" وكلّها تحيل إحالة قبليّة على "أهل نجران"

كما ويظهر لنا المكان؛ وهو نجران "أنّ أهل نجران كانوا أهل شرك يعبدون الأوثان ونجران: القرية العظمى التي إليها جماع أهل تلك البلاد"[2]، ويؤكّد على "الأرض"، وعلى الأنفس، والأموال، والحاشية، وحرّيّة الدّين وممارسة العبادة في معابدهم على يدّ رهبانهم، وبيعهم وكلّ ما يملكون.

---

[1] خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص59.

[2] السّهيليّ، أبو القاسم عبد الرّحمن بن بد الله بن احمد (581ه): **الرّوض الأنف في شرح السّيرة النّبويّة لابن هشام**، ط1، تحقيق: عمر عبد السّلام سلاميّ، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، 1421ه/2000م، 107/1.

ومن هنا يتّضح أنّ التّغريض من خلال "الجملة الأولى" يحقّق انسجام الـنّصّ علـى المسـتوى الدّلاليّ والموضوعيّ.

المظهر الرّابع: البنية الكلّيّة أو موضوع الخطاب

لكلّ خطاب بنية كلّيّة ترتبط بها أجزاء الخطاب، وإنّ القارئ يصل إلى هذه البنية الكلّيّـة عبـر عمليّات متنوّعة تشترك كلّها في سمة الاختزال، على أنّ البنية الكلّيّة ليست مُعطىً؛ حتّـى وإن كانت هناك بنيات متنوّعة أو مؤشّرات على وجود هذه البنية؛ وإنّما هي مفهوم مجرّد (حدسـيّ) به تتجلّى كلّيّة الخطاب ووحدته.. تعدّ البنية الكلّيّة افتراضًا يحتاج إلى وسيلة ملموسة توضّـحه وتجعله مقبولا كمفهوم.[1]

وتطبيقًا على نصوص الصّدّيق، يتناول الباحث أحدها؛ وهو "الأعمال والآجال"[2].

بنى الصّدّيق نصّه بصورة متناغمة ومنسجمة؛ حيث نراه يستهلّه بالحمد لله تعالى والثّناء عليـه بما هو أهله، ثمّ وصّى النّاس بتقوى الله والثّناء عليه، وحثّهم على الاعتدال بالأخذ ما بين الخوف والرّجاء والمسارعة في الخيرات، والالحاح على المسألة من الله، معزّزًا قوله باستشهاده بثنـاء اله على زكريّا واهل بيته في الآية الكريمة ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ﴾[3].

وأخذ يفصّل حال الدّنيا الفانية ومقارنتها مع نعيم الآخرة؛ ومنه "فسابقوا في مَهَل بأعمالكم قبل أن تنقضي آجالكم"، وبيان عجائب القرآن الكريم في علمه ونوره وهداه؛ ومنه "هذا كتاب الله فيكم لا يُطفأ نوره؛ فثقوا بقوله"، ثمّ ختم خطبته بذكر حقيقة أقوام غفلوا عن الهداية والطّاعة والصّلاح، وأوصاهم ألّا يحذوا حذوهم.

هذا البناء للنّصّ يبيّن انسجام بنيته وسلاسة توصيل أفكاره.

---

[1] ينظر: خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ص46، و بوسدر، بوطـاهر: **المعـايير النّصّـيّة: الاتّساق والانسجام**، ص84.

[2] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 61/4.

[3] سورة الأنبياء، الآية: 90.

كما ويحرص الصّدّيق في البنية الكلّيّة على عرض واقع معيّن؛ ثم يليه بطلب أو نهي؛ ومثالــه: "هذا كتاب الله فيكم.. فثقوا به.. واستبصروا به" و "فإنّ أقوامًا قد جعلوا آجالهم لغيرهم؛ فأنهاكم ان تكونوا أمثالهم.

كذلك الأمر يظهر اكتمال "البِنية الكلّيّة" من خلال حرصه على التّنويع فــي الأســاليب اللغويّــة والبلاغيّة؛ حيث يستخدم التّوكيد حينًا؛ ومثاله: "إنّ الله أثنى على زكريّا" و "فالوحا الوحا، والنّجاء النّجاء"، وأسلوب الشّرط حينًا آخر؛ ومثاله: "فإن استطعتم أن تنقضي الآجال وانتم في عمل الله، ولن تستطيعوا ذلك إلّا بالله؛ فسابقوا في مَهل بأعمالكم"، وحينًا آخر يســتخدم اســلوب التّشــبيه المركّب الضّمنيّ؛ ومثاله "فسابقوا في مَهل بأعمالكم قبل ان تنقضي آجالكم فتردّكم إلــى ســوء أعمالكم؛ فإنّ أقواما جعلوا آجالهم لغيرهم"

بناء على ذلك يرى الباحث أنّ البِنية الكلّيّة في نصوص الصّدّيق التي اطّلع عليها قــد نظّمَــت وصنّفَت الإخبار الدّلاليّ للمتتاليات ككلّ شامل.

المظهر الخامس: التّناص

تتعدّد أشكال التّناصّ ما بين التّناصّ المباشر وغير المباشر؛ فالتّناصّ المباشر هو اجتزاء قطعة من النّصّ أو النّصوص السّابقة، ووضعها في النّصّ الجديد بعد توطئة لها مناسبة تجعلها تتلاءم مع الموقف الاتّصاليّ الجديد وموضوع النّصّ، وهو الشّكل البسيط الذي تحقّق بنقل التّعبير كما هو؛ أمّا التّناصّ غير المباشر فهو الذي يستنبط من النّصّ استنباطًا، ويرجع إلى تناصّ الأفكــار أو المقروء الثّقافيّ أو الذّاكرة التّاريخيّة التي تستحضر تناصّها بروحها أو بمعناها لا بحرفيّتها أو لغتها، وتفهم من تلميحات النّصّ وإيماءاته وشفراته وترميزاته.[1]

وتطبيقًا على نصوص الصّدّيق؛ وجد الباحث أنّ لا يوجد نصٌّ ووقعت مطالعته ودراســته إلّــا واشتمل على أحد أنواع التّناصّ؛ هذا إن لم يكن قد اشتمل على كليهم.

---

[1] ينظر: أبو غزالة: **مدخل إلى علم لغة النّصّ، تطبيقات لنظريّة روبرت دي بوجراند وولفجانج تريســلر**، ص60-261، ومحمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ النّظريّة والتّطبيق**، ص79.

أمعن الصّدّيق –رضي الله عنه– في استخدام التّناصّ المباشر، وذلك باستشهاده بآيات من القرآن الكريم، ويحدث أحيانًا استشهاده بأكثر من تناصّ في النّصّ الواحد؛ اختار الباحثُ نصًّا واحدًا للتّمثيل:

ورد التّناصّ في كتاب الصّدّيق إلى القبائل المرتدّة بستّة استشهادات من القرآن الكريم؛ وهي: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾[1]؛ للتّأكيد على بشريّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم و ﴿وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِين مِّتَّ فَهُمُ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾﴾[2] و ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾﴾[3] و﴿مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[4] و﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِي وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾[5] و﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾[6].

يتّضح التّناص المتسلسل في الأفكار الّذي يبيّن ابتداءً بشريّة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، وما ينطبق عليكم في الموت ينطبق عيه، ويتدرّج إلى بيان حقيقة مفادها لأنّه كما لا خلود لأحد سبق؛ فلا خلود للنبيّ صلّى الله عليه وسلّم، والحال نفسه ينطبق عليكم؛ فلا خلود لكم، ويتصعّد الخطاب إلى درجة العتاب والتّحذير؛ مفاده أنّه لا مجال لردّتكم بسبب وفاة النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم، ومن يرتدّ فلا يضرّ الله شيئًا، ثمّ تتأزّم الصورة ويستشهد الصّدّيق بآية بدء خلق آدم –عليه السّلام– وأنّ جميع الملائكة امتثلوا أمر ربّهم وسجدوا لآدم؛ باستثناء إبليس فسق عن أمر الله ويستحقّ العقاب والعذاب، فلا تكونوا مثله وذريّته، واحذروه فهو عدوٌّ لكم؛ فعودوا إلى رشدكم.

---

[1] سورة الزّمر، الآية: 30.

[2] الأنبياء، الآية: 34

[3] سورة آل عمران، الآية: 144.

[4] سورة الكهف، الآية: 17.

[5] سورة الكهف، الآية: 50.

[6] سورة فاطر، الآية: 6.

هذا بالنّسبة للتّناص المباشر؛ امّا التّناص غير المباشر، فنرى الصّدّيق يستخدمه في أكثر من موضع؛ منها:

خطبته بجمهور المسلمين عن مسؤوليّة الملوك؛ حيث يقول: "وإنّكم اليوم في خلافة نبوّة، ومَفرِق محجَّة، وسترون بعدي مُلكًا عَضوضًا، ومَلِكًا عَنودًا، وأمّةً شعاعًا.."[1].

ويتّضح من خلال الدّراسة أنّه تَناصَّ غير مباشر مع حديث النبيّ صلّى الله عليه وسلّم: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا"[2].

وفي نصّ آخر يتواصى فيه مع يزيد بن أبي سفيان عن انتقال وترحال ملِك الرّوم إلى انطاكيةَ؛ نراه يقول: "وإنّ ذلك الدّين الذي نصرنا الله به بالرّعب، هو هذا الدّين الذي ندعو النّاس إليه اليوم"[3].

وهذا تناصّ غير مباشر مع حديث النّبيّ صلّى الله عليه وسلّم القائل فيه: "نصرت بالرعب مسيرة شهر"[4].

والتّناصّ التّاريخي؛ نجده يقول عن أقوام سبقوا وقضوا نحبهم، وهم الآن في عداد الماضي؛ حيث يقول: "فإنّ أقوامًا جعلوا آجالهم لغيرهم"[5]

عمل التّناصّ بنوعيه على انسجام نصوص الصّدّيق رضي الله عنه وعلى ترابطه، وأكّد صحّة المعلومات التي رغب في توصيلها للمتلقّين، وقوّى حجّته وصواب موقفه، واستشهاده بكتاب نزل على نبيّهم صلّى الله عليه وسلّم هداية ومعرفة ونورا وسراجا منيرا، ليخطّ لهم طريق الصّلاح والاسترشاد والأخذ بأحكامه وتعاليمه وحدوده كان تعزيز للفكرة وقطع طريق التّشكيك والحدّ من النّيل من الدّين الحنيف.

---

[1] الجاحظ:: **البيان والتّبيين**، 21/2.

[2] ابن حنبل: **مسند الإمام أحمد**، 55/30.

[3] الواقديّ: **فتوح الشّام**، ص31.

[4] البخاري: **صحيح البخاري**، 54/4.

[5] ابن عبد ربّه: **العقد الفريد**، 61/4.

الخاتمة

الحمد لله الذي تتمّ بكرمه الصّالحات، والصّلاة والسّلام على خاتَم النّبيّين وسيّد المرسلين سيّدنا محمّد وعلى آله وصحبه ومن حذا حذوه إلى يوم الدّين، وبعد:

فقد توصّل الباحث من خلال هذا البحث المتواضع والموسوم ب "نحو النّصّ في أدب أبي بكر الصّدّيق النّثريّ" إلى حصيلة من النّتائج؛ أهمّها:

- أنَّ أبا بكر الصّديق خاض تجربة في غاية المسؤوليّة؛ فقد أصبح خليفة في أصعب الظّروف وأحلكها بعد انتقال النّبي –صلّى الله عليه وسلّم– إلى الرّفيق الأعلى، وارتدّ الناس، واختلفت القلوب، وتنوّعت الآراء، وتعدّدت الأحزاب؛ فما كان منه إلّا أن شمّر عن ساعده، وأخذ المسؤوليّة بيديه وردَّ الأمور إلى نصابها، وسخّر معرفته الأدبيّة العميقة وأساليبه اللغويّة السّلسة –الخطابة والوصايا والمكاتبات والعهود والحوارات والجدل– في خدمة أهدافه وغاياته السّامية؛ فرضي الله عنه وأرضاه.

- أنّ علم نحو النّصّ كانت متأصّلًا عند القدماء، وحاضرًا في أذهانهم، ومُسطّرًا في مؤلّفاتهم؛ ولكن بدون حضور المصطلح نفسه "نحو النّصّ"؛ فهُم تعاملوا مع عناصره بكلّ وضوح؛ سواء تلك المتعلّقة بالاتّساق؛ والأخرى المتعلّقة بالانسجام، وغيرها من المعايير النّصيّة.

- أنّ الدّراسات التي عُنِيَت في دراسة النّصّ، جعلت جلّ اهتماماتها حول النّصّ بصورته الكاملة؛ فلا يتمّ التّواصل ولا يتحقّق إلّا عن طريق النّصوص طالت أم قصُرت، وهذا فَتَح للدّارسين مجالات دراسيّة جديدة، يتعرّفون من خلالها على أساليب بحثيّة جديدةن وتحليل نظريّات أدبيّة بدقّة أكثر وبُعد نظر أرحب، وبحبوحة في الحرّيّة والانطلاق في تحليل النّصوص.

- يعدّ علم نحو النّصّ علمًا واسعًا رحبًا، فالإحاطة بكلّ روافده مستحيلة؛ لأنّ الآراء متشعّبة جدًّا، وتكاد تكون متناقضة إلى حدٍّ بعيد؛ ولكن في المقابل قد يدفع هذا الأمر الباحثين والدّارسين إلى الاجتهاد واكتشاف نظريّات جديدة تخدم الموضوع في تفريعاته وتفصيلاته.

- أن للاتّساق دورًا مهمًّا جدًّا، وتأثيرًا كبيرًا، وفاعليّة عظمى في تماسك النّصّ وترابطه وإنتاجه بصورة لائقة تحترم عقول المتلقّين، فإذا ما أحكم مُنتج النّصّ قبضته الأدبيّة على آليّات وأدوات التّعاطي مع إنتاج النّصّ؛ نتج عنه بلا شكّ نصٌّ منضبط سليم وفق معايير واضحة، تلبّي بدورها تحقيق ما يرمي إليه ويبتغي توصيله ونشره.

- أنّ الانسجام النّصّيّ يوفّر للمتلقّي تُربة خصبة في أخذ النّصّ والتّعامل معه وفق آليّات حُدِّدَت مُسبقًا، وأخرى تبقى في يده يأخذ منها ما يشاء وكيف يشاء وبأي ترتيب يراه مناسبًا؛ فيفهمه ويحلّله ويفككه، ويُعيد تشكيله وتركيبه من جديد، ويربطه بنصوص أخرى تابعة لمجالات معرفيّة مختلفة؛ وبهذا يمكنه تسخير هذا النّصّ لتحقيق ما يريد من أهداف.

- تُعدّ نصوص أبي بكر الصّدّيق نصوصًا متّسقة ومنسجمة؛ سواء اتّساق النّص وانسجامه بجزئيّاته ومركبّاته الداخليّة، أو باتّساقه مع النّصوص البكريّة الأخرى وانسجامه، كما وتُعَدّ منسجمة تمام الانسجام مع المقام والبيئة المحيطة به، وتلك البعيدة عنه.

يُوصي الباحثُ طَلَبة الدّراسات العليا إذا ما اختاروا "نحو النّصّ" كموضوع للدّراسة، أنْ يجعلوا أدب القدماء محلّ دراستهم؛ وبهذا نخدم التّراث خدمة جليلة، وننجح في الجمع الحسن بين القديم والحديث بأبهى صورة، ونعزّز من علاقتنا بالآباء والأجداد وأركان اللغة وأعمدتها.

هذا؛ فإن أصاب الباحث في الاختيار والرّأي؛ فهو من عند الله تعالى العليم الخبير وتوفيقه؛ وإذا وقع خطأ أو زللٌ أو هفوة؛ فهو من عند نفسه؛ فمن الله تعالى المغفرة، ومن حضرتكم المعذرة.

تمّ بحمد الله تعالى

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

الإبراهيميّ، خولة طالب: **مبادئ في اللسانيّات**، د.ط، الجزائر: دار القصبة، 2000م.

إبرير، بشير: **مفهوم النّص في التّراث اللساني العربيّ**، مجلّة جامعة دمشق، مجلّد 23، عدد1، سوريا، 2007م.

ابن الأثير، ضياء الدّين نصر الله (637ه): **المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر**، د.ط، تحقيق: أحمد الحوفي وبدوي طبانة، القاهرة: دار نهضة مصر الفجالة، 1420ه.

ابن الأثير، عز الدّين علي بن أبي الكرم محمّد الشيباني الجزريّ (ت630ه): **الكامل في التّاريخ**، ط1، تحقيق: عمر عبد السّلام تدمريّ، بيروت: دار الكتاب العربيّ، 1417ه/1997م.

الأخضر، محمّد الصبيحي: **مدخل إلى علم النّصّ ومجالات تطبيقه**، د.ط، منشورات الاختلاف، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، د.ت.

الأشموني، علي بن محمد بن عيسى، أبو الحسن، نور الدين الشافعي (المتوفى: 900هـ): **شرح الأشموني على ألفية ابن مالك**، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419ه/ 1998م.

أوشار، علي آيت: **السّياق والنّصّ الشّعريّ من البنية إلى القراءة**، ط1، الدّار البيضاء: دار الثّقافة، 1421ه/2000م.

باتريك شارودو ودومينيك منغنو: **معجم تحليل الخطاب**، ترجمة: عبد القاهر المهيري وحمّاد صمّود، ط1، تونس: المركز الوطني للترجمة، دار سيناتر، 2008م.

باديس، محمّد: **مفهوم النّصّ وقراءته في الفكر العربيّ المعاصر**، رسالة دكتوراة، 2016م-2017م.

بحيري، سعيد حسن: **علم لغة النّصّ المفاهيم والاتّجاهات**، ط1، القاهرة: الشّركة المصريّة العالميّة للنّشر، لونجمان، 1997م.

البخاريّ، محمّد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة: **صحيح البخاريّ**، تقديم: أحمد محمّد شاكر، ط1، بيروت: دار الجيل، د. ت.

براون وبول: **تحليل الخطاب**، ترجمة: محمّد لطفي الزّليطي ومنير التريكي، د.ط، جامعة الملك سعود، الرّياض: كلّية اللغات والتّرجمة، 1418ه/1998م.

البستانيّ، عبد الله اللبنانيّ: **البستان؛ معجم لغويّ مطوّل**، ط1، بيروت: مكتبة لبنان ناشرون، 1992م.

البشريّ، عبد العزيز: **في المرآة**، مصر: مؤسّسة هنداوي للتّعليم والثّقافة، 2012م.

البطاشي، خليل بن ياسر: **التّرابط النّصّيّ في ضوء التّحليل اللسانيّ للخطاب**، عمّان: دار جرير للنّشر والتّوزيع، 1430ه/2009م.

البلاذري، أبو الحسن أحمد بن يحيى بن جابر بن داود البغدادي: **أنساب الأشراف**، تحقيق: محمّد مجمّد تامر، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 2011م.

ابن بلبان، علي بن بلبان بن عبد الله علاء الدّين الفارسيّ: **تحفة الصَّديق في فضائل الصِّدّيق**، ط1، تحقيق: محيي الدين مستو، دمشق: دار ابن كثير، 1408ه/1988م.

ابن بلبان، علي بن بلبان بن عبد الله علاء الدّين الفارسيّ: **صحيح ابن حبّان بترتيب ابن بلبان**، ط2، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1418ه.

بلعيد، صالح: **نظريّة النظم**، ط1، الجزائر: دار هومة للنّشر والتّوزيع، 2004م.

بنانيّ، محمّد الصّغير: **مفهوم النّصّ عند المنظّرين القدماء**، مجلّة اللغة والأدب، عدد12، الجزائر، قسم اللغة العربيّة، جامعة 1997م.

بوراس، خولة: **المعايير النّصيّة وتطبيقها في قصيدة الذّبيح الصّاعد لمفدي زكريّا**، الجزائر: المسلية، جامعة محمّد بوضياف، رسالة ماجستير، 1436ه-1437ه/2015م-2016م.

بوسدر، بوطاهر: **المعايير النّصيّة؛ الاتّساق والانسجام**، مقال، شبكة الألوكة، 2017/12/23م.

تامر، فاضل: **اللغة الثّانية في إشكاليّة المنهج والنّظريّة والمصطلح في الخطاب النّقديّ العربيّ**، ط1، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1994م.

التّبريزيّ: **الكافي في العروض والقوافي**، تحقيق: الحساني حسن عبد الله، القاهرة: مكتبة الخانجيّ، 1977م.

الجابريّ، محمد عابد: **بِنية العقل العربيّ؛ دراسة تحليليّة نقديّة لنظم المعرفة في الثّقافة العربيّة**، ط5، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1996م.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني: **الحيوان**، تحقيق: عبد السّلام هارون، ط2، ج1، بيروت: دار الجيل، 1996م.

الجاحظ، عمرو بن بحر بن محبوب الكناني: **البيان والتّبيين**، تحقيق: حسن السّندوسيّ، د.ط، ج1، تونس: دار المعارف، 1990م.

جبران، مسعود: **الرّائد؛ معجم لغويّ عصريّ**، ط3، بيروت: دار العلم للملايين، 1978م.

الجرجانيّ، عبد القاهر بن عبد الرّحمن (المتوفى: 471هـ): **دلائل الإعجاز في علم المعاني**، تحقيق: محمّد رشيد رضا، د.ط، دار بيروت: المعرفة، 1398ه/ 1078م.

الجرجانيّ، الشّريف عليّ بن محمّد بن عليّ السّيّد الحسينيّ (المتوفى: 816هـ): **كتاب التّعريفات**، ط1، بيروت: دار الفكر، 1419ه 1998م.

ابن جِنّيّ، أبو الفتح عثمان الموصلي البغدادي: **الخصائص**، د.ط، تحقيق: محمّد علي النّجّار، القاهرة: دار الكتب المِصريّة المكتبة العلميّة، د.ت.

ابن جِنّيّ، أبو الفتح عثمان الموصلي البغدادي: **اللُّمَع في العربيّة**، د.ط، تحقيق: سميح أبو مغلي، عمّان: دار مجدلاوي، 1988م، ص189.

جون لاينز: **اللغة والمعنى والسّياق**، ترجمة: عبّاس صادق الوهّاب، ط1، بغداد: دار الشّـؤون الثّقافيّة العامّة، وزارة الثّقافة والإعلام، 1987م.

الجوهريّ، أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهري: **الصّحاح تاج اللغة وصحاح العربيّة**، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العلم للملايين، بيروت، 1407ه/ 1987م.

جيرار، جينيت: **مدخل لجامع النّصّ**، ترجمة: عبد الرّحمان أيّوب، د.ط، الـدّار البيضـاء: دار بوقال، 1986م.

الحاج صالح، عبد الرّحمن: **الجملة في كتاب سيبويه**، مجلّة المبرز، الجزائر، عدد2، 1993م.

حامد، عبد السّلام: **علاقة النّحو العربيّ بنحو النّصّ**، مقال، 01. أيّار. 2010م.

حسّان، تمام: **نحو الجملة ونحو النّصّ**؛ نصّ محاضرة أُلقيَت في معهد اللغة العربيّة بأمّ القُـرى في الموسم الثّقافيّ الصّيفيّ، مكّة المكرّمة، 1995م.

حسين، إيناس محمد: **الخصائص اللغويّة في الخطابة الدّينيّة في مصر في العِقدين الأخيـرين**، الإسكندريّة، رسالة دكتوراة، 2003م.

حشايشي، زهور: **ثنائيّة الاتّساق والانسجام في قصيدة "قدر حبّه" لمحمّد جربوعة**، كلّيّة الآداب واللغات الأجنبيّة، الجزائر، رسالة ماستر، 2017م.

حمادي، صمود: **التّفكير البلاغي عند العرب، أسسه وتطوّره إلى القـرن السّـادس** (مشـروع قراءة)، ط2، تونس: المطبعة الرّسميّة للجمهوريّة التّونسيّة، 1981م.

حمداوي، جميل: **محاضرات في لسانيّات النّصّ**، ط1، الألوكة، 2015م.

حمودة، طاهر سليمان: **ظاهرة الحذف في الدّرس اللغويّ**، د.ط، الإسكندريّة: الدّار الجامعيّة للطّباعة والنّشر والتّوزيع، 1999م.

الحموي، ياقوت بن عبد الله الرّوميّ: **معجم البلدان**، ط2، بيروت: دار صادر، 1995م.

ابن حنبل، أبو الفضل صالح بن أحمد: **مسند الإمام أحمد**، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1413ه/1993م.

خالد، محمد خالد: **وجاء أبو بكر**، ط1، القاهرة: مكتبة الإنجلو المصريّة، 1962م.

أبو خرمة، عمر محمّد: **نحو النّصّ؛ نقد النّظريّة وبناء أخرى**، الأردن: عالم الكتب الحديث، 1425ه/2004م.

خطابي، محمّد: **لسانيّات النّصّ مدخل إلى انسجام الخطاب**، ط1، المغرب: المركز الثّقافيّ العربي، 1991م.

ابن خلّكان، أحمد بن محمّد بن أبي بكر: **وَفَيَاتُ الأعيان وأنباء أبناء الزّمان**، تحقيق: إحسان عبّاس، ط6، بيروت: دار صادر، 1434ه/2013م.

خليل، عبد العظيم فتحي: **مباحث حول نحو النّصّ**، جامعة الأزهر، القاهرة: الألوكة، د.ت.

خمري، حسين: **نظرية النص من بنية المعنى إلى سيميائيّة الدالّ**، ط1، بيروت: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، 1428ه/2007م.

دحدوح، سميّة: **النّصّ والتّناص عند "عبد المالك مرتاض، نظريّة النّصّ الأدبيّ، أنموذجا**، الجزائر: كلية الآداب واللغات في قسم اللغة العربيّة، رسالة ماستر، 2015م-2016م.

دريدا، جاك: **الكتابة والاختلاف**، ترجمة: كاظم جهاد، ط2، المغرب: دار توبقال للنّشر، 2000م.

دعكور، نديم حسين: **القواعد التّطبيقيّة في اللغة العربيّة**، ط2، لبنان: مؤسّسة بحسون للنّشر والتّوزيع، 1998م.

دقّة، محمّد علي: **ديوان الأُقَيْشِرِ الأَسَدِيّ**، بيروت: دار صادر، ط1، 1997م.

دومينيك مانغونو: **المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمّد يحياتن، ط1، بيروت: الدّار العربيّة للعلوم ناشرون، 1428ه/2008م.

راجي الأسمر (محقّق): **ديوان أبي بكر الصّدّيق**، ط3، بيروت: دار صادر، 1428ه/ 2007م.

الرّازيّ، زين الدّين أبو عبد الله محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفي (المتوفّى 666ه): **مختار الصحاح**، تحقيق: يوسف الشيخ محمد، ط5، بيروت: المكتبة العصريّة، الدّار النّموذجيّة، 1420ه/ 1999م.

الرّازي: أبو عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي الملقب بفخر الدين الرازي خطيب الري (المتوفى: 606هـ): **مفاتيح الغيب**، ط3، بيروت: دار إحياء التراث العربي، 1420ه.

رشيد، شيماء: **النّصّ بين النّحويّين القدماء والدّراسات اللسانيّة الحديثة**، مقالات، مجمع اللغة العربيّة على الشّبكة العالميّة، (https://www.m-a-arabia.com/site/7545.html)، 18 يناير 2015م.

الرّضي، محمّد بن الحسن، **شرح شافية ابن الحاجب**، تحقيق: مجمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف، ومحود محيي الدين عبد الحميد، د.ط، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1395ه/1975م.

روبرت دي بوجراند: **النص والخطاب والاجراء**، ترجمة تمام حسان، ط1، القاهرة: عالم الكتب، 1418ه/1998م.

رولان بارت: **درس السيمولوجيا**، ترجمة: بلعيد العالي، ط3، الدار البيضاء: دار توبقال للنشر، 1993م.

الرويلي، ميجان والبازغي، سعد: **دليل الناقد الأدبي**، ط3، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، المغرب، 2002م.

ريكو، بول: **من النّصّ إلى الفعل**، تحقيق: محمّد برادة وحسّان بورقيّة، ط1، الإسكندريّة: عين للدّراسات والبحوث الإنسانيّة والاجتماعيّة، 2001م.

الزّبيديّ، محمّد بن محمّد بن محمّد بن الرّزّاق الحسينيّ: **تاج العروس من جواهر القاموس**، ط1، بيروت: دار مكتبة الحياة، 1306ه.

زتسيسلاف واورزنياك: **مدخل إلى علم النّصّ مشكلات بناء النّصّ**، ط2، ترجمة وتعليق: سعيد حسن بحري، القاهرة: مؤسّسة المختار، 1431/ 2010م.

الزّمخشريّ، أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد: **أساس البلاغة**، تحقيق: محمد باسل عيون السود، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية، 1419ه/ 1998م.

الزّناد، الأزهر: **نسيج النّصّ، بحث فيما يكون به الملفوظ نصّا**، ط1، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1993م.

أبو زيد، نصر حامد: **السّلطة الحقيقيّة؛ الفكر الدّينيّ بين إرادة المعنى وإرادة الهيمنة**، ط1، المغرب: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1995م.

زيدان، عبد الكريم: **الوجيز في أصول الفقه**، ط2، بيروت: مؤسّسة الرّسالة، 1419ه/ 1998م.

السجلماني، أبي أحمد القاسم: **المنزع البديع في تجنيس أساليب البديع**، تحقيق: علال الغازي، د.ط، الرّباط: مكتبة المعارف، د.ت.

السّدّ، نور الدّين: **الأسلوبيّة وتحليل الخطاب، دراسة في النّقد العربيّ الحديث**، ط1، الجزائر: دار هومة للنّشر والطّباعة والتّوزيع، د.ت.

سرحان، حسين: **قاموس الأدوات النّحويّة**، ط2، المنصورة: مكتبة الإيمان، 1425ه/2004م.

ابن سعد، محمّد بن سعد بن منيع الهاشميّ البَصريّ: **الطّبقات الكُبرى**، دراسة وتحقيق: محمّد عبد القادر عطا، ط2، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1418ه/ 1997م.

سعد، مصلوح: **من نحو الجملة إلى نحو النّصّ**، الكتاب التّذكاريّ لقسم اللغة العربيّة، الكويت: جامعة الكويت، 1989-1990م.

سلّوم، تامر: **نظريّة اللغة والجمال في النّقد العربيّ**، د. ط، سورية: دار الحوار، 1983م.

السّهيليّ، أبو القاسم عبد الرّحمن بن بد الله بن احمد (581ه): **الرّوض الانف في شرح السّيرة النّبويّة لابن هشام**، ط1، تحقيق: عمر عبد السّلام سلاميّ، بيروت: دار إحياء التّراث العربيّ، 1421ه/2000م.

سيبويه، عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر: **الكتاب**، ط3، القاهرة، مكتبة الخانجي،1408ه/1988م.

السّيوطيّ، جلال الدّين عبد الرّحمن بن أبي بكر الخضيريّ: **الإتقان في علوم القرآن**، تحقيق: محمود مرسي عبد الحميد ومحمّد عوض هيكل، ط3، ج3، القاهرة: دار السّلام، 1434ه/ 2013م.

الشّاعر، صالح: **شعر محمّد مهدي الجواهريّ؛ دراسة نحويّة نصّيّة**، ط1، القاهرة: دار طيبة للنّشر والتّوزيع، 2010م.

الشافعي، محمد بن إدريس بن العباس: **الرّسالة**، تحقيق: أحمد شاكر، ط، ج1، مصر مكتبة الحلبيّ، 1358ه/1940م.

الشّاوش، محمّد: **أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة**؛ تأسيس نحو النّصّ، ط1، ج1، تونس: المؤسّسة العربيّة للتّوزيع، 1421ه/2001م.

شيخة، محمّد الأمين: **عتبات الولوج إلى أساليب النّصّ الشّعريّ الحديث**، مجلّة كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة والاجتماعيّة، الجزائر: جامعة محمّد خيضر بسكرة، العددان 2،3، 2008م.

صبري، حافظ: **الشّعر والتّحدّي وإشكاليّة المنهج؛ مجلّة الفكر العربيّ المعاصر**، العدد38، بيروت: مركز الإنماء القوميّ، 1986م.

طالب، خولة: **مبادئ في اللسانيّات**، ط2، الجزائر: دار القصبة للنّشر، 2006م.

الطّبريّ، أبو جعفر محمد بن جرير: **تاريخ الطّبريّ= تاريخ الرّسل والملوك ومن كان في زمن كلّ منهم**، تقديم ومراجعة: صدقي جميل العطّار، ط1، بيروت: دار الفكر، 1418ه-1998م.

طه، أحمد إبراهيم: **تاريخ النقد الأدبي عند العرب من العصر الجاهليّ إلى القرن الرّابع الهجريّ**، د.ط، بيروت: دار الحكمة، د. ت.

طه، عبد الرحمان: **في أصول الحوار و تجديد علم الكلام**، ط2، الدّار البيضاء: المركز الثقافي العربي، 2000م.

العاصميّ، عبدالملك بن حسين بن عبدالملك الشافعي المكي: **سمط النّجوم العوالي في أنباء** الأوائل والتّوالي، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمد معوض، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1419ه-1998م.

عبد الحكيم، ظافر عبد النّافع: **أبو بكر الصّدّيق حياته حتى خلافته**، ط1، الأردن: دار الكتاب، 1425ه/ 2005م.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيبة: **العِقد الفريد**، ط1، تحقيق: مفيد محمد قميحة، القاهرة: دار الكتب العلمية 1404ه/1983م.

ابن عبد ربه، أبو عمر أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيبة: **العِقد الفريد**، ط1، تحقيق: مفيد محمد قميحة، القاهرة: دار الكتب العلمية 1404ه/1983م.

عبد المجيد، جميل: **بلاغة النّصّ مدخل نظري ودراسة تطبيقية**، د.ط، القاهرة: دار غريب للطّباعة والنّشر، القاهرة، 1999م.

عبد، محمّد: **حبك النّصّ منظورات من التّراث العربيّ**، ط2، السّعوديّة: مجلّة الدّراسات اللغويّة، 1422ه/2001م.

عبد، محمّد: **النّصّ والخطاب والاتّصال**، د.ط، القاهرة: الأكاديميّة الحديثة للكتاب الجامعيّ، 2014م.

ابن العجاج، رؤبة: **مجموع أشعار العرب وهو مشتمل على ديوان رؤبة بن العجاج وعلى أبيات مفردات منسوبة إليه**، تصحيح وترتيب: وِلِيَم بن الرد، طُبع بآلات درغولين، برلين، 1903م.

عرويّ، محمد إقبال: **من بنود الاصطلاح في التّراث العربيّ**، د.ط، مجلّة آفاق الثّقافيّة والتّراث، عدد22، الإمارات العربيّة المتّحدة، 1998م.

عزّام، محمّد: **النّصّ الغائب، تجلّيات التّناص في الشّعر العربيّ**، ط1، دمشق: اتّحاد الكتّاب العرب، 2001م.

ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن الحسين: **تاريخ مدينة دمشق**، تحقيق: عمر بن غرامة العَمرويّ، ط1، بيروت: دار الفكر، 1415ه/1995م.

العسقلانيّ، شهاب الدّين أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن علي الكناني ابن حجر: **الإصابة في تمييز الصّحابة**، ط1، تحقيق: علي محمّد البجاويّ، القاهرة: دار النّهضة، د.ت.

عفيفي، أحمد: **نحو النّصّ؛ اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ**، د.ط، القاهرة: مكتبة زهراء الشّرق، 2001م.

العَمد، إحسان صدقي: **الشّيخان أبو بكر وعمر وولدهما برواية البلاذريّ**، ط2، الرّياض: دار المؤتمن، 1414ه-1994م.

العمّوش، خلود: **الخطاب القرآني دراسة في العلاقة بين النّصّ والسّياق**، ط1، الأردن: عالم الكتب الحديث، 1429ه/2008م.

أبو غزالة، إلهام، وعلي خليل محمد: **مدخل إلى علم لغة النّصّ، تطبيقات لنظريّة روبـــرت دي بوجراند وولفجانـج تريسلر**، مصر: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1999م.

ابن فارس، أحمد بن فارس بن زكريا القزويني الرازي: **معجم مقاييس اللغـــة**، تحقيـــق: عبـــد السّلام محمّد هارون، ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، 1392ه/ 1972م.

فان دايك: **النّصّ والسّياق استقصاء البحث في الخطاب الدّلالي والتّداوليّ**، ترجمة: عبد القـــادر قنيني، د.ط، إفريقيا الشّرق، 2000م.

الفراهيديّ، الخليل بن أحمد: **كتاب العين**، تحقيق: مهدي المخزوميّ وإبراهيم السّـــامرائيّ، ط1، بيروت: مؤسّسة الأعلميّ، 1408ه/ 1988م.

فرج، حسام أحمد: **نظريّة علم النّصّ؛ رؤية منهجيّة في بناء الـــنّصّ النّثـــريّ**، ط1، القـــاهرة: مكتبة الآداب، 2007م.

فضل، صلاح: **بلاغة الخطاب وعلم النص**، الكويت: المجلس الوطنيّ للثّقافة والفنـــون والآداب، عدد164، 1992م.

فضل، صلاح: **مناهج النّقد المعاصر**، القاهرة: الهيئة المصريّة العامّة للكتاب، 1996م.

الفقّي، صبحي إبراهيم: **علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق؛ دراسة تطبيقية على الســـور المكية**، د.ط، القاهرة: دار قباء، 2000م.

فولفجانج هنيه من، وديتر فيهجر، **مدخل إلى علم اللغة النصي**، ترجمة: فـــالح العجمـــي، ط1، الرّياض: جامعة الملك سعود، 1999م.

الفيروزآبادى، مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب: **القاموس المحيط**، تحقيق: مكتب تحقيـــق التراث في مؤسسة الرسالة بإشراف: محمد نعيم العرقسُوســـي، ط8، بيـــروت: مؤسســـة الرسالة للطباعة والنشر والتوزيع، 1426ه/ 2005م.

ابن قتيبة، عبد الله بن مسلم (ت273ه): **الإمامة والسّياسة**، د.ط، مصر: شركة مصطفى البابيّ، 1388ه/1969م.

القرشيّ، أبو زيد محمّد بن أبي الخطّاب، **جمهرة أشعار العرب**، د. ط، بيروت: دار المسيرة، 1398ه- 1978م.

قطّوس، بسّام: **المدخل إلى مناهج النّقد المعاصر**، ط1، الإسكندريّة: دار الوفاء لدنيا الطّباعة والنّشر، 2006م.

قواوة، الطّيّب الغزالي: **الانسجام النّصّيّ وأدواته**، مجلّة المَخْبَر، أبحاث في اللغة والأدب الجزائريّ، عدد8، سكرة- الجزائر: جامعة محمّد خيضر، 2012م.

قياس، ليندة: **لسانيّات النّصّ بين النّظريّة والتّطبيق مقامات الهمذاني أنموذجًا**، د.ط، القاهرة: مكتبة الآداب، د.ت.

القيروانيّ، إبراهيم بن عليّ (ت453ه): **زهر الآداب وثمر الألباب**، د. ط، بيروت: دار الجيل، د.ت.

المبرّد، أبو العبّاس محمّد بن يزيد (المتوفّى 285ه): **الكامل في اللغة والأدب**، ط3، القاهرة: دار الفكر العربيّ، 1417ه/1997م.

مجمع اللغة العربيّة القاهرة: **المعجم الوسيط**، ط4، القاهرة، 1426ه-2005م.

المحِب الطّبري، أبو جعفر أحمد: **الرّياض النّضرة في مناقب العشرة**، تحقيق: محمد مصطفى أبو العلا، ط1، القاهرة: مكتبة الجندي، د. ت.

محمّد، عزّة شبل: **علم لغة النّصّ؛ النّظريّة والتّطبيق**، ط،2، القاهرة: مكتبة الآداب، 2009م.

محيي الدّين، عبد الحميد محمد: **شرح ابن عقيل على ألفيّة ابن مالك**، ط1، القاهرة: دار الطّلائع للنّشر، 2009م.

مختار، أحمد عمر: **علم الدّلالة**، ط5، القاهرة: عالم الكتب، 1998م.

مرتاض، عبد المالك: **في نظريّة النّصّ الأدبيّ**، ط2، الجزائر: دار هومة، 2010م.

مسلم، أبو الحسن بن الحجّاج القشيريّ، **صحيح مسلم بشرح النّوويّ**، شرح: محيي الدّين يحيى بن شرف النّوويّ، ط1، بيروت– لبنان: دار الكتب العلميّة، 1347ه–1929م.

معلوف، لويس: **المنجد في اللغة والأدب والعلوم**، ط17، بيروت: مكتبة أورينت، 1960م.

مفتاح، محمّد: **تحليل الخطاب الشّعري استراتيجيّة التّناص**، ط3، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1992م.

مفتاح، محمّد: **التشابه والاختلاف**، ط،1، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1996م.

مفتاح، محمّد: **ديناميّة النّصّ؛ تنظير وإنجاز**، ط2، بيروت: المركز الثّقافيّ العربيّ، 1990م.

ابن منظور، محمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري (المتوفى: 711هـ): **لسان العرب**، ط1، القاهرة: دار الحديث، 1423ه/ 2003م.

النّجّار، نادية رمضان: **علم لغة النّصّ والأسلوب بين النّظريّة والتّطبيق**، طبعة 2015م 2016، الإسكندريّة: مؤسّسة حورس الدّوليّة، 2016م.

النّجّار، نادية رمضان: **علم اللغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق؛ الخطابة النّبويّة أنموذجا**، مصر: دار علوم اللغة، 2006م.

النّجّار، نادية رمضان: **عناصر السّبك بين القدماء والمحدثين**، القاهرة: مجلّة كلّيّة دار العلوم، 2005م.

النّجيريّ، إيمان صالح: **نحو النّصّ، مدخل جديد في تدريس النّحو العربيّ**، مجلّة كلّيّة التّربية– جامعة بورسعيد، العدد9، ج2، 2011م.

نوفل، يسري: **المعايير النّصّيّة في السّور القرآنيّة، دراسة تطبيقيّة مقارنة**، ط1، مصـــر: دار النّابغة، جامعة طنطا، 1436ه/1014م.

النّويريّ، شهاب الدّين أحمد بن عبد الوهّاب (ت733ه): **نهاية الأرب فـــي فنـــون الأدب**، ط1، القاهرة: دار الكتب والوثائق القوميّة، 1423ه.

ابن هشام، عبد الله بن يوسف بن أحمد بن عبد الله ابن يوسف، أبو محمد، جمال الدين، ابن هشام (ت 761هـــ): **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**، تحقيق: صلاح عبد العزيز علي السّـــيّد، ط1، القاهرة: دار السّلام للطّباعة والنّشر والتّوزيع والتّرجمة، 1424ه/2004م.

ابن هشام، عبد الملك بن هشام بن أيوب الحميري المعافري، أبـــو محمـــد، جمـــال الـــدين (ت 213هـــ): **السّيرة النّبويّة**، تحقيق: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبد الحفيظ الشلبي، ط2، مصر: شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1375ه/1955م.

هيكل، محمّد حسين: **الصّدّيق أبو بكر**، ط6، مصر: دار المعارف، د. ت.

الواقديّ، محمد بن عمر بن واقد السهمي الأسلمي (المتوفى: 207هـــــ): **فتـــوح الشّـــام**، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة، 1417ه/1997م.

اليبوريّ، أحمد: **دينامية النّصّ الرّوائيّ**، ط1، المغرب: منشـــورات اتحـــاد كتـــاب المغـــرب، 1993م.

يقطين، سعيد: **انفتاح النّصّ الرّوائيّ النّصّ والسّياق**، ط2، بيروت: المركز الثّقـــافيّ العربـــيّ، 2001م.

أبو يوسف، يعقوب بن ابراهيم بن حبيب الأنصاري الكوفي البغدادي (182ه): **الخَراج**، تحقيق: محمّد عبد الحفيظ، ط1، عمّان: دار كنوز المعرفة، 1430ه/2009م.

An-Najah National University
Faculty of Graduate Studies

Grammar Texts in Literature Prose Abi-Baker Al-Siddiq

By
Osama Fathi Tawfeek Katawy

Supervision
Dr. Said Shawahneh

This Thesis is Submitted in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Master of Arabic Language & Literature, Faculty of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus, Palestine.

2021

Grammar Texts in Literature Prose Abi-baker Al-Siddiq

By
Osama Fathi Tawfeek Katawy
Supervision
Dr. Said Shawahneh

Abstract

Literature texts have always been the focus of linguistics and many important linguists and other scholars, who have spent great deal of effort and time since the 1960's to study, interpret, analyze and dissect all texts they can get their hands on. Grammar has been used as a linguistics and literature tool that eventually assisted scholars and linguists gudge and certify a text.

Linguists and scholars, arabs and non arabs alike have adopted the generalized approach to analyze texts for the most part, they examined texts horizontally and vertically and looked for connections and similarities between the sentences and paragraphs; furthermore, they conducted comparison between the text to other texts written by the same writer to verify authenticity. Texts are generally written in a way that facilitates the writer's job to communicate a message or to promote an idea to people from all walks of life. Texts and other literature products of a scholar were often very message/idea consistent, whereby researchers would often identify the writer's name by only reading his work.

In order to accomplish and emphasize the items discussed above, the research was divided into: introduction, abstract, 3 chapters and summary or conclusion. The introduction discussed the historical emergence of

syntax and grammar as a science, the need for it and its presence in the literature books. Moreover, Abubaker Al Siddiq who is the subject of this study and research, his texts and their methodology and importance, making the case for selecting him and his at the time aspirations and goals reflected in his literature texts were all discussed in the introduction as well.

Following the introduction, the abstract stage discussed Abunaker the man, his upbringing, his characteristics, social status, role in helping the iskamic message from its birth, leadership and eventually his death. Chapter 1 discussed the birth and development of the literature texts and linguistics grammar and syntax. As for chapter 2, consistency and harmony in grammar and syntax in the texts in question were discussed and analyzed. And in chapter 3, consistency and harmony in Abubaker's prose literature were elaborated upon and practical examples were introduced. Finally, in the conclusion or summary stage of this study, conclusions and understandings regarding Abubaker's work and the level of harmony and consistency they represented were emphasized.